

رواية

عمر و المنوفى

# عزبة

إيموك .. بلازاموك .. تريهم .. سوجاش

العزيزف: هو صوت الجن.

المعجم الزائد



# أحداث عادية

هناك شيء ما شرير يحاك في الظلام.. تحت سقف هذا المنزل.. وبالذات  
بداخل هذه الغرفة المغلقة.. فلو لم يكن توقيعي صحيحًا.. فلماذا ترتجف  
أطرافي بهذه الطريقة ولماذا يدق قلبي بهذا العنف ؟!!.

## - أصوات ليلية -

"ابعد عن أصدقاء السوء".

كانت هذه هي نصيحة أمي لي قبل أن تلقى مصرعها مع أبي في حادث سيارة شنيع، ظل حديث الصحف لعدة أيام من فرط بشاعته، حيث سقطت السيارة من فوق الكوبري لتسحق سيارة ثانية أسفلها، لتحترق السياراتان ويتفحّم من بداخلهما.

وبشاعة الحادث أتت من معرفة طبيعة ركاب السيارة الثانية، والتي كانت تحتوي على خمسة أطفال ووالدهم ووالدتهم.

لقد مرّ الموت كثيراً هذه الليلة، وحملت أنا ذنب الحادث بداخل قلبي إلى الأبد. خاصة وأنه وقع في ليلة خاصة جداً، ويذكر الاحتفال بها كل عام، وهي الليلة التي تسبق عيد الفطر مباشرة، أي اليوم الأخير في شهر رمضان المعظم.

العالم كله يستعد في هذه الليلة لبهجة العيد التي فاحت عبرها في الأفق، وتتدفق ضياؤها في حيوة على العالمين، وأنا أجتر ذكرياتي الحزينة، وحيداً.. تعيساً.

أحيا إلى الأبد بلا عيد.

يقولون إن الموتى يشعرون بدنو أجلهم، وهناك من يدعى بأن المقبل على الموت، يكون قد توفاه الله فيحقيقة الأمر قبل أربعين ليلة من صعود روحه إلى السماء، والدليل على ذلك هو التغيرات الكثيرة التي تصيب شخصيته، يصاحبها ذلك التبدل في نشاطاته اليومية والتي لا يلحظها إلا المقربون منه.

من يرى المقبل على الموت يؤمن بأنه هائم في عالم آخر، عالم يختلف عن مقاييسنا وتوقعاتنا، إنه معنا وليس معنا، إن جسده هنا لكن روحه هناك وراء الغيم.

وهذا الاعتقاد سائد في معظم الثقافات البشرية، ويختلف الأمر فقط في المدة التي ساد الاعتقاد بوفاتهم قبلها، والتي تتراوح ما بين أربعين يوماً ونصف يوم كما يعتقد النبويون، مما يجعلنا نتساءل عن حقيقة هذا الاعتقاد.. وفي النهاية كلها تخمينات قد تصيب وقد تخطى، فالرور من أمر الله عز وجل.

ما لا أستطيع تفسيره هنا هو إصرار أبي الشديد على بقائي في ذلك اليوم الأسود بصحبة جيراننا وعدم اصطحابه لي معه، إن لفعلته الغريبة هذه مغزى ودلالة دون شك، بل دليلاً لا يدحض على كونه شعر بالسوء القادم، فلم يجاذب بحملي معه هذه المرة كما اعتاد طوال السنوات السابقة، فالامر يخصني أكثر مما يخصهم، فما سيتعاونه من المدينة هي ملابسي لا ملابسهم.

ربما هي شفافية المحتضررين...!!

أو قلوب الآباء التي تمثل أجهزة إنذار مبكر ضد الأخطار التي قد تصيب فلذات أكبادهم، أو أن أجلي لم يحن بعد، وكلها أسباب تضافرت كي أبقى على قيد الحياة، بعد أن فقدت شمس وقمر حياتي - أبي وأمي - لأعيش بدونهم في ليل الحياة المدلمهم.

المخيف في الأمر أن الأحداث في هذه الليلة دارت بوتيرة سريعة جداً، وكان أبي كان يعلم بأنه على موعد حار مع الموت، فقرر أن يتوجه كي يلحق بموعده ولا يخلفه.

وما يحز في قلبي حقيقة هو حماسته المفرطة للأمر، ولهفته المضاعفة لإسعادي، إن الأطفال يشعرون جيداً بالحنان والاهتمام، بوصلة قلوبهم تفرق بين الحب الحقيقي والزائف.

وكان اهتمام أبي وحبه لي حقيقين، لقد أدركت هذا حينها وأفتقده الآن.

كم كان يشغل كاهله ذنب غيابه المستمر في العمل وقلة رعايته المباشرة لي، وبطريقة ما فإنه اعتبر هذا الغياب إهمالاً، لذا فهو مصر طوال الوقت على تعويضي وهذا ما دفعه وهو القادم من عمله المرهق في منجم السكري، إلى الخروج من المنزل مرة أخرى فور وصوله من السفر وقبل حتى أن يستحم ليribل غبار وعرق هذا السفر الطويل المجهد، لشراء ملابس العيد لطفله

الوحيد المدلل، الذي هو أنا. والذي ينتظر في لهفة وشغف تلك اللحظات الأسطورية التي يتم فيها ابتياع ملابس العيد.

إن مرحلة شراء الملابس الجديدة هي نصف بهجة العيد، والباقي يتوزع بين مصروف العيد وكعك العيد والتزه، وتلك الطقوس أو التفاصيل هي ما تجعل العيد على أرض مصر مختلفاً ومميراً عن العيد في كل بقاع العالم.. إن العيد في مصر كائن حي.. طفل شقي.. لا يعرف إلا رسم البسمة على الوجوه التي أرهقتها السعي طوال العام.. طفل جميل يحافظ على مواعيد تعاطي البهجة.. ويلامس بشقاوته القلوب.

معظم الآباء نادراً ما يهتمون بمثل هذه التفاصيل البسيطة، ويلقون بها على عاتق الأم، خاصة مع ظروف العمل والسفر المستمر. إلا أن أبي كان يعتبره أمراً مقدساً ولا بديل عن أن يؤدي مواسمها بنفسه، حتى إنه كان يداعب أمي عندما يرى نظرتها المشفقة قائلاً:

- إن كل التعب والإرهاق، يزولان عندما أرى ملامح السعادة على وجه (أمجد)..

وأمجد هو اسمي بالطبع كما توقعتم فلا يوجد طفل آخر في القصة حتى هذه اللحظة.

إنه تجسيد رائع لمعنى الأبوة، خاصة وأن الآباء لا يظهرون الحنان لأنبيائهم بسهولة، فالعرف أفتر بأن يكون الأب عبوساً وحازماً، وفاسياً في أغلب الأوقات..

وكلعادة كل شيء جميل، انتهى هذا الفصل المميز من حياتي، بحادث عابر وكخبر غير مشوق في صفحة الحوادث، حادث يتكرر دورياً أسرع من طباعة الأعداد الجديدة من الصحف، حادث ينساه الصغار، ومعه ينسون آباءهم وربما تلك الفترة الزمنية بالكامل، لتصبح كحلم باهت، لا تفسير له.

ولكني لم أنس.. فوقتها كنت في العاشرة، وهو سن كبير إلى حد ما؛ تكون الذاكرة تعمل فيه بكامل طاقتها، لذلك ظل الحادث يجثم على صدري، يؤرقني طويلاً ويشير الشجن في قلبي.

لقد اعتبرت نفسي مسؤولاً عما حدث لسبب أو لآخر.. وبرغم نضجي وعلمي بأن الحادث وقع لأن أجلهم قد حان إلا أنه لم أسامح نفسي قط، وهذا ما جعلني متورطاً قصيراً الفتيل، أتشاجر لأنفه الأسباب، ولا أكف عن إيذاء نفسي ومن حولي.

والآن مر على هذا الحادث الأليم ما يقرب من خمسة عشر عاماً. وهي فترة طويلة جداً، وكفيلة حتى لشخص قوي الذاكرة مثلـي، ليensi الأمر كله أو على الأقل ليتجاهله ويمضي في حياته..

ولكن الأمور لم تكن بهذه البساطة أبداً. لقد كان وقع الأمر على روحي كاسحاً، خاصة مع انتقالي للسكن مع جدي الكهل في منزله البعيد.

جدي الذي لم أعرف بوجوده على قيد الحياة إلا بعد مصرع والدي، لغز جديد ومخيف يضاف إلى سجلات عمري البيضاء، وينافي تلك الصورة الملائكية التي تماماً روحني عن الآباء.. لا يمكن لأب أن يهجر ابنه إلا في كارثة كونية أو عندما يختطفه طائر الموت .. فلماذا هجر جدي ولده أم ترى هل حدث العكس؟!.

لم أجد وقتها إجابة.. فتركت الأمر للأيام.. فال أيام وحدها كفيلة بإزالة الحجب عن هذا السر.

فقدان الأصدقاء أصابني بتوتر نفسي شديد اختلط بإحباط واكتئاب شديدين.. إن كل هذه التغيرات لا يمكن أن يستوعبها عقل طفل بهذه البساطة، لقد صنع الانتقال شرحاً واضحاً بروحي. والأكثر وطأة ما تحتويه حياة جدي الشيخ ياسين من أسرار وغموض. جدي الذي لم أستطع أن أناديه جدي بقلب مستريح، وظل دائمًا الشيخ ياسين.

\*\*\*\*\*

في الليلة الأولى التي قضيتها في منزل الشيخ ياسين لم أر النوم لحظة واحدة. رائحة الفراش المكتومة والمختلطة برائحة عرق من سبقني كانت لا تطاق، فكرة أن هناك من سبقني للفراش كانت مروعة.. خاصة وأنني طفل

وحيد لأب وأم ميسوري الحال جعلا طفلهما هو قبلة أحلامهما فمنحاه خصوصية ومميزات وقواعد صارمة عن استخدام أشياء الآخرين، أو استخدام الآخرين لأشياءه.

لم تكن الشراشف التي حال دونها تحمل تلك الرائحة العطرية التي تميز شراشف أمي ولا نعومتها المعتادة، لم تكن طرية وودود مثلها، بل يابسة ومتجلدة وتبعث على الشمئزاز.

كانت بداية غير مشوقة أبداً.. الهواء نفسه كان ثقيلاً مكتوماً وكأنه هرم ومرض مع الشيخ ياسين، فضاق صدرني منه ومن كل شيء.. حتى إني فكرت في الهرب.. ولكنني لم أعرف إلى أين!! لو تجاهلت صدمة اللقاء الأولى مع الشيخ ياسين.. فلن أستطع أن أتجاهل تلك الأصوات أو أنكر سماعها.

أصوات مخيفة صاخبة غير واضحة أو مفهومة ظلت تصدر طوال الليل من غرفة الشيخ ياسين التي تقع في آخر الرواق، لتبعث مزيداً من القشعريرة في جسدي وأطرافي، والتي كان صداها ينتقل إلى أذني في تعبيرات مبهمة متألمة، مختلطة بصوت أشبه بشغاف الجديان، مع حديث مبهم بلغة غير مفهومة.

يومها فسرت الأمر عن غير اقتناع ودموعي تغرق وجهي، بكون الشيخ ياسين يشاهد فيلماً أجنبياً قديماً على شاشة التلفزيون، على الرغم من أنني

في وقت لاحق لم أغير على هذا التلفزيون المزعوم في أي مكان من المنزل.

حاولت أكثر من مرة أن أقترب من غرفة الشيخ ياسين لأقصى الأمر، فالغرف المغلقة كفيلة بإشعال فضول ألف قط، و ظلت الغرفة تطاردني في أحلامي وتثير حفيظني حتى تحولت لقط فضولي آخر .

فهل قتل الفضول القط ؟!

نعم لقد قتل قططاً كثيرة وبشراً أكثر.

الشيء العجيب الذي لم أنتبه إليه وقتها هو أنني كلما اقتربت من الرواق شبه المظلم والذي تقع الغرفة في نهايته، كنت أفقد اهتمامي بشكل غريب ويشغلني طارئ ما عن مواصلة فضولي، وأنسى دائمًا سبب قدمي إلى هذا المكان من الأساس. وكان هناك قوة ما تحرض على عدم اقترابي من الغرفة بأي حال من الأحوال.

وطوال فترة وجودي بالمنزل لم أستطع دخول غرفة الشيخ ياسين لأنأكدر من وجود جهاز تلفزيون بالداخل، فهي تظل مغلقة طوال الوقت، سواء أكان داخلها الشيخ ياسين أو خارجها.

و هذا الأمر نبهني إلى كارثة أخرى ، وهي عدم وجود تلفزيون آخر في المنزل، هذا لو كان هو بالفعل مصدر تلك الأصوات المرعبة التي لا تقطع طوال الليل.

الأمر أكثر من مفزع.. فلو ظل التلفزيون في الغرفة المغلقة، سيتحول المنزل بالنسبة لي إلى سجن حقيقي، وسيصبح المكان جزيرة معزولة، وأنا قد أجن ببساطة.

إن التلفزيون لصبي في مثل عمري، يعني أكثر بكثير من مجرد صندوق ذي شاشة فضية يعرض الصور، إنه نافذتي على العالم، أبوظالي الكرتونيون هناك، أحلامي تعرض مرتين في اليوم، لا يوجد قضايان على نافذة روحي، فانا الآن في الفضاء وبعض لحظات في أعماق الأرض، وربما أقضى الليلة بصحة بطل إسفنجي - فخور بملابسـه الداخلية - في قاع البحر.

إنه المنفي الحقيقي.

حنقي من عدم وجود التلفزيون، شغلي عن أمر هذه الأصوات الغامضة المخيفة في هذه الليلة السوداء، والتي خفت تلقائياً قرب الفجر حتى تلاشت تماماً، ولكنني لم أطمئن لها أبداً، هناك شيء ما شرير يحاك في الظلام.. تحت سقف هذا المنزل.. وبالذات بداخل هذه الغرفة المغلقة.. فلو لم يكن توقيعي صحيحاً.. فلماذا ترجف أطرافي بهذه الطريقة ولماذا يدق قلبي بهذا العنف؟.

كما أخبرتكم تلاشت الأصوات قرب الفجر، ولكنها تركت في فضاء الغرفة ضيقاً تقيل الظل.. وهو الخوف.

لاحقاً لم تعد هذه الأصوات تشير قلقي أو إزعاجي.. إنه الاعتياد الذي يقتل رهبة الأشياء، أو هو شعور ما تسلل إلى روحي بطريقة غامضة وترسخ هناك فلم تعد الأصوات مخيفة.

هل تشعرون مثلـي بأنـ الأمر مـريـب؟!

الخلاصة أنها كانت ليلة سوداء لم يزرنـي فيها النـوم قـطـ، ولم أـشعر فيـها بالـأمان لـحظـة وـاحـدةـ. لذلك تركـت المصـباح مضـاءـ طـوال اللـيلـ، وهذا أـثارـ حـنـقـ الشـيخـ يـاسـينـ صـدـيـ فيـ الصـبـاحـ، وـيـوـمـهـاـ لمـ أـفـهـمـ لـمـاـ؟!

وهـذاـ جـعـلـنـيـ أـنـظـرـ لـلـأـيـامـ الـقادـمـةـ عـلـىـ أـنـهـاـ سـتـكـونـ أـسـوـدـ أـيـامـ فـيـ حـيـاتـيـ، وـلـمـ يـخـبـ ظـنـيـ كـثـيرـاـ.

هل بـكـيـتـ؟!

دونـ شـكـ، إـنـيـ وـحـيدـ فـيـ بـيـتـ الـأـشـبـاحـ هـذـاـ، وـأـنـظـرـ لـلـمـسـتـقـبـلـ بـمـنـظـارـ أـسـوـدـ لـعـينـ.

إـنـيـ وـحـيدـ إـلـىـ الـأـبـدـ، لـأـبـ وـلـأـمـ، وـلـأـخـوـةـ، وـلـأـصـدـقـاءـ تـرـكـتـهـمـ خـلـفـيـ، وـجـديـ مـحـيفـ جـدـاـ.

فـهـلـ سـتـشـرـقـ الشـمـسـ عـلـىـ روـحـيـ مـنـ جـدـيدـ؟!

مـنـ يـدـرـيـ؟!!.

كـانـتـ تـلـكـ هـيـ الـلـيـلـةـ الـأـوـلـىـ الـذـيـ أـسـتـيقـظـ فـيـهاـ وـثـيـابـيـ مـبـلـلـةـ.

ماـذـاـ يـطـلـقـونـ عـلـيـهـ؟!

نعمـ..ـ تـبـولـ لـاـ إـرـادـيـ.

## - عايدة -

كان القدر رحيمًا ورئيًّا ببني وضعفي، فلم يستمر جحيم الشيخ ياسين إلا فترة قصيرة، وإن كانت مرت على كالقرون، ما بين الاحتجاز في المنزل المغلق، وتلك الأصوات المريرة التي تشير القشعريرة في جسدي كلما اخترق سمعي، والطعام السيء، ولكنها رغم كل مساوئها انتهت كما ينتهي الطغاة والوباء ثورة الطبيعة، فلم أعد وحيداً بصحة الشيخ ياسين في هذا المنزل المخيف. وبعد عدة أيام تغير الأمر قليلاً، خاصة عندما أقبلت (عايدة) بردائها الأسود ووجهها الصبور إلى المنزل.

وعايدة سيدة ريفية في العقد الرابع من عمرها، تشع النظافة من كل ملمح من ملامحها، وقد استقدمها جدي خصيصاً لتعنى بي وبشئون المنزل التي تصاغفت بوجودي.

وجودها نفسه أحيا المكان وبعث فيه الروح من قلب الرماد. وبعد لمستها السحرية ومجهود مضني، أصبحت غرفتي أكثر قابلية للسكن، بعد أن كانت أقرب إلى المخزن منها إلى غرفة. وخاصة بعد أن أخرجت منها أطنان الغبار التي تراكمت عبر الأعوام، وبيوت العنكبوت التي كانت تشبه الستائر من كثافتها، وغمرت الأرضيات بذلك السائل النفاذ الرائحة المسمى (الفنيك).

حقيقة أن رائحة الغرفة أصبحت كرائحة المستشفيات، ولكنها لم تعد تجثم على روحي.

طعام عايدة لم يكن بجودة طعام أمي رحمها الله ولكنه مقبول إلى حد كبير، خاصة مع هذا البيض المقللي الهلامي الذي قدمه لي جدي على العشاء أمس، والذي لم تقبله معدتي أبداً، فأخذت تعاقبني عليه بالآلام شديدة وإسهال مرضٍ.

لا أعتقد أن هناك دجاجة في الكون من الممكن أن تبيض بيضة بمثل هذا السوء، إلا لو كانت ضلعاً في مؤامرة كونية تحاك ضدي.. العيب إذن في طهو الشيخ يا سين.

والجميل أيضاً أنني لم أرَ الشيخ ياسين يدخل المطبخ قط ناهيك عن طهو الطعام وكأنه يعد كل شيء في غرفته، أو يعدها له شخص ما لا أعرف بوجوده في المنزل.

الخلاصة أن قدوم عايدة إلى المنزل كان رحمة من رحمات الله التي خصني بها، خاصة وأنها دمثة الأخلاق حلوة المعشر، وحبها لي لا ادعاء فيه.

عامة لقد استطعت في فترة وجيزة التأقلم جيداً على حياتي الجديدة، وإن بقت بعض المنغصات التي أثارت ضيقـي - وليس خوفي - لفترة طويلة، منها هذه الأصوات التي لا تنتقطع طوال الليل والتي تخرج من غرفة جدي المغلقة، والتي زادت في الفترة الأخيرة إلى حد مثير للأعصاب واحتللت

بأصوات أخرى مروعة هي مزيج من خوار وأنين وصرخات متآلمة، وكان بداخل غرفة جدي قبو للتعذيب.

عايدة كانت تتعمد عدم الحديث عن الغرفة وكأنها غير موجودة بالمنزل، آخر حدود لها كانت عتبتها عندما تضع الطعام للشيخ ياسين ثم تصرف، الشيخ ياسين الذي لم يعد يحرض على تناول طعامه منذ عدة أيام.

شيء آخر كان يشير ضيقى إلى أقصى مدى، وهو حرص الشيخ ياسين الشديد في الإنفاق والذي اكتشفت أنه ليس حرصاً أبداً، إنه البخل الحام، عم دهب آخر ولكن أكبر سناً وأكثر تجهماً. والمطلوب مني أنا الفتى المدلل أن أخضع لقواعد، وأبتلعها في صمت.

ولم يكن هذا ديدني.. الفتى المدلل الذي اصطحبته معى إلى المنزل تلاشى من الوجود.. الآن هناك أمجد الذي لا يرضى بسياسة الأمر الواقع. وتلك المعركة التي خضتها من أجل الحصول على التلفزيون، خير دليل على ذلك. إن رأسي كالصخر وعزمتي لا تلين بسهولة. لقد أرهقني الإلحاح كما أرهق الشيخ ياسين، وفي النهاية ربحت المعركة وحصلت على التلفزيون، ولكن روحي تشبعت بضيق لا نهاية له. ومثل هذه الأمور تمثل تحدياً لمن هم في مثل عمري، وتنشط تلك البؤرة الشريرة في أعماقهم.

لذلك صار تهشم الأطباق والأكواب حدثاً يومياً لا ينقطع، وفساد الأطعمة خارج الثلاجة بعد نسيانها في أماكن غير متوقعة نشاطاً دورياً، هذا غير

الملاعق والسكاكين المفقودة، وفرد الجوارب التي لا تظهر أبداً، وأجزاء الكتب التي كان يحرض عليها جدي بشدة من المكتبة الموجودة في غرفة الاستقبال. وهذه الأنشطة تزداد كثافة في تلك الأيام التي تغادرنا فيها عايدة لزيارة أمها المريضة في البلدة المجاورة، أو تذهب فيها لعميلها الآخر، فعايدة غير منقطعة لنا بالعمل، إنها تحتاج للمال لسبب ملح لا أعرفه، وبالتالي فهي تعمل طوال الوقت كماكينة أبدية لا تتوقف.

كنت أعامل الشيخ ياسين كشيطان مريد، وصورة فريد شوقي في دور (عوض) في مسلسل (البخيل وأنا) تطاردني بإصرار، والسؤال الكوني يدور في رأسي : ترى أين يخفى الشيخ ياسين صندوق النقود المكتظ، تلك التي جمعها عبر سنوات عمره السبعين؟!

حاول الشيخ ياسين أن يردعني بتصائمه دون فائدة، وعندما كان يفشل، كان يثور علي، ويعنفي، وربما ذات ليلة يتركني دون عشاء، ولكن الأمر المؤكد أن حدة العقاب لم يرتفع سقفها لأكثر من هذا، فلم تمتد يده لي بالأذى ولو مرة واحدة. فقد كنت أذكره بولده الراحل عندما كنت في مثل سنه، ولأنه لا يريد أن يكون السبب في فقدي، كما كان السبب في فقد ولده الراحل كما كان يريد، وهو شيء لم أستطع تفسيره وقتها.

لقد مات والدي في حادث سيارة، فكيف يكون لديه يد في ذلك؟!

وهم.. التي يردها طوال الوقت، تؤكد بأن أمراض الخرف والشيخوخة قد بدأت تناول منه.

فهي.. الذين قتلوا والدي، لا يسكنون إلا في رأسه فقط.  
والتفسير البسيط، هو شعوره بالذنب لأنه هجر والدي منذ فترة طويلة، أو أي سبب آخر.

حقيقة كنت أشفق عليه لكبر سنه بعد كل مقلب كنت أقوم به ضده، ولكنني لم أنوقف عن أفعالي لحظة واحدة، فشيطان الأطفال ضعيف الذاكرة كما تعلمون، والدليل على ذلك أن ضحكاتي كانت ترتفع أكثر وأكثر مع المقلب التالي. إن تلك البذرة المسممة الضمير لم تكن قد كشفت بعد عن برامع في أرض روحي الخصبة، لذلك صار الأمر كله لعبة مسلية، خاصة وأن العقاب هين على الدوام.

فثورة جدي باردة، والثورات الباردة لا تتحقق أهدافها أبداً.  
الحياة مع جدي صارت محتملة إلى حد ما خاصة بعد ظهور عайдة في حياتنا على الرغم من كونها لا تقضي معنا في المنزل أكثر من يومين أو ثلاثة أسبوعياً. إن وجودها صار يعني الحياة ذاتها. ولكن هل تبقى الحياة على وثيرتها الحالية؟!.

احتاجت إجابة هذا السؤال عدة أسابيع كي تتضح، وكانت الإجابة بالنفي بالطبع فلن تمضي الحياة دون منففات، هذا ليس دينها، ولم تجرِ الأمور كما تمنيت، وكما توقعت.

فما أثار حنقي وغضبي ونفسي عليّ ليالي في الأيام التالية، هو ابتعد أبناء الجيران الذين هم في مثل سني أو أكبر قليلاً عن صحتي، وتجنبهم اللعب معي لسبب غير مفهوم، والكارثة أني عرفت أن الأمر بتحريض ذويهم. وكأنني حامل لوباء ما أو أجلب خلفي الطاعون.

وما أكد لي شكوكي، هي تلك الحادثة التي سأقصها عليكم الآن.

ف ذات يوم ربيعي يغمره النسم، نسى أحد الأطفال تعليمات أبيه الصارمة، واندمجنا معًا بلعب (السيجا) والتي رسم مربعاتها شخص ما في يوم سابق. وما أن مس بقدمه خط أحد المربعات عن طريق السهو عندما كان يحجل على قدم واحدة مهشماً إحدى قوانين اللعبة، حتى ثرت عليه واشتبكتا معًا بالأيدي، لأنه كان ينكر الأمر ويكتدبني.

ولأنه كان أقوى مني فقد أصابتي قبضته القوية في أنفي، فسألت بعض قطرات الدم، وبسرعة البرق وشت به أخته الصغيرة لأبيه، فما كان من الأب الذي ظهر فجأة وكأنما انشقت الأرض عنه ، أن قام بعقاب فوري لابنه، فانهال عليه صفعاً وركلاً وسباً وهو يردد دون كلل :

- ألم أحذرك من اللعب معه، هل تريد أن يؤذى الشيخ ياسين أبويك أو أخيتك. إياك أن تلعب مع سليل الشياطين هذا وحتى يحتويك القبر. ول يؤكّد على جدية الأمر ظل يصفعه حتى غاب عن بصرى.

يومها أسقط في يدي. وطللت حائرًا طوال اليوم، وفي النهاية قررت أن أخبر الشيخ ياسين بما دار ليكشف لي حقيقة ما يحدث.

الغريب أنني عندما أخبرته صمت ولم يرد، وإن ظهر ضيق كاسح في عينيه، وعندما مست يده رأسي فقدت كل اهتمامي بالحادث، كأن لم يكن. ولحظتها شعرت براحة هائلة، وزالت كل المشاعر السيئة من داخلي، ولا أعرف حقيقة كيف أن الشيخ ياسين لم يعد مخيفاً كالسابق؟!!.

مضت الأيام في طريقها المعتاد، وعشش طائر الملل فوق أغصانها، وبدا وكأنها ستظل على رتابتها إلى الأبد، حتى بدأ العام الدراسي ومعه بزغت شمس جديدة، وقدم لي جدي أوراق اعتمادي في المدرسة الجديدة، وجاء اليوم الذي سأذهب فيه إلى المدرسة، وكانت نصيحته الأخيرة : "ابعد عن أصدقاء السوء".

إنها ليست المرة الأولى التي أستمع فيها لهذه النصيحة، ولكن لا بأس لأنذهب أولاً إلى المدرسة، وبعدها لمناقش أمر هذا الوباء المسمى أصدقاء السوء.

كان جدي حريصاً على أن تكون المدرسة قرية من المنزل، حتى لا يضطر إلى إنفاق نقوده على الانتقال إليها ذهاباً وإياباً، لذا فإنه اضطر للاستعانة بأحد أصدقائه القدامى كما أدعى، والذي تصادف كونه زوج مدير المدرسة، ليحلقني بها.

لا أعرف كيف أقنعه بهذه البساطة على إتمام التحاقه بالمدرسة، ولكنني لمحت ذلك الشخص يرتجف وهو يتراجع بظهوره أمام الشيخ ياسين وكل ذعر الدنيا يطل من عينيه.. العجيب أن الجو لم يكن بارداً لهذه الدرجة.

## - سحر أسود -

ويرغم أن المدرسة لم تكن تبعد عن المنزل إلا مسافة كيلو واحد إلا أنني جعلت الأمر بالنسبة لجدي كالجحيم، فلم أتوقف لحظة عن الشكوى، فالشمس حارقة.. المجاري الطافحة.. الغبار يجثم على صدري.. ساقاي تؤلماني لأن المسافة طويلة على من هم في مثل سني.

ولكن جدي كان قد احتاط لكل هذه المنعصات فلم أستطع هزيمته في هذه النقطة، فالأمر كله لم يكلفه إلا جنبياً واحداً لإبطال حجتي هذه، فقط عندما قام بمبلاً إطارات دراجته القديمة بالهواء، ليقوم بتوصيلي بها يومياً إلى المدرسة.

لا يخفى عليكم بالطبع تلك الحوادث العرضية التي ظلت تقع للدراجة، كثقب الإطارات، أو خلوها المفاجئ من الهواء، أو اختفائهما كلياً، ولكنه كان دوماً مستعداً، لذا باهت كل جهودي للتخلص عن المدرسة بالفشل الذريع، وإن نجحت إلى حد ما في إثارة غيظه.

في النهاية انتظمت في المدرسة، بل وأصبحت أقطع الطريق وحدي إليها دون معاونة جدي، فقد انقلب السحر على الساحر، فبدلاً من أن أثير ضيقه، أصبح هو يحد من حرريتي، لذلك قررت أن أتخلّى عن هذا الجزء من اللعبة، لتدور الدائرة، وتمضي الأيام.

الغريب في الحادثة السابقة، أن جدي كان يقود الدراجة بنفسه، وكأنه لا تأثير للزمن على مفاسيله وعظامه، وكأنه شاب في العشرين من عمره، لم يتعب ولم يلهمت ولم يظهر ضيقاً وكان زحف السنوات يختلف معه عن غيره. إنه يمتلك قوة غريبة.. والمثير للغريب أن هذا لم يشر ربيتي وقتها.

\*\*\*\*

موت سبع سنوات كاملة، شاب فيها ما تبقى من شعر جدي الأسود، ربما هذا منحه مظهراً أكثراً وقوياً أكثر، ولكنه أظهر على وجهه آثار زحف الزمن الذي لا يرحم ووطأته، وكان قوته السابقة كانت مؤقتة وتلاشت مع الوقت. بل وصار خلالها أقل تحكماً في أعصابه، وصار يثور لأنفه الأسباب ويعنف عايدة طوال الوقت وبلا سبب حقيقي.

كما زادت تلك الفترات التي كانت تلك الأصوات تخرج خلالها من غرفته مما حطم أعصابي لفترة طويلة، وكانت مقدمة لتبدل مخيف في شخصيتي فصرت أنا أيضاً أكثر عفناً ونرفاً. وكأني أخرج انفعالي في ممارساتي العنيفة مع الغرباء.

ما عرفته عن الشيخ ياسين فيما بعد، إطار النوم من عيني. فأنا الذي كنت أظن أن الناس ينادونه بالشيخ (ياسين) لكبر سنه وتدينه، اتضح لي خطأ تفكيري وحماقتي.

فغرفة المغلقة لم تكن تحتوي على صندوق النقود كما اعتقدت، بل تحتوي على كتبه وأدواته التي كان يمارس بها عمله الملعون، والذي منحه لقب الشيخ.

فجدي كان أحد هؤلاء المشعوذين الملعونين الذين كانوا يقومون بممارسة أعمال السحر، والأحجبة، وكل هذه الأعمال المخيفة الغامضة التي تقوم على إيذاء الناس بالاستعانة بالجن والشياطين.

إنه يمارس باختصار السحر الأسود.

لذلك لم يكن يسمح لي بالاطلاع على ما يقوم به، وأخفى كل شيء عنّي. وخوف الناس منه جعلني في معزل عن معرفة الحقيقة لفترة طويلة ولكن ليس إلى الأبد.

كنت فقط في حاجة إلى طرف الخيط، ومنحه لي صديقي نجيب في أحد حوارتنا، وبعدها تكشف لي المجهول، فعرفت أيضًا أن له شريكًا آخر هو الشيخ (تهاامي الحو)، وهو عجوز قد تخطى العقد الثامن من العمر ويقترب من الناسع بخطوات حثيثة، ويعتبره الشيخ ياسين معلمه وأستاذه وربما هو الشخص الوحيد الذي يشير اسمه الرجفة في قلب الشيخ ياسين.

وفي منزل الشيخ (تهاامي الحو) يقومان بكل النشاطات المريعة التي يقوم بها كل مشعوذ يحترم نفسه وعمله، من زار واستحضار أرواح، وفك السحر،

وربط الأزواج، والطلasm المختلقة والاتصال بالجن والشياطين وكل هذه الأشياء التي جعلت رب العالمين يلعنهم في كل كتاب.  
إنهم من أحط أنواع السحرة وأكثرهم حقاره.

ولو علمت ما علمته هذا من البداية لما جرئت يوماً على فعل واحد من كل ما كتبت أقوم به مع الشيخ ياسين.

الغريب في الأمر أنه كان يعامل الناس بطريقة ويعاملني أنا بطريقة مختلفة، إن عينيه تحملان لي من الشفقة الكثير وربما من الحب أيضاً، لم أعهد له قاسي القلب، بل كان حنوناً ولم تمتد يده بالسوء لي في يوم من الأيام، وكانت أببر تصرفاته مع عايدة باعتبارات السن لا أكثر.

حقيقة لا أعرف كيف يحتوي صدره على قلب مماثل، وهو لا يكف عن إيذاء الناس مقابل حفنة من المال.

أذكر أيضاً أنه عندما كنت أقوم من نومي مفروعاً إثر حلم سيء أو كابوس، كان يحضر لغرفتي على الفور، ومهما كان الوقت متأخراً فإنه يصر على إطلاق البخور نفاذ الرائحة في الغرفة، برغم أن الدخان الناتج عن حرق هذا البخور كان يثير ضيقني، إلا أنه كان يستمر فيما بدأه. ومع البخور يظل يردد كلمات وهممات غير مفهومة، ويخبرني أنني غير محسن، وأن الشر يسكن في كل شيء، والأذى متوقع، لذا فالبخور يطرد كل ما هو شرير من الغرفة، فليست كل الأحلام طبيعية.

كنت أعتقد أنها خرافات عجائز، ولكنها لم تكن كذلك.. للأسف.

ولأنني لم أكن أفهم المغزى من حديثه طوال الوقت، فلم أكن أبالي. وفي هذا التوقيت بالذات الذي هاجمتني فيه الكوابيس، كنت واقعاً تحت تأثير نوع آخر من السحر، بل هو أقوى أنواع السحر وأشدّها طراً، بل وكانت بكياني كله أسكن في عالم آخر، في كون تلاقى فيه الطيور الذرية على شواطئ تلك البحيرات السابحة في العطر، المفعمة بالألوان، لتبادل كؤوس العشق.

لقد وقعت في الحب. لقد سحرتني سماح. ولم يعد يشغلني شيء في الوجود عنها.

و سماح كانت زميلتي في الدراسة، إنها أكثر الفتيات اللائي رأيتُهن في حياتي جاذبية وسحرًا وأنوثة. إنها الأنثى الكاملة، تلك التي تمنحك نظرة من عينيها الاكتفاء، وتشعر بالرضا لمجرد وجودها بجوارك، إنها الكمال الذي لم يخلق لبشر ، والحلم الذي لا يستطيع الكون احتواه، إنها هي.. سماح.

كنت أذهب للمدرسة من أجلها، وأتمنى في كل لحظة لو صرت تلك الحقيقة الصغيرة التي تضمها دوماً لصدرها. ولكن الأحلام لا تتحقق بسهولة. فبرغم كون المدرسة مشتركة، لم يجمعنا فصل واحد، فالإناث كانوا

في فصول منفصلة، واللقاءات بيننا كانت تتم على حياء، وعلى الدرج،  
ودون حديث.

كانت متحفظة جداً، والمرة الأولى التي حاولت أن أفتح معها حواراً جاداً  
بعد أن هزمت خوفي ورهبتي، تركتني وانصرفت، وكأنني كائن شفاف لا وجود  
له، أو أن حديثي يتم بذبذبة صوتية لا تصل إلى أذنيها.

حاولت معها كثيراً ، ولكنها كانت تواجهني بنفس ردة الفعل، لا انفعال من  
أي نوع، لا ضيق لا نفور، لا إعجاب، للدرجة أن عينيها كان تتجاذزن،  
وكأنها لا تراني، وهذا حطم أعصابي وكاد يصيبي بالجنون.

إن الصرصور سيأخذ منها اهتماماً ورد فعل أكثر حيوة مما يحدث معي  
الآن، إن هذه الطريقة تسحقني.

إنها حولي في كل مكان. وهذا يمزقني !!

لقد فكرت ذات مرة أنها تعمد اعتراض طريقي، ولكن كيف يصدق هذا مع  
ردود أفعالها التي تشير الجنون ؟!

وعندما صارت زiad صديقي، كان ردده عجياً :

- لماذا لا تصنع لها عملاً ؟! من يكون جده الشيخ ياسين لا يقف هكذا  
بلاهة أمام فناء ، ثم من هي سماح هذه لماذا لم أرها من قبل ؟!

هذه هي النقطة التي كانت تقودني صوب الجنون بجدارة، فصديقى المقرب زiad والذى لم يترك فتاة طلعت عليها الشمس إلا وتحرش بها، لا يعرف من هي سماح !!

وعندما وصفتها له، لا هو ولا أى من أفراد شلتى الكبيرة يذكر أنه رآها أو اصطدم بها.

لا أحد رآها سوائى، وكأنها لا تظهر إلا لي وحدي، أو تبشق من العدم وتعود إلية. يومها قبض على ذراعي، وهو ينظر نحوى في غموض وقال :

- إما أنك واهم، أو أن قدرات أخيك زiad تضعف، وأن زحف العمر عليه قد أصاب عينيه بالعطب.

ولدرء تلك الاتهامات والنقائص عن نفسه، قرر أن يجري بحثاً خاصاً وبطريقته، وكانت آمل أن يعود بالمزيد من المعلومات عنها، ولكنه في مساء اليوم التالي، عاد كاسف البال، حتى خفي حنين لم يحضرهما معه، وبنفس النظرة السابقة رمقني وقال :

- إما أنك واهم، أو أن قربك من جدك أصاباك بلوثة حقيقة.

لم أنصت لكلامه، بل اشغل عقلي بجملة قديمة، قالها زiad في حوار سابق

:

- لماذا لا تصنع لها عملاً؟! من يكون جده الشيخ ياسين لا يقف هكذا  
بلاهة أمام فتاة !!.

فكرة العمل نفسها، لم ترق لي.. كانت أكبر من تخيلي واستيعابي، ولم  
تكن تحظى بقبول قوي لدى، ولكن ما المانع لو أنها ستجدي؟!!.

المشكلة الآن كيف أطلب من جدي شيئاً مماثلاً؟! إن إقناعه بإنفاق  
النقود برغم بخله الشديد، أسهل من هذا الطلب.

أنا أعرف بالتأكيد أنه قادر عليه.

إن من يفرق بين زوجين خاصاً غamar الدنيا معًا، يستطيع أن يجمع عاشقين  
تداعب قلبيهما نسائم العشق.

دفعني خوفي من مواجهة الشيخ ياسين، إلى البحث في الإنترنت.

وشبكة الإنترنت هي المشعوذ الرقمي الحديث ، والذي ستجد لديه كل ما  
ترغب ؛ فقط لتمتنعي حسان جوجول أو غيره من محركات البحث التي  
فاقت البلورة السحرية في سرعة جلب المعلومات.

وفي إحدى المنتديات الإلكترونية المتخصصة في علوم السحر والخوارق  
وجدت بغيتي. إن النسخة الإلكترونية من كتاب شمس المعارف الكبرى  
تحتوي على طريقة جهنمية و مجرية، لعقد رباط المحجة كما يطلقون عليه،  
حيث يتم فيها استخدام بيضة دجاجة مطلسمة لتحقيق الأمر، بعد القيام

بالطقوس المناسبة وكتابه تعاويد وأرقام معينة على قشرتها الخارجية الصلبة.. وبكفي فقط أن يمس من يحمل هذه البيضة المطلسمة، الضحية المقصودة، ليحملها على أن تسقط في غرامه وتتبعه في كل مكان كالزومبي، أو كالمتوم مغناطيسيًا.

هو درب أسود ومعقد من سحر الأرقام، نوع معترف به من السحر، وأنا قادر على القيام به، ولكن هل أجرؤ حقاً؟!.

## - سماح -

و قبل أن أغادر هذا الكون الرقمي، حاملاً نسختي الإلكترونية من كتاب شمس المعارف الرهيب، قررت أن أتصفح بعض الموضوعات المتعلقة بهذا الدرس من السحر .. سحر الألفة والمحبة.

وفي النهاية أصبحت بالإحباط.

الحوار الدائر في المنتدى أثبت أن معظم هذه التعاوين هراء، أو أن من يقومون بها على جهل مدقع بحقيقة هذه الفنون السوداء، أو كما كتب شخص ما في أحد التعليقات، هي تحتاج لمن عقد معاهدة مع الشيطان.

أنا واثق تماماً أن الشيخ ياسين لابد وأنه قد عقد مثل هذه المعاهدة على الأقل مع كبارهم وربما منذ زمن طويل، وإلا لماذا يخشاه الناس إلى هذا الحد، ولماذا قاطعه ابنه الراحل من قبل، ولماذا تستمر هذه الأصوات المخيفة وهذا الشغاف المبحوح في الخروج من غرفته في معظم الليالي القمرية؟!

إن مفاتحة جدي في أمر مماثل، تحتاج إلى شجاعة أسطورية، لا أظن أن هناك حفيد حي يمتلكها في هذه الدنيا بعد، ثم أي صفاقة لأطلب من جدي الشيخ الكبير، وأنا الطالب الذي لم يتجاوز بعد الثامنة عشرة من العمر، بأن يساعدني بنسج شبكة جهنمية سحرية كي تسقط عن طريقها إحدى الفتيات في غرامي.

العشق جنون كما يقولون.

أعتقد أن الصفع سيكون رد فعل منطقي من جدي لمجرد مفاتحته في الأمر.

لن أجازف بالطبع بمواجهة جدي، كما أن الشعور الرافض بداخل صدري تعاظم ليسسيطر على كياني، فليست هذه هي الطريقة التي أريد أن تبدأ بها قصتي مع سماح.

لا إكراه في العشق الحقيقي.

فما نفعي من دمية أحركها لتفاعل معي كيف أشاء، دون إرادتها الحرة؟! أي مشاعر يمكن أن تتبادلها مع تمثال جامد المشاعر مبرمج على السمع والطاعة، لا حياة فيه.

أنا لن أقاتل لأحصل في النهاية على نسخة باهتة من عشق لم يمر بقلبه، ولم يجلسها لتأمل النجوم وتنادي القمر.

إن العشق دفء متبدل، ولو لم يكن صادقاً، خالصاً، فلا رجاء منه.

ما أريده هو التفاعل التلقائي النابع من فيضان أحاسيسها الهادرة نحوه. ما أريده هو عشقها المتدقق من قلبها دون إجبار؟!

السؤال هنا لماذا لو ظلت على تجاهلها لي، ولمشاوري؟!

الإجابة هنا لم تكن معروفة لي في نفس توقيت طرح هذا السؤال، لصغر سني واندفاعي، ولتلك الظروف التي تحيط بي، وتلك الحرية الكبيرة التي أحظى بها مع خفوت دور جدي في حياتي، بعد أن ألقى بعئي كله على كاهل عايدة، إلا أن هناك حقيقة لا يمكن أن تغيب على كل عين مبصرة، وهي أن مشاعر الحب في فترة المراهقة متطرفة.

ولكن المتطرف أكثر هو الشعور بالفشل، عندما يصدق من تظن أن سعادتك أصبحت بيديه، هذا سيحبطك، سيحزنك، وفي النهاية سيغضبك، ونفق الشباب سيجبرك دون تردد على التهور، واجتياز خطوط حمراء كثيرة، وقد يجبرك على سلوك الطريق المظلم، لأنه الطريق الوحيد المتاح أمامك.

وهذا ما حدث في وقت تالٍ.

أعملت فكري كثيراً في الأمر، حتى أنهكت عقلي وأعيتني العجل، وفي النهاية قررت أن أمنح نفسي فرصةأخيرة قبل أن أقوم بأي عمل متهور.

لذا وفي مساءاليوم التالي انتظرتها، كنت أعرف أنها تتلقى دروساً خصوصية في أحد المراكز في قلبالمدينة. لقد تبعتها ذات يوم ورأيتها تلتحن هناك قبل أن تخفي بالداخل.

وعلى ناصية الشارع الذي يوجد به المركز وقفت أنتظر عودتها، وقد ارتدت أفضل ثيابي، وتعطرت بأفضل العطور والتي أخرجتها مؤخراً من متعلقات أبي الراحل.

يقولون إن للزهور تأثيراً كاسحاً على النساء، وخاصة الحمراء منها، ولكن للأسف لم يجد الأمر معها، لم تر الوردة الحمراء التي أحملها في يدي، ولم ترنِي.

لم تتواتر كعادة كل الفتيات في مثل هذه المواقف، ولم تربك، أو يبدو أن وجودي قد لا مس وجودها ولو للحظة واحدة.

إنني بالنسبة لها مجرد خواء.

فقط عبرت بجواري بنعومة وسرعة سهم حاد يخترق الهواء. بلا أدنى انفعال أو اهتمام. وبينما خطواتها السريعة الأقرب إلى العدو، وبردائها الأسود وبشعرها الناعم الذي يذوب مع لون الرداء نفسه.

إن أندر العيون هي العيون السوداء، وهي كانت تمتلك زوجاً متألقاً منها، ولم تتلاقي أعيننا قط.

تجاوزتني وكأني لم أكن، ولا أشغل هذا الحيز الكبير من الفراغ، فقط ما نلتة من مغامرتني الفاشلة، هو تسميم لرائحة عطرها الفواح، الذي أصبح في أنفي يمثل رائحة الفشل، ولحظتها فقط شعرت بأنه لا أمل هناك، إنها مخلوقة من حجر صلد، ولن يحرك فيضان مشاعري، ولو خلجة من خلgettها.

الطعنة في قلبي هذه المرة كانت نافذة، وعلى مقدار الألم يأتي الغضب، لذا ثارت مشاعري، وغلى الدم في عروقي، وكما قلت :

إن كل المشاعر لدى المراهقين متعاظمة ومتطرفة، لذا فإنني قررت أن أجبرها على عشقني، ويرغبتها أو بدون ستأتي لي صاغرة تستجدي رضائي. وفي هذا الأمر، لن أوفر جهداً أو أعدم حيلة، حتى ولو اضطررت لاقتحام غرفة جدي، وقمت بالتعويذة الموجودة في كتاب شمس المعارف بنفسي. فأأن تكون معندي بغير إرادتها خير من ألا تكون معندي أبداً، وهذا هو القول الفصل.

\*\*\*\*\*

عندما عدت ليلتها إلى المنزل، كانت عايدة قد عادت من سفرها بعد أيام من الانقطاع قضتها في تلقي عزاء والدتها.

عادت كثيبة داكنة البشرة، وفقد وجهها نضارته وازدادت نحواً.. لم أبال بها ولا بطعمها، إن قلبي حزين.. حزين، ولا رغبة لدى في الطعام ولا مواساة أحد.

إنني أحتج من يواسيني.

الصمت يغلف المنزل، وجدي يغلق عليه غرفه كعادته، والأدخنة الناجمة عن حرق البخور تخرج من أسفل باب الغرفة، مختلطة برائحة عضوية

غريبة، تبعق المكان، وكأنه يخلص من جثة ما عن طريق الحرق، مع  
هممات غليظة لا تتوقف.

فليحترق العالم كله، فلم أعد أبالي.

وبمجرد دخولي غرفتي، انفصلوعي عن كل شيء، وانفجر بداخلني برkan  
من الحمم والدموع، وأصبح كل شيء له علاقة بحالتي المتربدة.

فلا بد أن رائحة الشواء النفاذه هذه، هي رائحة أعصابي المحترقة، وسحب  
الكآبة التي تحيط بالمنزل، ناجمة عن حزني الكبير.

إنني ضائع، وحيد، مكسور.

إنني لا شيء بدونها.

عدم يحيا في العدم، ويتلاذى في العدم.

لماذا يا سماح لماذا؟!؟

كانت حالي تسوء بشكل واضح، ودون وجود من يهون على قلبي آلامه،  
فأنا أتجه صوب كارثة.

إن أفراد شلتي، والتي جمعتها من خارج المنطقة وممن لم ينفروا من مهنة  
جدي، كبيرة، متواجدون دائمًا لنجدتي، إن أعمارهم المتفاوتة تسمح بالكثير  
والكثير من وسائل الترفيه، فأصغرهم نجيب وهو في مثل سني وأكبرهم

رشاد وهو شاب ثري في الخامسة والثلاثين، ولكن أياً منهم ليس قريباً مني  
في هذه اللحظة لأفضي إليه.

إنني وحيد.. تعيس.. حزين.

ناقوس يدق في عوالم النسيان.

الأفكار في عقلي جميعها خيالية وجامحة، فحتى لو اختطفتها فوق الحصان  
الأبيض، كيف أعبر بها الحدود دون جواز سفر، وكيف أصل بها إلى جزيرة  
مهجورة في قلب البحر. لم تعد هناك جزر مهجورة في هذا الكوكب  
المسمى الأرض، إن جوجول إيرث لديه خرائط تفصيلية عن كل شبر في  
العالم.

إن العالم كله ضدي، لذا سأكتب لها ما يجيش في صدرني في قصيدة :

(أحلامي صغيرة)

طموحاتي صغيرة

أن أكون أنا البحر

وأنتِ بداخلِي جزيرة).

...

جزيرة لا يعرفها جوجل إيرث.

بداخلي.. بداعلي.. بداعلي..

الكلمة تتردد في عقلي كموسيقى حالمه.. ما أروع الاحتواء.. إن الأحلام لا حدود لها.

لن أطمع كثيراً.. لا أريدها بداعلي.. ولا بالقرب مني.. فقط أريد منها لمحه من الاهتمام، نظرة دافة، كلمة ولو كانت سباباً، أن تشعرني بأنني موجود في هذا العالم.

نظرت نحو الكلمات التي خطتها يدي منذ لحظات، ثم مزقت الورقة.

إنني يائس بشكل مخيف، الأمر لم يكن هيئاً على نفستي أبداً، خاصة وأنها كانت تشبه أمي الراحلة في لون عينيها.

شعرت بضعف.

بوهن.

بضياع.

دخلت الفراش، لأنسحب، ودون أنأشعر غفوٌ، وبقلب عالم الأحلام، وجدها هنأك.

تنتظرني.. تبتسم وتمد يديها لي.. تخبرني باسمها.

كانت ت يريد أن تصحبني معها، لذلك الوادي المتألق في البعد.

سأذهب معها لأي مكان.

إنني أهفو لصحتها.. ولكن لا..

إن هذا ليس بضياء، إنه نيران.

نيران حارقة.

لا لا لا لا.. لن أذهب معلٍ.

أنتِ لستِ سماح.. أنتِ شيطانة.. شيطانة.

وعندما استيقظت، وبمجرد أن فتحت عيني، وجدت جدي يقف عند رأس الفراش، وعلى وجهه علامات تفكير عميق، ممزوجة بقلق.

انكمشت في مكاني مرتجفًا وأنا أفكـر.

هل يستطيع قراءة أفـكري !؟

ولكن جدي ظل على وقته هذه لم يتحرك، لدقائق كادت روحي أن ترهق فيها، وفي النهاية غادر الغرفة، وبعد وقت ليس بالقليل عاد ومعه قبينة بلاستيكية، وأخذ يسكب ما فيها من سائل في أركان الغرفة، وهو لا ينفك عن ترديد تلك الكلمات المهمة غير المفهومة، ما استطاعت أذني أن تلقطه منه بضع كلمات لا معنى لها

- الوحي الوحي.. العجل العجل.. الساعة الساعة..

كلمات غير مفهومة ولكنها أثارت رعبي وجعلتني أؤجل مشروعـي الكبير لأـجل غير مـسمـى.

لأنـ بداخلي تعاظـمـ شعورـ مضـنىـ بـأـنـيـ فيـ خـطـرـ مـرـوعـ.

## - الخطبة -

لم تظهر سماح في الأيام التالية، قلبت عليها الدنيا رأساً على عقب، لم أترك حجر إلا وبحثت تحته، ولم تأتني فكرة مهما كانت مجنونة إلا وجريتها، حتى أني اقتحمت غرفة شئون الطلاب وبحثت في الكشوف التي تحتوي على أسماء الطلبة – في مغامرة ستفضي على مستقبلني لو كشف الأمر – ولكني ب رغم التهور والجهد المبذول لم أعثر لها على أثر، هناك اثنان سماح غيرها بالمدرسة ولكني أعرف عنهمَا كل شيء.

انتظرتها بالساعات في كل الأماكن التي أتوقع وجودها فيها، وأنباء بحثي المضني اكتسبت أنني أجهل أهم معلومة عنها.

أين يقع منزلها؟!

كيف وصل بي الغباء بـألا أتبعها ولو مرة واحدة لأعرف مكان منزلها، إن هذه هي أبسط القواعد وكل عاشق أحمق يعرفها.

كيف سيؤثر روميو على جولييت لو لم يتبعها إلى منزلها ويلقي على مسمعها أغاني العشق ويسمع السباب من والديها.  
وفي النهاية.

لا أحد يعرف شيئاً !! ولا أحد رأى شيئاً !!

إن الأمر مرتب حقاً !!

ضاع كل مجهد ومجهود أصدقائي في تتبعها أو العثور لها على أثر، بعض الفتيات ممن كانوا على علاقة ببعض أفراد شلتني، أنكروا وجودها من الأساس في المدرسة ومركز الدروس الخصوصية، مما جعلنيأشك في أن يكون لجدي يد في اختفائها، ألم تختفي في الليلة التالية، لقيامه بسكب تلك السوائل كريهة الرائحة في غرفتي وتزويده لتلك التعاوين الغامضة.

لو رأيتم نظرته في تلك الليلة التي زارتني فيها سماح في منامي، لأدركتم أنه أحاط بأمرني كله، سواء بقدراته أو بالاستعانة بملوك الجن.

إن جدي هو المتهم الأول في نظري، وربما لو فتشت في أوراقه لوصلت لطرف خيط.

أعرف حقيقة أن ما يدور في عقلي جنون، ولكن من وقع في العشق، لن يرى مبالغات في حديثي، إنني أتبع قلبي فقط. ثم من قال إن السحرة يحتفظون بسجلات يدونون فيها أسماء ضحاياهم.

المعضلة الكبرى هنا أنني لو أردت أن أتأكد من شكوكي، فلا بد لي من دخول غرفة جدي المغلقة دوماً، والتي لا يغادرها إلا لماماً.

ولا بد من سبب وجيه يدفعه للخروج وفي نفس الوقت ينفي تهمة الاقتحام عني.. إن الحصول على الأوراق / الكتب ستمثل فرصة جيدة لمعرفة حقيقة ما فعله مع سماح، أو هذا ما أتمناه !!

أعرف أن العقاب سيكون أسطوريًا لو سقطت بين يديه، ولكن ما باليد حيلة، لابد وأن أنفي عنه التهمة أو أثبتها عليه لأعرف طبيعة الخطوة التالية التي سأخذوها.

ثم إن هناك صوتاً بداخلني، يخبرني أنني على الطريق الصحيح، وهذه الأحسيس مؤشرات لا يجب تجاهلها، لأنها رسائل من عالم آخر أكثر شفافية وصدقًا. والسؤال هنا :

من أين أبدأ، وبمن سأستعين؟!

ومن سيكون غير أفراد شلتى بالطبع !!

هل أخبرتكم بأن سماح زارتني ليلة أمس في الحلم، وأخبرتني أن جدي هو من يمنع تواصلنا؟!.. أعرف أن الاعتماد على دليل واه كهذا درب من الحماقة، ولكن الغريق يتعلق دوماً في عود واه من القش، فما بالكم لو كان فرع شجرة قديم كالشيخ ياسين. والشيخ ياسين تحيط به من الشكوك ما يجعل نصف حوادث المنطقة الشيعية تنسب إليه.

فإن كان هناك متهم يسكن معك تحت سقف واحد ، فأي مصيبة ستقع لك لابد وأن له يد فيها.

وسماح أخبرتني في الحلم بذلك !

\*\*\*\*\*

اليوم عرفت من عايدة أن جدي سيعادر إلى منزل الشيخ ( تهامي الحو ) لأن لديه عمل سيأخذ منه ساعات النهار كلها، ولذلك فهي ستقوم بتنظيف أرضيات المنزل والجدران، وستعني بالسقية، وأنها ستغادر لمدة ساعة واحدة ستقوم فيها بشراء الكميات المطلوبة من المنظفات ومتطلبات المنزل، لتهيي بها مهمتها العاجلة.

من يرى عايدة الآن، لا بد وأن يعرف أن للحزن آلة الزمنية الخاصة، والتي يلتهم بها نضارة وشباب من يقع تحت مخالبه الحادة التي لا ترحم.

حزنها على وفاة أمها، جعلها تبدو أكبر سنًا، وأوهن روحًا، وتحول كيانها الغض ووجهها الصبور، إلى كيان ووجه مومياء، فغارت عيونها إلى داخل ججمتها، وشحيت ملامحها فهي أقرب للموتى، وفقدت حيويتها فظهرت كسيدة على اعتاب الأبدية تنتظر الموت، ولكن الموت يأبى أن يسعفها بقبلته القاتلة.

الدموع تكاد تحفر على وجنتها مجازٍ واضحة، والسود الذي يظلل عينيها، يبدو وكأنه ناجم عن حرق، والنوم لا يبدو رفيقاً جيداً معها. لقد أصبحت بعد وفاة أمها، مجرد حطام إنسان، سُحق، وينتظر أن تذروه الرياح.

ما لاحظته عليها من طول عشرتي لها، أنها عندما تحزن فإنها تقتل نفسها بالأعمال المنزلية، لذا أتوقع أن يصير المنزل بعد عنایتها به كالجديد.

الآن اتركونا من عайдة مؤقتاً، فلو ظلت أحكي عن حالتها المتردية لسودت مجلدات، أعرف أن بعضكم يروق له الحديث عن الحزن، وأعدكم لو تبقى لي وقت، أن نبكي وننتحب ونفرق سوياً في بحر الحزن الأزلي، فالحزان في قصتي بحر لا قرار له.

فقط دعونا الآن نلتفت لتلك الخدمة الجليلة، التي قدمتها لي عайдة دون أن تشعر، فالمنزل سيصبح ملكي لمدة ساعة، وهي فرصة ربما لن تتكرر لعدة أشهر قادمة وربما سنوات، فجدي يزداد ضعفاً ونحولاً، ومنذ فترة يلازم غرفته بالأيام لا يغادرها.

لقد سمعت أن الفنون السوداء، تتغذى على روح الإنسان وتضعف جسده. ولابد وأن جدي يقوم بعمل شنيع يستنزف روحه وحيويته هذه الأيام. لابد وأنه يعاني لبعض سماح عنّي.

المهم، أني لم أكذب خبراً، المنزل ملكي للمرة الأولى، ولابد وأن أستغل الفرصة، فشوقي لسماح هادر، والألم الناجم عن فقد، لا يماثله ألم آخر.

تجمعت مع شلتني، ولحسن الحظ كنا في فترة الأجازة الصيفية، ومن يعمل هنا قرر بأريحية مريبة أن يتخلّف عن عمله، وإن عارض بعضهم في البداية.

ستة من الأصدقاء وأنا سابعهم قررنا أن نقوم بال مهمة، يدفعنا إحساس غامض هامس، وكأن اقتحام الغرفة، هو العمل الأكثر أهمية وقداسة في هذا العالم.

هل شككتنا للحظة في شيء؟!

بالطبع لا..

ولو شككتنا لم تكن هناك قوة في الكون ستمنعنا عن إنهاء ما عزمنا عليه.

ما اعتقدته حقاً وقتها أنهم سيستمتعون بمعامرة غير مسبوقة تبدد رتابة الأيام الحاضرة، وأنا سأصل للبيتين الكامل وربما يرتاح قلبي من ناحية سماح والشيخ ياسين، فبرغم جفاء سماح، ومهنة جدي الشنيعة لا أريد أن أفقد أحدهما أو أحمل له بقلبي ضغينة، لذا قررت أن نقوم بال مهمة على الفور ووضعت خطتي المرتجلة.

البعض سيقوم بمهمة المراقبة، لتحذيرنا في الوقت المناسب من أي خطر قادم، والبعض الآخر سيساعدني في الدخول إلى الغرفة المغلقة.

ولأن المهمة لم تكن بسيطة فقد أحضر كل منهم شيئاً مفيداً في الوقت البسيط الذي يفصل اتصالي بهم عن قدمهم.

لذا فإن أمين أحضر معه عتلة من متعلقات والده، وقام زياد بإحضار ميدالية المفاتيح الضخمة التي يحتفظ بها والده في قبو المنزل، والتي تغص بمفاتيح من كافة الأشكال والأحجام، وأحضر رشاد مدينة سويسريّة أصلية، كان قد أحضرها معه من رحلته الأخيرة في أوروبا، وشحنة عرض أن يحضر

سلاحاً نارياً ولكنني رفضت.. فلنسنا ذاهبين لاقتحام بنك، وحانة ساعة الصفر.

ولأضعكم في الجو أكثر سأخبركم بالوضع الآن.

زياد، وخليل على ناصية الشارع لتجذيرنا عند قدوم عايدة أو الشيخ ياسين، شحنة ورشاد، أمام باب المنزل لأن التواصل سيكون بالصغير، أنا وأمين ونجيب، دخلنا لتعامل مع باب الغرفة، وقبل أن أدخل نهرت نجيب ليوقف عن التهام الطعام فما نحن بصدده يحتاج إلى كل تركيزنا.

وبعدها تحركنا بهدوء وبدون ضجيج، وعين نجيب تكاد تشب من محجريها على الشطيرة التي أحفظ بها شحنة معه.

كل من أصدقائي شغل موضعه المتفق عليه والمرسوم في الخطة بدقة، وأنا ومن معي دخلنا إلى المنزل بقلوب صاحبة وأعصاب مرتجفة من الإثارة والتوتر.

وبداخل المنزل كانت تنتظرون مفاجأة مروعة.

يا للكارثة.. غرفة الشيخ ياسين التي كانت على الدوام مغلقة، وجدناها مفتوحة لدى دخولنا، وبابها موارباً.

وهذا ليس شيئاً غريباً فقط، ولكنه مخيف أيضاً، إن هذا يجهض خطتي بالكامل، ويجعل العقاب الذي كاد أن يفتر عزيمتي من قبل، لا يفصله عنني إلا عدة أمتار، مما فجر في عقلي طوفان من الأسئلة :

- هل عاد الشيخ ياسين إلى المنزل، أثناء وجودي بالخارج أرتب لاقتحام عربته ليأخذ شيئاً نسيه؟ أم عاد ليكمل عمله بعفته؟ أم أنه علم بقدراته الشيطانية بما نرتبه من أجله فحضر ليقنا درساً قاسياً؟!!

- ماذا سيحدث لو اكتشفت ما نحن بصدده أو ما نحن عازمون عليه، كيف سيكون عقابه لي والأصدقائي؟!

جمدتني المفاجأة للحظات، ولكني تغلبت عليها بسرعة، فليس هذا وقت تمثيل دور المصدوم، وأشارت لرفاقتي بأن يتواروا للحظات كي انفرد المكان، ثم تقدمت صوب غرفة جدي بخطوات من هلام، وقلبي يخفق كجناحي طائر يقاوم الغرق، وعندما أدخلت رأسي عبر فرجة باب الغرفة، وبعد تردد، وجدتها خالية من البشر، لا أثر للشيخ ياسين بها، فعدوت بسرعة صوب دورة المياه، فربما هو بداخلها يفرغ مثانته، فلم أجد أحداً هناك.

تنفست الصعداء، ثم ذهبت إلى حيث يختبئ صديقاي، أمين ونجيب وطلبت منهم أن يتبعاني، وبدأ الأمر.

هل سمعتم معى تلك الضحكة الشيطانية؟!

..... -

لابد وأنني واهم إذن.



# الشيطان

---

هناك رأس محنطة أحياول إقناع نفسي بأنها غير بشرية.. ولكنني قرأت من قبل عن هذه الرؤوس المجففة والتي تستخدم في طقوس السحر الأسود. مجموعة من الخطاطيف التي يستخدمها الجزار في تعليق الذبائح معلقة في سقف الغرفة، وتلك البقايا الملتصقة بها لن أجرب على تفحصها، ولكن رائحتها تشيب بحقيقةتها.



## - الغرفة -

عندما تشعر بكونك تقترب من فخ محقق ولا تراجع، فتأكد من شيء واحد.. أنت أحمق كبير.

هذا هو ما شعرت به وما شعر به رفيقاي كذلك، الرعب الكبير المرتسم على وجهي أمن ونجيب، يؤكّد لي حقيقة شعوري. ولكنني كصاحب الفكرة، وكعاشق مكلوم، لم أرغب في أن أظهر بمظهر الجبان أو الخائف أمام رفافي، لذا فإني بدأت الحمامة وقررت أن أستمر فيها إلى النهاية.

الأمر لم يكن يحتاج لمزيد من التأكيد لنعرف أن ما نحن مقبلون عليه خطير ومخيف، وربما يكلفنا جميـاً أكثر مما نعتقد. فشخص مثل الشيخ ياسين لن يترك عرينه بلا حماية، وربما تصيبنا منه لعنة، كتلك اللعنات التي كان الفراعنة يحصّنون بها مقابرهم.

إنه ساحر والسحرة يجيـدون مثل هذه الأشياء، وإلا من أين أتـت سمعتهم السيئة عبر التاريخ.

النقطة المثيرة للأعصاب هنا، هو كيف لم تأتـ هذه الفكرة إلى عقلي من قبل؟!

إن الحمامة أغيـت من يداوـيها.

لا مجال للتراءج أو التخاذل بأي حال، إننا هنا الآن، لقد تورطنا جمِيعاً وانتهى الأمر. فلا بأس من أن نحصل على ما جئنا من أجله. وإن كنا لا نعرف ما هو تحديداً.

فلنلخص الفكرة في الكتب والأوراق والرقاقات الجلدية التي لمحت الشيخ ياسين يحملها أكثر من مرة ليعبر بها صوب الغرفة.

الخوف يلقي بظلاله على المكان، حتى الهواء نفسه مختلف وثقيل وكأن له قواماً. الرواق أمام الغرفة يبدو وكأنه يسبح في ضباب رمادي كثيف. مع صوت فحيح غريب، وصوت قرع جرس أقرب لأجراس الكنائس. التقطت أذني صوت هامس ، يدعونا لأن نقترب !!.

تجمدت مكانني من الرعب للحظات، ثم استدررت بجدعي لأنطلع خلفي.

- ألا يرى هذا الغبيان اللذان يرافقاني أي شيء مرير ؟ !

ولكني صدمت عندما رأيتهما، ورأيت الذهول المرتسم على وجهيهما وكأنهما ولدا به. مالهما متسمران هكذا كالتماثيل الشمعية ؟! إنني أشعر بتوتر شديد.. إنني خائف.. ولابد أن أعود.. لا يجب أن تستمر هذه الحماقة أكثر من ذلك.

تيار من الهواء البارد يحتاج جسدي، ويدفعني بعيداً عن الغرفة، مع إحساس مخيف بأن هناك أهداباً أو مصاصات تداعب الأجزاء الغير مغطاة من جسدي، وكأن مئات من الفئران الصغيرة تت sham جسدي.

شعور قاتل وأكاد أفرغ منه معدتي.

هل تشعرون معي بذلك الحضور الكثيف؟!

إن شيئاً شريراً يسكن هذه الغرفة دون شك.. شيئاً له حضور وتأثير ورائحة وكيان. شيء لا يرغب في دخولنا الغرفة. شيئاً يختلف عن تلك الهمسات التي تدفعنا لولوجها.

هذا المكان تفوح منه رائحة الموت بطريقة مزعجة، كما أن طاقة مخيفة تتماوج في المكان، كأن هناك مجالاً من نوع ما يحيط بالغرفة.

هل هي كهرباء إستاتيكية؟!

الأمر يبدو وكأن الغرفة تحتوي على مولد كهرباء قوي، وإنما لماذا وقف شعر ساعدي ورأسي؟! التردد يزيد من الخوف والقلق بداخلي، فالأفضل من انتظار الخطر هو وقوعه، لأن الانتظار سيتمثل فيه الموت بألف طريقة وطريقة. فلننتهي من الأمر سريعاً ونغادر.

لعن قلبي الذي ينبع كمحرك قديم، فمتى بسط القلب سلطانه على العقل، فلا بد من حمامات كثيرة ترتكب باسم الحب.

الغريب أنني أشعر الآن أنني بقصد مهمه تختلف تماماً عن سبب قدومي إلى هنا.

لم تعد سماح هي الفكرة.

هناك فكرة أخرى تولد بداخلي وتشعب وتتوغل وتستولي على كياني، وهي فكرة الخلاص.

إنها لم تبدأ بذرة كما يحدث دائمًا، بل شجرة كاملة الفروع والأغصان والشمار، تضرب بجذورها في أعماقى.

الآن أنا على يقين بأن سماح كانت الطعم، الذي قادنا لهذا الفخ، وربما للموت كذلك.

كل هذه الأحساس المخيفة والمشاهد المروعة، ولم أكن أنا أو رفيقاي قد تجاوزنا عتبة الغرفة الرخامية بعد.. أي هول تخفيه هذه الغرفة بداخليها، لتجعل بها هذه الطاقة النفسية المروعة.

الآن فقط أتذكر أنني لم أقترب ولو مرة واحدة من هذه الغرفة، كان هناك شيء ما يمنعني دون أن أعي من وجهاه، وكنت أستجيب له.

لقد شغلني جدي عنها بخله وطبعه، وتلك المشاكسات التي لا تنتهي.. فهل كان يعتمد هذا ؟!

هل استمر طوال سنوات متعاقبة لا يكف عن إلهائي؟! وهل هذا ما يحدث الآن؟!

هززت رأسي في عنيف لأوقف سياط الأفكار المتدفقة، ثم جذبت نجيب وأمين من ذراعيهما، وساحت بهما معي لداخل الغرفة، وما أن عبرنا العتبة الرخامية حتى توقفنا وتعالت شهقاتنا. فالغرفة لم تكن غرفة عادية بأي حال من الأحوال.

إنها إحدى بوابات الجحيم..

وصدقني لاشيء سيفاجئك في حياتك مثل محتويات غرفة الشيخ ياسين المغلقة، والتي كشفت لي عن أسرارها، دون مجهود مني أو من رفافي، أو ربما هي تتمة الفخ.

اتساع الغرفة غير طبيعي أبداً، ربما هو تأثير تلك المرايا العاكسة المتباشرة في أرجائها، والتي تحتل إحداها جدار كامل، كما أن هناك ضوء لا نعرف مصدره يشع من كل الموجدات، ورائحة عضوية تذكرك بتلك الرائحة التي كثيراً ما حاولت ريا وسكنينة أن تطمسها بالبخور، فرائحة الجثث المتعفنة تتشابه في كل مكان. الموت يعلن عن نفسه بقوة في هذه الغرفة.

رأس محطة أحاول إقناع نفسي بأنها غير بشرية.. ولكنني قرأت من قبل عن هذه الرؤوس المجنفة والتي تستخدم في طقوس السحر الأسود.

مجموعة من الخطاطيف التي يستخدمها الجزار في تعليق الذبائح معلقة في سقف الغرفة، وتلك البقايا الملتصقة بها لن أجرب على تفحصها، ولكن رائحتها تشي بحقيقةها.

أصابتي حالة غريبة من الهذيان فصرت أكلم نفسي.

أهذه عظام طفل؟!

هي بالتأكيد عظام طفل، فهذه الجمجمة لا تخص أي حيوان أعرفه.

وهل هذا جرامافون.

ما دخل الموسيقى بالسحر؟!

ربما الموسيقى هي لغة من نوع ما يخاطب بها الشيخ ياسين، الشياطين في بعدهم المتواري.

ثم ما هذا الصوت القادم من خلف الصوان الخشبي الكبير؟!

إنه ثغاء دون شك، ينتمي لأحد الأنعام، إنها عنزة أو تيس، ماذا يفعل الشيخ ياسين بحيوان مماثل، ولماذا يحتفظ به بقلب الصوان؟!.

حالة نجيب وأمين لا تختلف أبداً عن حالي بل إنها أسوأ دون شك، وكأننا واقعين تحت تأثير مخدر ما.

ما زلنا نجيب ليظهر الفرع على وجهه بهذا القدر؟! ولماذا يتصل جسده بهذه الطريقة وكأنه التصق بالأرض؟! لماذا يقف مكانه هكذا دون حراك؟! إنه يرى شيئاً مخيفاً لا أراه دون شك؟!

ثم لماذا سقط أمين على الأرض ليتحب؟! هل بالأمين على نفسه؟!  
لابد أن نغادر الغرفة على الفور، ولتذهب سماح والمغامرة إلى الجحيم.

إنني في حالة انفصالٍ تامٍ عن جسدي، وكان هناك من حقني بمُخدرٍ نصفيٍّ، أرى ما يحدث، ولكني لا أستطيع التصرف.

## أهي تعويذة دفاعية من جدي ؟!

أين أنتما، ثم ما هذا الضباب الأسود؟!

وَمَا الَّذِي أَتَى بِكَ هُنَا يَا سَمَاح؟

## - شيطانة -

الجنون كان هو المتحكم والمسطير علينا في هذه اللحظة، إما أننا واقعون تحت تأثير سحر ما، أو أنه شيء مجهول في الهواء، واستثنينا نحن في غباء فأثر على أعصابنا.

- إنها غرفة جدي على أية حال ولم يليست مقبرة فرعونية تحميها لعنة مهلكة. هذا هو ما حدثت به نفسي في محاولة بائسة كي لا يتوقف قلبي من الفزع. الحيرة تعصف بعقلني والتساؤلات تتزاحم وتتقابل بداخله.

تُرى هل كانت سماح في غرفة جدي طوال الوقت؟!

ظهورها كان مفاجأة غير سارة لي، لأنها لم تكن سماح التي أعرفها أبداً، فوجهها الذي طالما داعب أحلامي.. كان ملطفاً بأصباغ سوداء وبضاء متقطعة، مع شحوب طاغٍ يجعلها أقرب إلى الموتى.

جسدها الذي صار أكثر نحولاً، ملفوف بجلد غير مدبوغ لحيوان كثيف الفراء، ليس الدب دون شك، وقدماها كانت عبارة عن حافرين، كحوافر الماعز المشقوقة. وعلى رأسها انتصب قرنان بشعا الشكل يشبهها الزوائد العظمية.

صدمت من منظرها، وكذلك نجيب الذي وقف مغفور الفاه يسيل الزيد من  
شدقه كمرضى الصرع، وأمين الذي ارتحى جسده على الأرض تماماً، فإما  
أنه فقد الوعي، أو ما هو أسوأ !  
ثم بدأ الأمر.

صوت سماح الذي لم أسمعه من قبل، أخذ يدوي بداخل رأسي مغرياً،  
يدفعني لفتح الصوان الخشبي، وأنا دون إرادة أطيع.  
الصوت لديه القدرة على التأثير على أطرافي، وبرغم ذلك لا يصل إلى  
أذني، وهذا سحر أم تليباشي.  
الصوت له قوة السلاح وقوة الكون ذاته.

أحاول أن أفتح الصوان، ولكنه أقوى من كل محاولاتي، ثم إن صوت النغاء،  
والحوافر الراكضة بداخله، تهون من حماسي ؟!  
أين أنت يا أصدقائي ؟! لماذا تركتموني وحدني ؟!  
أضرب الصوان بيديّ وقدميّ، حتى تدميّ، وفي النهاية أجثو على ركتيّ  
بأكياً.  
أضحك في هستيريا ..

هاهاهاها.. لن أستطيع يا سماح أن أفتح الصوان.. .

هاهاها.. إنه مغلق بوسيلة جهنمية..

هاهاها.. مغلق يا سماح برغم عدم وجود أفال على بابه؟!

الضحكات تقلب لتحبب، ووجه سماح الغاضب ينذرني بالويل.

لن أستطيع أن أفتح الباب.. ثم إني خائف.. لا أريد أن أفتح هذا الباب.

أصرخ من أعماقي..

أقاتل عدواً وهميًّا..

أنذر وأهدد وأتوعد..

لا لا لا لا لا لا لا.. لا يا سماح كفاك دفعي نحو الجحيم..

إن دموعك هذه.. .

لا يا سماح لا أستطيع أن أفقدك مرة أخرى.. ولكن هذا ليس بباباً عاديًّا..

إنه باب يطل على الجحيم.

- الدم..

أي دم يا سماح؟! وكيف يكون دمي هو المفتاح؟!!!..

أرجوك يا سماح.

لا لا لن أستطيع تحمل شعور فقد مرة أخرى، سأفتح الباب؟!

ها هو النصل الحاد، وها هي دمائي تسيل لتغرق باب الصوان..

لا يا سمااااااااااااااااااح..

الباب لم يفتح.. !!

لماذا خدعتني.. لماذا خدعتني يا سماح.

الباب.. يا إلهي.. ماذا فعلت بنفسي ؟!

أنا آسف يا سماح.. الباب لا يستجيب، لابد وأن دمائي.. .

صوت صرير مزعج..

الباب ينفتح بالفعل ولكن ببطء شديد.

ما هذا الحر الشديد، إن وجهي يلتهب، أي جحيم كان الباب يحصره

بداخل الصوان !!.

ما هذا الدخان الكثيف !؟

إنني أختنق يا سماح.

أحقاً ما تقولين !؟

هل سأموت !؟

لا يا سماح لقد فعلت ما طلبته مني.

أنتِ لست سماح..

نعم أنتِ لست سماح.. ولكنني لا أعرف لك اسمًا آخر.

أنتِ شيطانة من شياطين الشيخ ياسين.

اتركيني أرحل يا سماح.. اتركيني.. لا تكبليني بسحرك.

نافورة من الدماء تغرق كل شيء، الهول قادم، إن الشيطان سيخرج !

لا يمكن أن أسمح له.

وهذا التيس ذو القرون واللحية، والعين الدموية المشتعلة، ليس تيسًا طبيعياً،

إنه يطلق ثغاء مثله، لكن أقسم لك إنه ليس طبيعياً.

إنه الشيطان، أو هو تجسد مادي له.

لا يمكن أن أسمح له بالخروج.

لا تخربيني بأنك معي في هذا الأمل.. أنا وحدي من أواجهه.. أنا وحدي

احتراق بنيرانه..

ليكن.. ليكن.. ولكن كفني عن الإلحاد.. أخبريني يا من لست سماح..

كيف أقضي على الشيطان.. إبني لم أدخل معه معركة من قبل إلا وهزمني..

- الدم.

ولكن كيف ؟!

- دماء سبعة من الذكور على نصل مطلسم، تقضى على الشيطان.  
إذن ليست صدفة أنتي وأصدقائي سبعة.

بالفعل يا سماح لا يمكن أن يجتمع سبعة من الأصدقاء بهذه الأعمار المختلفة، وهذا الاختلاف في الطباع والطبقات الاجتماعية، ثم يحدث بينهم انسجام إلا لو كان في الأمر شيء مريب يجمعهم، شيء شيطاني.

- لا يوجد شيء في الكون يخضع للصدفة..

حسناً حسناً.. أنت على حق.. كم أنا أحمق..

إذا هل ستسمحين أن أخرج لأجلب باقي الأصدقاء؟! لماذا تضحكين؟!  
وكيف هم معندي منذ البداية؟!

الدخان ينقشع، سماح تلاشى، ولكنني أشعر بوجودها بداخلي، وبأنها أحكمت سيطرتها على روحي.

إنها تستحوذ على جسدي بعد أن استحوذت على روحي من قبل.  
الخنجر المطلسم في يدي، له ملمس غريب وكأنه يموج بالحياة.  
من أين أتي؟!

لا يهم، هاهم أصدقائي يتقدمون مني، الرعب على وجوههم محفور وكأنهم ولدوا به، عيونهم زائفة زجاجية وكأنهم دخلوا الحشيش منذ لحظات قليلة.

كل منهم يتقدم نحوه باسطاً كفه، لأجرحه بنصل الخنجر فيسيل دمه في  
إناء خزفي ظهر هو الآخر من العدم، الأول.. الثاني.. الثالث.. الرابع..  
الخامس.. السادس.. وأنا السابع.

هل عرفتم الآن من هو صاحب السوء؟!

أمزج الدماء مع بعضها بنصل الخنجر..

صرخة هادرة مع ثغاء عاليٍ، وكأنها صادرة عن تيس حقيقي. الدماء تتوهج  
بضوء أحمر قاني.. دخان أحمر كثيف له رائحة عطرية يتسلل إلى روحي.

سماح التي ليست سماح تمتزج بكيني، حتى إنني أشعر بقبضتها فوق  
قبضتي على الخنجر.

أتقدم من الصوان بخطوات متربدة وعيني مسلطة على عين التيس الذي لم  
توقف حوافره لحظة على جرح الأرض من تحته، وأعتقد أنه لولا السلال  
المعدنية القوية التي تقيده لالتهممني أنا وأصدقائي أحيا.

سماح تخبرني ألا أنظر في عينيه، ولا تعرف هذه الشيطانة أن عينيه هي التي  
تحتذبني.. إنه يحاول السيطرة علي.. !!

ماذا.. أقاوم؟!

لن أستطيع أن أقاوم؟! اتركي قلبي أيتها اللعينة إنك هكذا تقتليني.  
حسناً.. حسناً.. توقفي وسأطيعك.

سأقتله ولكن ساعدبني.. جيد.. هكذا سننهي الأمر.

- توقف أيها التعس.

هل هذا صوت جدي؟! هل أتى الشيخ ياسينأخيراً؟!  
حسناً.. حسناً.. سأتجاهله.

الآن الخنجر في يدي.. مشروع نحو السماء.. إنه يتائق.. نعم يتائق..

- لا تقتل المخلوق أيها الأحمق إنك بهذه الطريقة تقتلني.

صوت الشيخ ياسين من جديد ولكني أسمعه بصعوبة.

- ستقتلني أيها الأحمق.

أتجاهل الصوت، أتقدم إلى الأمام، حرارة لافحة تغمر كل شيء، نافورة الدماء تنشق من جديد من قلب العدم.

إنني أفقد إرادتي.. كل شيء يدور من حولي.

كما تريدين يا من لست سماح، سأقتل التيس.. الآن.

\*\*\*\*\*

لا أعرف ماذا أصابني في الدقائق السابقة، هذيان كان أم حقيقة، المهم أنني في النهاية، أغمنت الخنجر في قلب التيس والذي أطلق ثغاء طويلاً،

وصوت حشرجة متألمة صفع كياني، قبل أن يهوي أرضاً، ليتحول إلى ما يشبه القطران، أو الهمام الأسود الحار.

قطرة واحدة من الهمام أصابت يدي، قطرة واحدة وبدأ التآكل، إصبعي الصغير بدأ في التحلل والتساقط، ولكنني لم أنتظر برغم الألم الشنيع، وبنفس الحجر بترت الإصبع من قاعدته، لن أسمح بأن يمتد التآكل إلى باقي جسدي.

الألم شنيع .. !!

هل سأ فقد الوعي الآن ؟

ماذا يحدث لجدي الشيخ يا سين، هل قتيته بالفعل ؟!

جسد الشيخ ياسين يتفضض في عنف أمام عيني، وكأنما أصابته حالة صرعية، وهاهو يرتعش والزبد يتتساقط من بين شفتيه وكأنه يحتضر، وقبل أن أفقد الوعي رأيت الجسد يتصلب وكأنما فقد الحياة، وحوله تناثر أصدقاءي فاقدى الوعي أو أموات لا أعرف حقاً.

فقدان الوعي لم يستمر معي سوى لدقيقة واحدة، أو أنه كان سيستمر، لو لا شعوري بالبرودة الشديدة مع إحساس عارم بالتحرر. إن الشيطانة تغادرني الآن لستجسد في فضاء الغرفة كطيف جهنمي بعيدون حمراء قانية متألقة وعلى رأسها قرنين مخيفين.

لقد انتهى الاستحواذ، ولكن لم ينتهي الأمر بعد.

أطلقت الشيطانة أو شبحها صرخة عالية كادت أن تصيبني بالصمم ومعها بدأت البيران تشتعل في كل شيء، نيران زرقاء جهنمية لا دخان لها ولكنها تحويل ما تلمسه إلى تراب. إنها تمحو كل الآثار، من سيأتي بعد فنائنا لن يعرف أننا هنا.

انقضت برغم الألم الشنيع الذي شعرت به في مكان إصبعي المبتور،  
وعيني مسلطتان على أجساد أصدقائي المسجاة على الأرض، والنيران  
التي تقترب في سرعة جهنمية منهم، ويارادة لا أعرف من أين نبعث،  
سحبت أجسادهم خارج الغرفة، جسداً خلف جسد، وأنا أكاد أفقد الوعي  
مجدداً من فرط المعهود والآلم.

وَعِنْدَمَا أَخْرَجَتْ آخِرَ فَرِيدِهِمْ، وَغَادَرَتِ الْمُرْفَةَ، تَحَوَّلُ الْمُرْفَةُ لِآتُونَ  
مُشْتَعِلًا مِنَ النَّيْرَانِ وَأَتَتْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى جَثَّةً جَدِيًّا.

وفي نفس اللحظة سمعت صرخة عاتية، صرخة آتية من أعماق الجحيم :

- لا... اتركهم.. إنهم لي.

و عندما نظرت نحو مصدرها و قلبي يكاد يشب من صدري، وجدت سماح تتجسد في المكان و كأنها طيف هلامي شيطاني الملائم، مع إحساس عارم

بأنها تجاهد لتحتفظ بتواجدها في عالمنا. بدت كصورة تلفزيونية مشوшаة.  
كانت تصرخ من الغضب وتصب علي رأسي كل أنواع اللعنة.  
ثم فجأة أطلقت صرخة مدوية، بدا الأمر وكأنها تُذبح أو أن هناك من يتزرع  
 أحشاءها في قسوة.

كانت تتآلم، تتعدب، ثم بدأت تتلاشى وينجو تألق عينيها، ثم وهي تتلاشى  
 سمعتها تخبرني بما وددت لو أصبحت بالصمم قبل أن أسمعه.  
 كانت تخبرني بأن حماقتي حرمتها من الأضحيات السبع، وأنني انتزعتهم  
 من بين أنياب الموت الحادة، ومنعتها من العودة لعالمها.  
 لم أستطع أن أرد عليها أو أجيبها.  
 فقط سقطت على ركبتي، وأنا أتعلّم نحوها بإرهاق ممزوج بالغضب.  
 استمرت للحظات تصرخ وتتلوي وفي النهاية ألقت لعنتها :  
 سبعة هربوا من أنياب الموت.. سبعة سيعودون لغريب الموت.. سبعة  
 سستقتلهم شهواتهم الكبرى.. سبعة لن يروا القمر التالي.

## اللعنة

عادت عايدة من الخارج، وذهنها المكدوود يحسب الوقت المتبقى لها لتنظيف المنزل، وفي نفس الوقت يقيس حجم المنزل الكبير، وبحسبة بسيطة وجدت أنها فقدت وقتاً ثميناً بالفعل.

لقد أهدرت ساعة كاملة أو أكثر بالخارج، فهي استغلت فرصة غياب الشيخ ياسين لتعود صديقة قديمة لها في نفس البلدة، وصل لها بالصدفة خبر مرضها عن طريق صديقة مشتركة أخرى قابلتها في السوق هذا الصباح.

لذا تجدونها عائدة وعلى وجهها علامات التفكير العميق والهم، تقطع الطريق بخطوات واسعة لتختصر الزمن، كانت تريد أن تنتهي من تنظيف المنزل في أسرع وقت، وقبل عودة الشيخ ياسين، فهي تحرص على عدم إثارة سخطه، خاصة وأن أحواله هذه الأيام غير مستقرة، وأعصابه ثائرة على الدوام.

لم تكن تتوقع مفاجآت من أي نوع عندولوجها للمنزل، لذا فإنها عندما عبرت الباب الخارجي، ومشت صوب الصالة في الرواق القصير المفضي لداخل المنزل، أصابتها الصدمة بحالة وقنية من الذهول، فتجمدت مكانها كتمثال من الشمع، وهي تشاهد بقلب خافق وأنفاس لاهثة وعيون متسبعة من الهلع، السيرك الجهنمي المنصوب في صالة المنزل.

فأمام عينيها الجاحظتين، كان هناك سبعة من الشباب في أعمار مختلفة، ممددين فوق الأرض الصلبة الباردة، في حالة أقل ما يقال عنها مزريّة وفي أوضاع غير مريةحة، وبيدو على وجوههم رعب عاتٍ، وكأنّهم قابلو شياطين الجحيم قبل لحظات من موتهما أو فقدانهم الوعي.

عايدة حتى هذه اللحظة لم تتأكد بعد، ولن تجرؤ على التأكيد من حقيقة كونهم أحياً أم لا، لأنها تؤمن بالفعل بكونهم أموات.

البيتين سيفقدانها صوابها، إن ميراثها القديم من القصص المخيفة عن الجن والشياطين والأشباح، والذي أججها عملها لدى الشيخ ياسين، يحطّم جدران تعقلها وتماسكها.

إنها لا تصدق ما يحدث، أقصى كوابيسها بشاعة أن يصيّبها الشيخ ياسين بلعنة عند غضبه أو يخرج لها شبح من خلف باب غرفته المغلقة، لذلك كانت تطيعه ولا تعصي له أمراً كي تتحاشى مثل هذه الأشياء المخيفة.

إنها قادرة على التصدي لكل ما يمكن لمسه وقياسه، حتى إنها تصدت ذات يوم للص يفوقها قوة وجندلته بعزيزتها ولكن ما تراه الآن من خارج عالمها، شيء لا يمكن التصدي له أو حتى مجابهته، هذا لو استطاعت تصديق وجوده من الأساس.

الموقف الآن يفوق كل حدود إدراكها، لذا فإنها تقف بالقرب من غرفة الشيخ ياسين والتي تشتعل النار بداخلها كالجحيم في ذهول، قابضة على

تلك الأكياس التي تحتوي على المنظفات، وكأنها تستمد منها عوناً غير موجود.

تشاهد ألسنة اللهب وتسمع فحيحها بعيون وآذان مكذبة. وحتى هذه اللحظة لم تتبه إلى أن النار المستعرة بلا دخان، وأن هذه النار الهائلة لم تتجاوز حدود الغرفة، حتى إنها لم تلمحها عند قدمها من الخارج برغم كثافة النيران.

بالطبع كان هذا جزءاً من الحظ الحسن الذي لن يراه الفتى بعد اليوم، فالنار لم تغادر الغرفة، ولم يمتد تأثيرها إلى أي مكان آخر، وإلا لأتت على المنزل بالكامل وجعلتهم جثتاً متفحمة. وهذا بالتأكيد يدل على كونها نيراناً غير طبيعية تماماً.

أنفها المتقلص يلتقط رائحة شنيعة، وكأن هناك من يحرق جثة حيوان نافق كثيف الشعر وهذا أثار تقرزها.

أما ما جعلها تترك كل شيء لسفر مغادرة المنزل، وصرخاتها لا تنتفع، هو تلك الشياطين التي كان تصطلي بداخل النيران.

إن أبغض ما رأته في حياتها يوماً، كان وجه زوجة أخيها المشوه بعد أن احترق بالكامل، عندما انفجر فيه موقد الكيروسين، هذا الوجه المشوه والذي ذابت ملامحه وطمسه، ظل يطاردها في أحلامها لشهور طويلة،

هذا الوجه المشوه، كان هو الجمال المجسد بجوار الهول الذي تراه  
بداخل النيران.

الشر البكر.

والقبح البكر.

والرعب البكر.

لم يستطع جهازها العصبي أن يتحمل أكثر.

هل جنت؟!

هل استحوذت عليها روح شريرة؟!

هل قتلتها الشياطين؟!

لا أحد يعرف أو يهتم، هي فقط غادرت، ولم تعد إلى الأبد.

شباب الحي، هم من أنقذوا المراهقين السعة من بين أنياب الموت  
المتحقق، خاصة وأن المنزل العتيق قد بدأت بعض جدرانه تتشقق وتتصدع،  
وكان هناك زلزال محدود يضرب المنزل فقط، دون باقي المنطقة.

لحظات عصبية مرت على الجميع، وفي النهاية هدا الأمر، وبداخل منزل  
أحد أثرياء الحي، وهو المعلم (عمان) تاجر الخردة المعروف والمشهور،  
تم عيادتهم وإفاقتهم.

الصمت كان إجابتهم على كل الأسئلة، الصدمة كانت تكتسحهم، لقد مروا بتجربة عمرهم، ولن يعودوا لطبيعتهم قبل وقت طويل، وربما لن يعودوا أبداً، وهذا فتح باب التكهنات والتفسيرات والاجتهادات لدى الجميع في تلك الجلسة الطارئة بمنزل المعلم (عتمان).

إن موت الشيخ ياسين حدث جلل وأصاب الجميع بالصدمة، وبرغم رؤيتهم جمياً للغرفة المفتوحة، ما زالوا لم يصدقوا تلك الحقيقة المجردة، أن من هو مثله من الممكن أن يموت.

البعض ردّ وهو يبسمل ويحوقل، أن الجن قتله.

والبعض قال إنها الشياطين، وفي النهاية قال شيخ المسجد إنها أعماله الدنسة هي التي قادته للهلاك.

الجزاء من جنس العمل، فالله لا يترك فاسداً ولكنه يمهله بعض الوقت لعله يتوب عن غيه، والشيخ ياسين كان من هؤلاء المدنسين الذين عقدوا مع الشياطين معاهدة، فجاءت نهايته في قلب نار الدنيا وغداً يصطلي في نار الجحيم.

وكانت هذه هي الفكرة الرئيسية التي دارت حولها أحاديثهم المطولة، ولا أحد يستطيع أن ينكر أن لهجة الحديث جميعها، كانت ممزوجة بالتشفي وخاصة مع طريقة موت الشيخ ياسين البشعة واحتراق جشه.

ومجمل الحوار كان فكرة لم تقل صراحة لمشاعري، وكأني في هذه اللحظات كنت مصغياً أو مهتماً، و هي أن الشيخ ياسين قد نال ما يستحق، وهو ما دفع تاجر الخردة المعلم (عثمان) ليتحدث بأريحية أكثر وهو يعدل من وضع الجلباب الذي يرتديه، قبل أن يعبث في شاربه قائلاً :

- إنها النهاية المتوقعة لكل دجال ومشعوذ.

ثم حكى بطريقة العالم ببواطن الأمور، قصة ذلك الدجال الآخر الذي كان يمارس فنون السحر السوداء في إحدى البلاد البعيدة التي زارها في بداية حياته، قبل أن يصير ذلك الشري الذي يرونه الآن، والذي كان يفسد كل عرس لم يقدم أهله بطلب بركته ودفع الإتاوة التي يحددها، وذلك عن طريق التفريق بين الأزواج، لدرجة أن إحدى الزوجات كانت ترى زوجها كلما اقترب منها وحشاً مخيفًا شبيع الشكل، وكيف أن نهايته جاءت تحت عجلات سيارة نقل كبيرة، سوتة بالأرض مزجت لحمه بعظامه عندما كان خارجاً من المقابر بعد أن قام بburial أحد الأعمال السفلية بها.

وكيف أن دجالاً آخر، كان مدمناً على الكحول الأحمر، وكيف أنه ظل يعاني من العذاب لثلاثة أيام وحيداً في غرفته بعد أن سُمِّ الكحول الملوث دماءه، حتى عشروا على جشه المتعرنة.

كان ما يحكيه شيئاً، ولكن المستمعين كانوا يتبعون بشغف، وكلاً منهم  
يؤمن بأنه أقل مما يستحقون. وردد أحدهم أن أيام المجد القديمة قد ولت،  
فيهم في العصور السابقة كانوا يحرقون السحرة في بلدان عدة.

شجعت حميمية الحوار الجميع، حتى إن أحدهم، وهو شاب نحيل مجعد  
الشر أدلبي بدلوه هو الآخر في الحديث وقال :

لقد قشت علي جدتي وأنا في الخامسة عشرة من العمر كيف أن أحد  
هؤلاء الدجالين، استحضر جنًا لم يستطع أن يصرفه، وظل هذا الجن  
 أسبوعاً كاملاً، يهشم في عظامه الواحدة تلو الأخرى، دون أن تمتد يد  
لتسعده، وفي النهاية مات في غرفته من الجوع والعطش والألم.

كانت حكايات يشيب لها الولدان وتقشعر منها الأبدان، وكانت النهاية  
لهذه الليلة الطويلة، وعندما ذهب كل صبي إلى منزله، كانت هناك عين  
مشتعلة بالغضب تتبعه في قسوة.

## - مَاذَا حَدَثَ؟ ! -

يقولون إن النوم بروفة يومية للموت، وهي حقيقة ساندتها بعض الصوص الدينية، وأنا شخصياً أؤمن بها، وبالتالي أؤمن أن كل يقطة حياة جديدة يمنحها لنا الخالق ويجب أن نحمده عليها إلى آخر نفس.

ولكن مَاذَا عن الاستيقاظ وأنت تعلم جيداً أن هناك من يسعى للانتقام منك  
ومحوك من سجلات الأحياء؟!

مَاذَا عن الاستيقاظ وأنت تعلم أن الموت صار قاب قوسين أو أدنى من عنقك حتى إنك تشم بأنفك المتقرضة رائحته، وتشعر بأهدابه الناعمة تداعب روحك المهمشة؟!

هل ستستسلم أم ستقاوم؟!

أنت في السابعة عشرة من العمر، لا تملك خبرة أو قوة أو أعواناً؟!

أنت فقط أمام الموت.. !!

الموت الذي أفنى قبلك من هم أكثر قوة وشجاعة وأعز نفراً.

لنفكر سوياً، لو كان هذا الشخص بشرياً عادياً، فربما لتوصلت لوسيلة لاكتشاف نقطة ضعفه والقضاء عليه قبل أن يقضي هو عليك.

لكنه للأسف ليس بشرياً حقاً.. !!

فهل يقتله ما يقتل البشر !؟

إنه مخلوق من عالم آخر.. عالم مظلم.. عالم لم يعرف إلا الشر.

صدقني، أنت في هذه اللحظة سترى موت ليستقيقظ موت آخر  
أشد قسوة.

ستستيقظ بلا أمل.. لأنك تتوقع الموت في كل لحظة.

أنت فقط سترى موت العذاب قبل الموت، فالأفضل لو ظلت في  
موتك الأولى الرحيمة، لأن الشياطين حين تقرر الانتقام، سيكون انتقامها  
أسطوريًا.

وهذه كانت حقيقة مشاعري عندما استيقظت في الصباح التالي كما  
اعتقدت، وبعد ستة أيام من الحادث كما أخبرني المعلم ( عثمان ) صاحب  
المكان الذي يؤمن بي الآن.

ظننت في البداية أن الأمر كله مجرد كابوس آخر، وسينتهي بمجرد أن  
أفتح عيني، وحاولت أن أستسلم لهذا التفسير المرير، ولكنني عندما فتحتها  
ووجدت نفسي في مكان غريب عنِّي كليًّا، الأثاث مختلف والصور مختلفة،  
والضوء يعيش في كل مكان، إنه النقيض الحقيقي لمنزل الشيخ ياسين  
الذي لا تكفي ألف شمس لمحو ظلمته.

الجميع هنا غرباء عنِّي، وهذا كله يؤكد لي حقيقة واحدة، أنني في مأزق لا فكاك منه.

انقض قلبي عندما تذكرت الأحداث الأخيرة، وطفت على السطح كلمات تلك الشيطانة والتي أخذت تدوي بداخل رأسي، لتحيل يومي لعذاب مقيم، وظللت ساحتها المخيفة التي بدا وكأنها التصقت بعيني تورثي رعباً لا مثيل له.

لوقت طوبل لم أستطع السيطرة على جسدي وكأنني أصبحت بسلل مؤقت، تذكرت والدي، وبكيت وأنا أستجدي مساعدتهما كطفل صغير، إنها اللحظة الفارقة التي أحتاج فيها إلى من يعانيقي ويربت على كتفي، ويخبرني أن الأمور ستكون على مايرام، ولكنهما رغم كل شيء مرا على عقلي كطيفين ولم يمنحاني السكينة التي أرجوها.

إنني في منزل غريب، وهناك من يعودني ويعولني ويمنحني الطعام ويحرض على راحتي. إن الأمور جيدة إلى حد ما ولكنها ليست الجنة حتىًّا وليس لها نهاية مشكلاتي.

إلى متى سيتحملونني وإلىكم سأتمادى؟!.. إنني خائف، وخوفي هذا يدفعني للهروب من التفكير في تلك اللعنة المخيفة التي تلاحقني.

وبرغم أن هروبي من التفكير في الأمر لن يغير من كارثته شيئاً ولن يعني عدم وجوده، إلا أنني لست على استعداد الآن لمواجهته، وهذا هو المخيف في الأمر.

لن أستطيع أن أهرب من المسئولية مدعياً صغر سني فمن هم في مثل عمري رزقوا بطفلهم الأول، وبعدهم ارتكب جريمته الأولى والبعض الآخر يواصل رحلة هروبه مطارداً، لذا فالاستسلام لن يعني الفشل ولكنه سيعني الموت، على الأقل فأثبتت لنفسي أنني لست جباناً أو أحمق، إن أرواح أصدقائي معلقة في عنقي بعد أن زجحت بهم في هذه المغامرة القاتلة.

يجب أن أهدأ وأن أعقل الأمر، فلو نظرت لنص اللعنة لوجدت أن تلك الشيطانة الجهنمية، حددت طريقة هلاكتنا عن طريق استسلام كل منا لشهوته الكبيرة.

حقيقة لا أعرف ما هي شهوتي الكبيرة، وإن كان من في مثل سني قد يمتلك ما يمكن أن يطلق عليه شهوة.

ما أعرفه أنه قد يكون تعلقاً أو اندفاعاً. لا أعتقد أن الشر الحق قد تمكّن من أرواحنا بعد في هذه السن الصغيرة.

بالإضافة إلى أن كلاماً منا ينظر لنفسه على أنه الإنسان الكامل، والإنسان الكامل يتحكم في نفسه ولا تسيطر عليه نزواته أو نفائه، هذا إن كان يؤمن بوجود هذه النفائه.

لذا فتحديد تلك الشهوة التي ستجر كلاماً منا إلى الهلاك وارتكاب إحدى الخطايا الكبيرة والتي ستعاقب علينا بالموت، أمر صعب جداً بل مستحيل أيضاً. فنظرة المجتمع لل فعل هي التي تحدد درجة سوءه، فالمجتمع الذي

يسمح بتجارة المخدرات والدعارة المرخصة وبيع السلاح، لن ينظر لهذه الأشياء بالازدراء الكافي لجعلها خطيئة. ثم كيف تفوق الخطيئة خطيئة أخرى؟! إن الأمر مطاط جدًا.

الوحيد الذي أعرف أنه يمتلك ضعفًا حقيقياً ربما يصل لمراحل الشهوة والمرض هو نجيب، إنه يعشق الطعام أكثر من الحياة ذاتها، وربما هي الشهوة الوحيدة التي لا يمكن إخفاوها بسهولة. وهي شهوة قاتلة دون شك على المدى البعيد، ولكن كيف ستقتله قبل اعتلاء القمر القادم قبة السماء؟!

باقي أصدقائي متشاربين ويميلون لنفس طريقة التفكير ولنفس النزق. ربما أعمارهم متفاوتة وظروفهم البيئية مختلفة، ولكن خيط الجمجمة يجمعهم.

لابد من الجلوس معهم في جلسة مصارحة، كلّ منا يجب أن يقاوم ضعفه ولا يستسلم. هكذا نستطيع أن نهزم اللعنة.

قمر واحد فقط يمضي، ونكون قد هزمنا تلك الملعونة.

الأمر دون شك مخيف بل ومدمّر للأعصاب، ولكن الاستسلام الآن لن يعني إلا الهاك حقًا، فقط يجب أن أواجه نفسي دون أن أجّن أو أقتل نفسي، فتحقق الموت أهون من انتظاره كما يقولون.

إننيأشعر ببحيرة شديدة مختلطة بخوف مريع، إن استيعاب الأمر ليس هيئًا، وهضميه يحتاج إلى جالون كامل من المشروبات الغازية، وربما لن أهضمه في النهاية أو أستوعبه.

والسؤال هنا : كيف جرت الأمور بهذه السرعة ؟!  
هل كان الأمر عشوائياً، أم أن الأمر كله كان مرتبًا حقًا دون أن أدرى ؟!  
ما أنا متأكد منه تماماً، أن الصدف في مثل هذه الأوقات، هي أفعال مع  
سبق الإصرار.

فأن تكون سبعة، وأن يواافق الجميع على القيام بمعamura غير محسوبة في  
منزل الشيخ ياسين الذي يخشى أعتى الرجال الاقتراب منه، وأن يغادر  
الشيخ ياسين نفسه المنزل وتتبعه مدبرة المنزل عايدة - إن صح أن أطلق  
عليها هذه الصفة - إنها مؤامرة متكاملة الأركان.. فقط أنا من كنت أحمق  
ولم ألحظ في الأمر شيئاً مريبًا.

ربما لاحظت وربما لاحظنا جميعاً، وشعرنا بذلك الحضور الذي يدفعنا  
للولوج إلى الغرفة، ولكننا لم نبال ولم نفكـر.  
إن الأمر كله خارج الحدود الطبيعية.

ثم من هذا الأحمق الذي يقع في عشق شيطانة من الجن.  
ما زالت الأمور مشوشة في عقلي وغير قابلة للتصديق والتساؤلات لا تنتقطع.  
ماذا حدث حقًا بغرفة جدي ؟!  
وهل ما مرت به كان حقيقياً وأن جدي لم يعد على قيد الحياة، أم إنه  
سيثبت للجميع أنه أقوى من الموت وسيعود ؟!

ما حقيقة هذه الشيطانة، وما حقيقة اللعنة التي ألقتها علي أنا وأصدقائي، وكيف لن يمر علينا القمر التالي، إن الأمر مخيف إلى أقصى مدى، ولابد من أن أستعين بشخص ملم بمثل هذه الأمور المخيفة، شخص يفهم فيها وقدر على التصدي لها وإنهاها.

وفي حالي هذه لا يوجد إلا الشيخ (تهامي الحو) شريك جدي في أعماله ورذائله.

لن يفل الحديد إلا الحديد.

\*\*\*\*\*

في اليوم التالي غادرت منزل المعلم (عممان) بأطراف مرتجفة وقلب منقبض وأعصاب هشة، لم أتصور نفسي عائداً بإرادتي الحرة إلى منزل الشيخ ياسين، بعد كل الأهوال التي مرت بها ولو للحظة واحدة، ولكن ما جعلني أوافق، أنني عرفت أنها زيارة خاطفة، فقط لأحضر ملابسي كي أنتقل لبيت أحد أقربائي المجهولين والذين ظهروا فجأة من العدم ليطالبوا بالميراث.

ولك أن تتأكد من شيء واحد فقط، أنك عندما ترث دجالاً بخيلاً، فلك أن تتوقع ميراث قارون على أقل تقدير.

وهذا الميراث سيجعلك تحمل سخافة أن تستضيف مراهقاً مزعجاً مثلـي في منزلك.

لم أكن مهتماً للحظة واحدة بمثل هذه التفاهات من ميراث وخلافه، إني أواجه مصيبة كبرى، مصيبة لا تعني أن في عمري وقت كافٍ للدخول في صراع على شيء لا قيمة له كالميراث، مصيبة لا تعني إلا شيئاً واحداً.. أني وحيد في مواجهة هذه القوة الغاشمة الآتية من عالم آخر.. والتي فتح بوايتها شيخ أحمق ظن أن قدراته السخيفة وعلمه السطحي بأمور السحر.. قادرة على التحكم في ذلك العالم المخيف وشياطينه، إن الغرور البشري سبب كل المصائب بدءاً من صراع قabil وهابيل حتى حماقة الحرب العالمية.

هناك من يظن نفسه أعلى مرتبة من كل البشر، ومن هنا يبدأ في استخدام كل الوسائل التي تجعل منحنى بشريته وإنسانيته، يهبط إلى أدنى مستوياته. وتلخص مصيبي في أن من قررت أن أستعين به في مواجهة هذه القوى المخيفة، خذلي، وغادر هذه الدنيا ليتركني وحيداً.

لقد مات الشيخ (تهامي الحو).

مات محترقاً هو الآخر وتفحمت غرفته، تقريراً في نفس اللحظة التي مات فيها الشيخ ياسين، ولم يخبرني أحد بهذه الحقيقة ربما لأنه لا يربطني به صلة قرابة، أو هي حالي المتدهورة وقتها، أو جو الشؤم العام الذي ظلل الحي، فلم أعرف إلا الآن.

وليتي ما علمت، إن وجود الأمل مهما كان مستحيلًا، يمنحك طاقة هائلة من القدرة على الصمود والمواجهة، ولكن ييدوا أن هذه الشيطانة تعرفني جيداً أو تعرف السبل التي سأسلكها، لذا فهي ستظل متقدمة عني بخطوة، وهذه الخطوة ستجعلها متحكمة تماماً في كل مراحل اللعبة.

قط وفار.

صياد وطريدة.

موت الشيخ (تهامي الحو) لم يكن هادئاً مثل موت جدي الشيخ ياسين، من كانوا بالقرب من المنزل حكوا أشياءً تشيب لها الرؤوس.

لابد أن شيئاً ما كان يربط بينه وبين الشيخ ياسين وبين هذه الشيطانة، وبين التيس الذي كان في الصوان الخشبي.

سحر المشاركة.. نعم هو سحر المشاركة دون شك.

أن ترتبط حياتهم جميعاً، بتعويذة واحدة، لذا كان القضاء على أحدهم هو القضاء عليهم جميعاً.

كيف كان الشيخ ياسين بهذه الحماقة؟!

إن سحر المشاركة أعقد أنواع السحر وأشدتها سواداً، وأكثرها ضرراً خاصة مع مرور الزمن.

فالشياطين لديهم دورة حياة تفوق دورة حياة البشر، إنهم يصرون حتى يصاب البشري بالضعف ثم ينقضون عليه مثلما حدث مع الشيخ ياسين.

فالشيء الأكيد أن التيس كان هو الوسيلة التي استخدمها الشيخ ياسين للتحكم في هذه الشيطانة، وهو ما كان يجبرها على طاعته، ويجبرها على التواجد في عالمنا طوال الوقت.

وعندما قررت الفرار والانتقام، كان لابد لها من القضاء على الشيطان المتجسد في شكل التيس، وأيضاً الشيخ ياسين وشريكه (تهامي الحو).

ما حكاه جيران الشيخ (تهامي الحو) كان مريعاً، فالنساء اللاتي شهدن هذا الموقف شابت شعورهن والأطفال أصيروا بالتبول اللاإرادي.

ففي نفس اللحظة التي احترق فيها الشيخ ياسين، شعروا بأن الجو أكفره، ورأوا الشمس وقد غابت خلف مجموعة من السحب السوداء التي انشقت العدم عنها، وانقضت قلوبهم عندما اجتاحت المنطقة رياح ساخنة جعلت صدورهم تضيق، وأنفاسهم تتلاحق، ووجوههم تلتهب من الحرارة، قبل أن تنطلق الصرخات.

صرخات عاتية مشؤومة.. أنت من قلب الجحيم.

صرخات لم تكن صافية، ولكنها مختلطة بصوت الشيخ تهامي وهو يعوي متألماً كمن يُشوى في سقر، أو كأن هناك من يسكن الحمم الملتهبة في جوفه.

وكالعادة لم يجرؤ أحد على التدخل لنجدته، وظل وحده يعاني لساعة كاملة حتى فارقته الحياة.

حقيقة مؤكدة ومدعمة، أن من يسلك هذا الطريق، يلقى نهايته وحيداً على الدوام وبأبشع طريقة ممكنة.

هذا ما ردده العجائز الذين حضروا موت الشيخ تهامي ولم يفارقوا الحياة من الفزع.

أما الملاحظة التي أثارت رعيي ووترت أعصابي، هي تلك العبارة المشوومة التي وجدت على جدار البيت الخارجي مكتوبة بالدم :

- الأول يتلاشى في اليوم السابع.  
وأسقط في يدي.

إنها طريقة مشهورة لدى القتلة المتسلسين في اقتناص الضحايا، ربما تنقص هذه الشيطانة روح الابتكار، ولكن الأمر لا يحتاج لتوابل إضافية ليكون مخيفاً، إن التهديد بالقتل له تأثيره المفزع في كل وقت.

غادرت منزل الشيخ ياسين بصحةشيخ المسجد وبعض شباب الحي؛ الذين تطوعوا لحمايتها من أي شر قد يكون متواجداً بداخل هذا المنزل.

لقد تحول المنزل لمنزل أشباح آخر. وربما لن يقطعه أحد للقرن القادم.

لم يجرؤ أي منا على مجرد النظر نحو غرفة الشيخ ياسين التي تداعت جدرانها، إنها لم تعد غرفة عادية، لقد اكتسبت شخصية مخيفة، وأصبح لها حضور يحشم على الصدور.شيخ المسجد نفسه والذي يحمل القرآن كاماً في جوفه، لم يتوقف جسده لحظة عن الارتفاع طوال فترة وجودنا بالمنزل.

وبالفعل تمت المهمة، وقبل أن أغادر المنزل لمحت بطرف عيني ذلك الطيف يخترق إحدى جدران البيت. لقد كانت سماح تنتظري هناك، تنتظر عودتي. وعلى وجهها المشوهة لمحت ابتسامة مخيفة، فغاص قلبي في قدمي.

اليوم هو اليوم السابع.

ولا وقت للالجتماع مع أحد، خاصة وأنني سأغادر على الفور إلى محافظة أخرى، إلى الفيوم فالسيارة تقف بانتظاري وتنفث العادم وكأنها ثور غاضب، كدليل على حاجتها لـ(عمره) سريعة.

ركبت السيارة دون أن أودع أحداً، حتى أصدقائي غادرتهم دون أن نجتمع  
معاً لنتباحث في أمر اللعنة التي لا يدرؤن عنها شيئاً.

فلينجوا كل منا بنفسه لهذا اليوم، وغداً سأجد وسيلة لأتصل بهم وأحذرهم.

ثُرى من سيكون أول الملعونين !؟

فلييرأف القدر بمن سيتلاشى اليوم.

## - الجيم -

انطلقت السيارة البيجو تنهب الأرض، غير عابئة بما يدور بداخل صدور ركابها وقلوبهم الخايفة، إنها فقط ت يريد أن تنتهي حتى يستريح موتورها ويستعد للرحلة القادمة.

أشعر بها تماماً، وكأن هناك تواصل روحي بيننا، أنا وهي جزء واحد من كل عظيم، أنا وهي نعزف نفس النغمة ونردد نفس اللحن، ونتاغم كمقطوعة موسيقية حالمه.

الزمن هو هذه اللحظة اللانهائية، والمكان هو الاحتواء الكلي، أنا أفهم شعورها تماماً، أتفاعل معها، كم هذا غريب. إن الأمر يفوق كل شعور تملك روحي ذات يوم، كيف أتواصل مع كومة من الأسلاك والمعدن تسير بوقود عضوي فوق إطارات مطاطية.

أم هي اللعنة؟! هل سأكون أنا الأول؟! هل سيكون رأسي أول رأس يحصد الموت.

أنا من بدأت الأمر فلا عجب أن أكون أول المتلاشين.

توترت أعصابي للحظات ثم عدت لاستغرق في التفكير أكثر.

هل يشعر الجمامد، وهل من الممكن أن يبادلنا المشاعر؟!

لما لا.. !!

كل من يقود سيارة لوقت طويلاً يشعر بهذه الصلة، من يعمل على ماكينة لزمن ممتد يشعر بهذا التواصل، حتى إنه لو جرب قيادة أو العمل على واحدة أخرى من نفس النوع، لا يجدها تتفاعل معه بنفس الطريقة وتمنحه نفس الأداء.

إن الجماد يُسبح الله طوال الوقت، وهذا مذكور في نصوص القرآن، فقط نحن لا نفقه تسبيحه، ولكن هل يتفاعل مع البشر؟!

أنا أعتبر النبات كائناً حياً، ومؤخراً كشف العلماء أنه يتآلم ويفرز مادة مسكونة، بل ويحذر النباتات الأخرى في ساعات الخطر بتلك المواد التي يفرزها، ولكن هذا ليس سؤالـي.

إنني أصغي الآن لمشاعر السيارة.

هل الأمر حقيقي؟! أم هو خلل حدث لعقمي من هول التجربة؟!  
هل امتلكت الموهبة أم هي طريقة فذة لإصابتي بالجنون، إن من يستمع للجماد قد يفقد عقله ببساطة من الصخب والضجيج الذي لن يتوقف، ولكنني أحـمد الله أن الأمر اقتصر مؤقتاً على السيارة.

هزـت رأسي ونفـضت أفـكري وقررت أن أتشـاغل بموقـيـ الجديد، إنـها المـرة الأولى منـذ سـنوات طـوـيلة التي أغـادر فيها القـاهـرة.

في الحادث الأول غادرت من مدينة نصر إلى شبرا، أما الآن فأنا أقطع الطريق الصحراوي نحو الفيوم. التي لا أعرف عنها إلا أن أسفل مياه بحيرتها يقع كنز قارون والذي خسف به الله وبداره الأرض، وهو شيء غير مهج فالذي يصطفيه الله بعذاب خاص هو أشد أهل الأرض تعasse، وبلدته لن تكون أقل منه تعasse.

الصحراء تمتد على مدى البصر، وال فكرة تداعب خلايا عقلني مرة أخرى، ماذا لو لم يمنع الله عنا صوت التسبيح القادم من ترليونات ذرات الرمال. هل كنا لنستطيع يوماً الاقتراب من الصحراء. مع الصخب والأصوات الهادرة التي ستخرج من مخلوقات لا هم لها إلا طاعة الخالق ومرضاته. مخلوقات قررت أن تترك الأمانة وتتفرغ لعبادة الخالق. مخلوقات لم تصب بالغور كبني البشر.

مرة أخرى سيطر عليّ الأمر وشتت تفكيري، ربما كان الأمر بالنسبة لي مجرد هلاوس.

فالصلة التي نشأت للحظات بيني وبين السيارة انقطعت الآن.

وبصعوبة عدت بيصري من خارج السيارة لداخلها، كنت أجلس وحدي في المقعد الخلفي الذي يتسع لفرددين، وأفراد عائلتي الذين ظهروا في محيط حياتي من العدم كنبات شيطانية، محشورون معًا في المقعد الأمامي

والأوسط، إنهم يرسلون لي رسالتهم منذ اللحظة الأولى.. أنت لست مرغوباً فيك ولكنها الظروف التي تجبر الجميع.

الجلي الآن أنهم قد عزلوني عنهم ولم يقبلوني كفرد بينهم.

لم يتبادل أي منهم معي ولو حتى كلمة واحدة مجاملة أو مواساة، إنهم جاءوا للحصول على الميراث فقط ثم عادت معهم هذه المصيبة المتمثلة في شخصي.

قررت أن أغمض عيني للحظات فالطريق طويل، وهذا الصمت المخيم على السيارة يطبق على صدري، ومنظار الدنيا الأسود عاد ليغطي وجهي ليشي بطبيعة الأيام القادمة.

الوم كان مستحيلاً. ولكني فضلت أن أغمض عيني كي أمنحهم مساحة من الحرية في الحديث. وفور أن شعروا بهدوء أنفاسي، وأيقنوا بنومي بدأ الحديث وظهرت كمية الجشح والسعادة التي يشعر بها كلّ منهم لفوزه بجزء من وليمة الميراث.

فالشيخ ياسين رجل ثري.. عكس ما أعرف تماماً !!

لديه حساب متضخم في البنك يتعدى الأصفار الستة، كما أنه يمتلك ثلاث عشرة قطعة أرض استولى على بعضها من الفلاحين عن طريق أعماله

الشيطانية، ويمتلك أيضًا ثلاثة بيوت غير الذي مات فيه، ولديه نصف السوبر ماركت الموجود في شارع شبرا. غير ما ورثه عن ولده المتوفى. ثروة هائلة تكفل لهم ولأحفادهم عيشاً رغيداً، خاصة مع ارتفاع أسعار الأرض الجنوبي.

بعد النشوة والفرح جاء همزهم ولمزهم على مصيبة تواجدي، وحاول كلّ منهم أن يلقي بعبء إيوائي على الآخرين، وفي النهاية قرروا أن أقضى عاماً كاملاً عند كلّ منهم على أن يبدأوا من الأكبر للأصغر سنًا.

كسرني هذا الجفاء والجحود وقررت بداخلني أني لو عبرت هذه المحنّة، أن أهرب حتى أبلغ سن الرشد ثم أعود مطالباً بميراثي.

\*\*\*\*

هبط الليل، ومعه غاب الجميع عن الوعي ماعدا السائق بالطبع، إن المسافة طويلة ومع الإردحام الموردي لا أمل في أن يصلوا قبل عدة ساعات.. يبدو وجه السائق في المرأة الداخلية كثيئاً، والظلم يغلف كل شيء كما لو كان لوحة لفنان مجنون لا يملك إلا اللون الأسود.

الطريق خالٍ.

لا صوت إلا صوت المحرك فراديو السيارة لا يعمل.

السائق يتململ ثم يشعل سيجارة تشي رائحتها بكونها غير بريئة، وكل عدة دقائق تتجاوزنا سيارة مندفعة. ونحن مازلنا على سرعتنا التي لم تتجاوز التسعين كيلومتراً في الساعة.

وفي لحظة ما قرر السائق أن يطلق العنان لسيارته. لابد أن الحشيش لعب في رأسه.

وكفهد سريع انطلقت السيارة تنهب الطريق وتخترق قلب الظلام.

متى ظهرت سماح؟!

لا أستطيع أن أحده تقريرًا، ولكن بين حالة اليقظة والنوم التي انتابتني، لمحت شبحها يظهر من قلب العدم في منتصف الطريق، وعلى بعد عدة أميال من السيارة المندفعة ليطير النوم من عيني.

السائق فقد أعصابه من اللحظة الأولى، ومع السرعة العالية، وفقدان التحكم الكامل، كان لابد من وقوع الكارثة.

شبح سماح بعينيه الحمراوين المتألقتين يعترض السيارة، السائق يصرخ في رعب ليستيقظ الجميع.

المرأة الشمطاء التي لا أعرف اسمها تحتضن ذلك البدن الذي لا أعرف اسمه أيضًا، والذي يبدو أن قلبه لن يتحمل هذا الموقف العصيب وسيتوقف قبل الاصطدام الوشيك.

الرجل ذو النظارة السميكة متصلب وكأنما استحال لتمثال من الشمع، والسيدتان ذات الرداء الأسود تصرخان دون توقف.

أما أنا فقد نظرت إلى عيني سماح التي انعكست في كل شيء، المرأة الداخلية والمرأة الخارجية ووجه القمر، ثم نطقت الشهادتين وانتظرت الموت.

احتلت عجلة القيادة في يد السائق، فاندفعت السيارة كالصاروخ، لتمزق ذلك السلك المعدني الذي يفصل الطريق لحارتين، لتقابلها سيارة نقل ثقيلة، تحمل على ظهرها أسياخ الحديد المشرعة كالرماح.

وما حدث في اللحظات التالية كان مخيّفاً.

فالسيارة بعد أن صدمتها سيارة النقل المسرعة، طارت في الهواء وحلقت للحظات كنسر مكسور الجناح، قبل أن تصطدم بالأرض في قوة، ثم أخذت تقلب على جانبيها عدة مرات في عنف، قبل أن تتوقف ويسود الهدوء كل شيء.

\*\*\*\*\*

ما سأحكيه الآن يدخل في سياق الشطط والجنون، بل آخر درجات الجنون.

الشطط لأنني أنا شخصياً لا أصدق حتى هذه اللحظة أنني مررت به، والجنون لأنه شيء من وراء العقل، خارج عن المألوف، شيء مخيف.

إنها اليقظة المرعبة.

فضحية أي حادث سيارة عادي، لديه عدة خيارات معروفة، فإذاً أن يستيقظ في مستشفى أو في عيادة محاطاً بالأطباء والضمادات، أو على الطريق بعظام مهشمة غارقاً في دماءه، أو لا يستيقظ أبداً.

ال الخيار الرابع غير موجود في الظروف الطبيعية. وأنا قد مررت بهذا الخيار غير المألوف.

فاللحظة التي اصطدمت بها السيارة بالأرض بعد أن قذفتها سيارة النقل إلى جانب الطريق، كانت هي آخر لحظات الوعي التي حظيت بها في هذه الليلة.

الظلام أحاط بكل شيء كرداء قاتم، ثم ساد الصمت لللحظة واحدة، وبعدها استيقظت.

كل أجهزة جسدي تخبرني بأنني استيقظت، ولكن عقلي يأبى أن يؤرخ هذه الحقيقة. مما يحيط بي لا يوحى بالاستيقاظ أبداً.

المكان من حولي غريب، وكأني استيقظت في قلب العدم، جسدي سليم غير مصاب وهذا شيء مستحيل لأن الزجاج الذي تهشم لابد وأنه شوه وجهي، وبرغم ذلك بشرتي ناعمة كبشرة طفل حديث الميلاد. الظلم كثيف وثقيل، ورغم ذلك الرؤية ممكنة بل واضحة.

إنه الجنون الحق.

كل شيء يوحى بأن الأمور تسير بخير، وبرغم ذلك كل الأشياء تنفيها، ثم كيف عاد إصبعي المبتور، إن مثل هذه الأشياء لا تنمو ببساطة، وإنما لجلس الأطباء في بيوتهم، فالأجزاء التي تتلف أو تقطع من جسدي لن تعود للنمو، أنا لست أميناً وحيدة الخلية لأعيد إنتاج أطرافي.

عادت لي ذاكرة الحادث فنظرت حولي بحثاً عن مصابين أو قتلى ولكن لا شيء.

ظلم متدرج ممتد إلى مala نهاية.

إنني وحيد بقلب العدم.

لا سماء.. لا شمس.. لا قمر.. لا طريق.. لا بشر.

فقط كتلة هائلة من السواد تحيط بي، مع فراغ لا نهائي، أسير فوق أرضية ناعمة لا تحدث احتكاكاً مع قدمي. بقلب اللامكان.

دفائق عصبية مرت عليّ وأنا أحاول اكتشاف ما يحدث. أو أضع له تفسيرًا معقولًا.

ولكن كل الأفكار كانت قاصرة.

هل فقدت بصري؟! أم أنا الآن في القبر؟! هل هذا السواد هو البرزخ الذي يقود نحو الموت. أم أنني أهذى؟!

إنه تفسير مريح، ولكن ما هو الدليل على صحته؟!

تاهت الأفكار من عقلي مع عجزي التام عن تفسير الأمر أو سير أغواره، وعندما فقدت كل أمل في الفهم وتحول الأمر معي إلى هستيريا وصرخ، بدأت التغيير يحدث وفي البداية سمعت الأصوات.

لابد وأنني جئت وما أعيشه الآن هو هلاوس سمعية وبصرية.

بدأ الأمر بصوت أجراس عالية، وكأن هناك من يقرع مئات من الآنية الحاسية بقبضان معدنية، الأصوات ليست عشوائية ولكنها عالية جدًا حتى تكاد تحرق طبلتي أذني.

إنها أصوات متباينة كترانيم متواحشة تدعوه للقتل.

إنها تبدأ من نقطة الصفر ثم تعود لتصاعد فتجرح روحي وتمزق كياني، إنها هروارات موسيقية مدمرة.

الدماء تخرج من كل فتحات جسدي، الألم مفرط في حدته، العذاب أبدي  
ومستمر.

لحظات ثم صمت الموسيقى وبدأت الصرخات المزلزلة، لقد وصف دانتي  
صرخات المعذبين عندما وصف الجحيم في الكوميديا الإلهية.

إنها صرخات مشابهة، تحس معها أن قلب الكون ذاته ينفطر ألمًا عند  
سماعها.

إنها الأرض البكر للألم والعداب.

أشعر بروحي ترتج داخل جسدي وكأنها على وشك الانفصال.  
الموت هو مطلب الوحيد.

الموت هو الراحة التي أصبو إليها.

إن جلدي يتشقق، أطرافي تتتساقط، إنني أتألم كألف روح ثُمَّ يُمزق.  
إن هذا العذاب لا يوجد إلا في الجحيم.

إنني أندمج في دوامة الألم الكبير.

لا أذكر من الحياة إلا الألم أو ما فوق الألم.

أتهياً للموت برغم معرفتي بأنني قد عبرت هذه المرحلة.  
إنني في الجحيم حيث كل شيء أبدي.

الألم أبدى.

العذاب أبدى.

الحياة أبدية.

إنني هنا سألقى العذاب الذي لا راحة بعده.

الرحمة يا رب الأكوان.

\*\*\*\*\*

فجأة هدا كل شيء، وتلاشت الأصوات وتوقف الألم، ولكن ذكراه ظلت  
جائحة في المكان لتشوه روحه.

جسدي عاد سليماً كأنما خُلقت به منذ لحظات، بصري عاد ليصطدم  
بالظلم وهو ما زال قادرًا على الرؤية في وضع جهنمي مستحيل.  
قالي لابد وأنه توقف عدة مرات قبل أن يعود ليتحقق من جديد.

أين أنا؟!

هل أنا في الجحيم حقاً؟ ولكن ليس هذا هو وصف الجحيم كما أتى في  
الكتب السماوية، ولكن من أدراني.

ربما هو جحيم آخر.

هل لتلك الشيطانة يد فيما يحدث لي.

تلفت حولي في رعب.

إنني لن أتحمل العذاب مرة أخرى، بإمكانني أن أصمد لو أن الموت هو المهاية، ولكن الأبد شيء لا أفهمه ولا أستوعبه.

لحظات ثم بدأ الصرير، وفجأة انشق العدم بضوء ساطع، عن كائن قبيح مخيف لا ملامح محددة له، يحمل في يده سوطاً يتلوى وكأنه يموج بالحياة.

هل ما يتلوى في مقدمة السوط هي أفاعي ذات أنياب أم أنا أهلوس؟!  
تلك الضحكة الماجنة الشيطانية سمعتها من قبل؟! ولكن أين؟!  
نعم تذكرت. قبل أن أح لغرفة الشيخ ياسين، ليتني مت قبلها أو لم تلدني أمري من الأساس.

إنها سماح.. الشيطانة.. إنني في جحيمها الخاص.. لابد وأنها تسيطر على عقلي كما سيطرت عليه من قبل وجعلتني أقتل الشيطان.

المخلوق المقزز يقترب مني وعيناه السائلتان تتألقان ببريق وحشى، وأنا أتراجع في خوف، إلى الامكان.

المسافة بيننا تتقلص بسرعة، وخلف ذلك المخلوق المشوه رأيت أبشع مشهد يمكن أن يسقط عليه بصري في حياتي، ففي تلك النقطة حيث انشق العدم وظهر المخلوق الجهنمي، تألقت محيبات هائلة من البيران

تقذف موجات عالية كالجبال من النيران المستعرة والحمم، ووسطها ما بدا  
وكانهم بشر يحترقون، مئات الآلاف من البشر.

جلود تحترق.

شعور تتوهج.

أطرف تتسلق.

عظام تشتعل.

عيون تنفجر.

شياطين من لهب يعتصرون بقبضاتهم النارية الرؤوس والقلوب، وكان هذا  
الشق، نافذة على الجحيم.

هذا المشهد جعلني أنسى كل شيء حتى المخلوق المخيف الذي أكاد  
أشعر بأنفاسه الملتهبة تضرب وجهي.

هذا هو الجحيم الحقيقي الذي وعد به القتلة والسفاكين والزناة والمنافقين  
والمرتشين.

الجحيم الأبدي.

امتصني المشهد تماماً، وعندما هبط السوط الملتهب على وجهي ليشق  
لحمي عرفت أن للألم درجات لم أتخيل الوصول لها !

ثم دوى صوت سماح الشيطاني :

- ستظل في الجحيم حتى يحين موعدك، و ساعتها ستتمنى لو أنك بقيت في الجحيم على أن تلقاني، لأن موتتك ستكون أقسى من الجحيم ألف مرة، وأشد عذاباً من عذاب كل الخطاة مجتمعين.

صرخت في عنف.

لعنتها..

نعتها بأقذع الألفاظ.

و عندما عاد السوط ليمزق لحم ذراعي ويستر كفي، عرفت أنه لا يوجد مخلوق في الكون سيستطيع مساعدتي. وربما كان القدر أرأف بأصدقائي مني.

إن الخطايا السبع قاتلة، كما قال دانتي في الكوميديا الإلهية. ولأننا كنا سبعة فلابد وأن نخوض الجحيم حتى أطرافه. وليسعد من سيحتضنه الموت اليوم فقد نجا من العذاب.

هل عرفتم لماذا لم أستطع أن أحذر أيا من أصدقائي ؟

آه.. أرجوووك.. توقف إن الألم ساحق.

لا تستخدم السوط من جديد.



## اللعنة الأولى - الشراهة

عرفها دانتي على أنها : هي النهم والجشع في المأكولات والمشروبات، مرتبطة بإله الظلام **Beelzebub** ملك الذباب، واللون البرتقالي.

أنا الشراهة.. والداي ماتا كلاهما.. ولم يترك لي شيئاً.. إلا معاشاً ضئيلاً ..  
وهو يسترني لي ثلاثة وسبعين يوماً.. وعشرين كفوساً من الشراب .. وهذا  
قدر ضئيل ليسد الرمق.. لقد ولدت من سلاله ملكية.. فوالدي كانا فخذ  
عجل مجدد.. ووالدتي كانت برميلاً من النبيذ الأرجواني ..

لقد كانت سيدة مرحمة.. ومحبوبة كثيراً في كل مدينة.. كان اسمها السيدة  
مارغري البيرة.. والآن يا أنت.. لقد سمعت كل شيء عن أسلافى.. ألا  
تدعونى للعشاء.. !!



## - رشاد -

قبل أسبوع :

يقول نجيب :

إنني مختلف تماماً عن الآخرين، وربما لا أشبههم في شيء إلا في الحماقة.  
والدي يخبرني دائماً أن عقلي ثخين ولا يستوعب الأمور بسهولة، ولولا  
شخصية والدتي الكاسحة لكونت خارج المدرسة منذ زمن طويل، أعمل في  
ورشة الحداده الخاصة به، وسط النيران وال الحديد المنصهر والقلوب  
الغليظة، أتلقي الصفعات من والدي طوال الوقت ، وأرى خيبة الأمل في  
عينيه.

في كل صباح وعلى مائدة الإفطار ينظر لي أبي في اشمئزاز، وهو يجill  
عينيه في جسدي البدين، ثم يشيح بوجهه قائلاً :

- فقط النيران.. هي التي تستطيع أن تذيب هذه الكتل المتراكمة من  
الدهون والشحوم.. الورشة هي الحل الوحيد لمعضلاتك.

كانت أمي تتصدى له وتطيب خاطري وكأنني أبالي.. لقد اعتدت حديثه  
القاسي هذا، حتى إنه لم يعد يشير بداخله أي نوع من المشاعر.

إنني عنيد جداً، ولو كان الأمر بيدي لما غيرته للأفضل..

إن العناد يولد الكفر ذاته.. العناد هو ما جعل الشيطان لا يراجع موقفه عندما سجدت الملائكة لآدم. برغم أنه كان في حضرة رب العالمين.

أنا أعرف أن المشكلة ليست في الطعام نفسه، فلي صديق آخر يلتهم مثل ما ألتهم وربما أكثر، ولا يتأثر جسده بما يتناوله أبداً، بل هو مستمر على نحافته كإاصبع الموز السحيل، وكأن معدته موقد عملاق يحرق كل ما يلقى بداخلها أولاً بأول.

إن جيناتي هي السبب، وإن كنت فعلياً أعيش تناول الطعام، وهذا ما جعل والدي - كتلة العضلات المتحركة - يتمنى لو أنه أنجب ابنة بدلاً عنِّي، فلم يكن ساعتها ليأبه بحجمها أو بعضاطتها الضامرة المختلفة تحت كتل الدهون. لأنها في النهاية ستذهب إلى رجل آخر، والرجال الذين يقدرون الأنثى بوضعيتها في الميزان يزدحم بهم العالم.

لم أقبل يوماً طريقة معاملة والدي لي.. إنه يقسوا عليّ دائمًا، والدتي تخبرني أنه يريد صالحني، فشققي والدي مات بسبب السمنة من قبل، كما أن كل أب يتمنى أن يجد ابنه في ظهره، يستند على ساعده عندما تقسا عليه طروف الحياة. ولكنني غير مقنع بكل هذا، وغير مبالٍ كذلك.

لقد رفع أبي بيبي وبينه سداً عملاقاً، لن تكفي كل الكلمات الناعمة من أمي لهدمه، كما أنني ذو رأس صلب، وكلما ساءت الأمور بيني وبين أبي، كنت أسلك طريق العناد وأدفن ضيقني وحزني في الطعام، إنه رفيقي الوحيد الذي

لم يخدلي مرة واحدة، إنه اللمسة السحرية في اليوم كله، إنه الشيء الوحيد الذي يمنعني النشوة.

تلك النشوة التي لا يقدر حتى الحشيش على إيصالي لها.

الطعام..

من لا يعشق تلك الكلمة السحرية.

أحب الطعام في كل مراحل إعداده، وكنت أتهم أصابع المحسو نيئاً قبل طهوه، وعندما تنهري والدتي وتخبرني أن الطعام النيء سيؤذني معدتي، كانت جدتي تلومها، وتقول لها المقوله الشهيرة :

- النيء في معدة الشباب ينضح.. كم أنت عظيمة يا جدتي !!

لذلك فعند عودتي من تلك المغامر الشنيعة في منزل الشيخ ياسين، كنت محطم الأعصاب، أبكي كفتاة واجهت منذ لحظات ذلك السفاح الذي تهرب منه كل الفتيات الأخريات، ولأنني لا أملك إلا نهمي في مواجهة الموررات، قضيت على نصف الطعام الموجود في الثلاجة، قبل أن أخلد لنوم عميق بلا منغصات.

لابد وأن الدهون تسد قوات البت الخاصة بالأحلام.

\*\*\*\*

وفي الظهيرة كنت قد استجمعت شتات نفسي، وقررت أن التأثير السلبي لتلك التجربة المخيفة لن يمر روحيا إلا ببعض الحديث، شخص ما يستمع ويستمع وأفرغ على يديه توترى، إن قلبي مازال منقبضًا، وقدمي مازالت ترتجف من هول ما واجهته في منزل الشيخ ياسين.

هل ما حدد حدث فعلاً؟

إن للخوف تأثيره الكاسح، على العقل، إنه يجبر العقل على استخدام كافة دفاعاته، وعقلني بالذات يميل إلى إنكار المشكلة عندما لا يستوعبها. لم يكن عندي خيارات كثيرة لأفضل بينها، وعلى الفور استقللت سيارة أجرة، وتوجهت إلى منزل رشاد.

لا مدرسة اليوم، لا يوجد بداخل رأسي عقل صالح لتلقى أي معلومة، كما أن موقع تنزانيا سيبقى كما هو، ولن يغير فيشاغورث في القوانين الرياضية، ولن يحذف أبو الأسود الدؤلي النقط من فوق الحروف، لمجرد أنني لم أذهب إلى المدرسة ليوم واحد. لابد من شخص يحتويني ويخبرني بأن الأمور ستصبح أفضل حتى ولو كان خداعاً.

رشاد هو أكبر أفراد الشلة، سيلغ الخامسة والثلاثين بعد عدة أيام، وهذه المعلومة قد صدتنا بها لأنه ينوي القيام باحتفال أسطوري في عيد ميلاده القادم. لأنه يوم خاص جداً في حياته ويستبشر به كما يدعى، ففيه حدث له كل الأمور الجيدة، ويكفي البشرية فخراً، أنه اليوم الذي كللها فيه بالغار

عند مولده. وهو شيء لا أستوعبه تماماً، إن يوم الميلاد يوم كأي يوم آخر، فقط من يستفيد منه، الذين يحصلون عمرك لتصل لسن المعاش كي تغادر لترك موقعك لمن يليك.

ورشاد غريب الأطوار إلى حد ما، ورث عن جده رجل الأعمال الشري الذي كان يهيم به حباً مبلغًا ضخماً من المال، هذا غير قطعة الأرض الشاسعة في الساحل الشمالي والعقارات، ولأن والديه غارقان في دوامة جمع المال، لم يباليا بما يفعل، طالما لا يتعرض مجراه المال المتدايق.

ترجح مرة واحدة ومنهما طفلين جميلين ثم أخذت الرياح كل وعد الرواج الجميلة، وبوجود الطفلين معهما لم يعد مدیناً لهما بشيء.

لا أعرف كيف انضم لشلتنا الغريبة، ولكنه في وقت قياسي صار الأب الروحي للشلة وحائط المبكي الذي نشد الرجال إليه كلما ضاقت بنا الحياة والسبيل، إنه مستمع جيد كما أن شفته لا تخلي من الطعام والمشروبات وبعض الأشياء الأخرى المشيرة.

قصدته بعد صلاة الظهر بساعة، ووجدت بالفعل أن حالته مزرية هو الآخر.. التجربة فاقت كل تحملنا دون شك، لست وحدي الواهن إذن، جميعنا نعاني من تبعات الأمر، وإن كانت حالي أنا - ويا للعجب - تبدو أفضل.

النوم..

إنه لم ينم، ولو لحظة واحدة هذا يبدو واضحًا على عينيه الحمراوين، وأجفانه المتنفسة والسوداد الذي غزى أسفل عينيه، وعلى المنضدة المجاورة توجد منفضة سجائير قد فاضت بالأعقارب، لتحديد حجم المأساة الحقيقي. لقد أخطأنا جميعنا عندما أنصتنا لأمجد.

لا يبدو أن رشاد سيمثل حائط مبكى جيداً اليوم، كما أن مزاجه غير رائع أبداً هذا واضح من عصبيته، إن القلق محفور على وجهه بأزميل غير حاد.

إن التجربة التي خضناها كانت مروعة.. من يصدق ما حدث !!

أشعل سيجارة جديدة برغم أن الأولى ما زالت مشتعلة في المنفضة، وأخبرني أنه قضى أسوأ ليلة في حياته، الكوايس ظلت تطارده طوال الليل، والشياطين تحاول النيل منه دون هوادة، كما أن زوجته السابقة لم تتوقف عن الاتصال به على هاتفه المحمول، وكلما أجاب لا يسمع إلا صدى وفحيقاً مخيناً.

الحيرة كانت مرسمة على ملامحه، ولسان حاله يقول :

ما علاقة كل هذا بيعرضه؟ إن عقله يكاد أن يذوب من حدة التفكير.

إنه مؤمن تماماً بوجود الجن والشياطين لأنه تم ذكرهم في القرآن الكريم، واقتصر الأمر على وجودهم هناك، كنصوص بداخل الكتب المقدسة،

جعلهم بعيدين جداً عن حدود عالمه، وجعله لا يضعهم أبداً في حساباته  
كأذى مستقبلي محتمل.

ولكنهم الآن ملء العين والبصر، وهو خائف جداً.

خائف من المجهول.

خائف من أشياء لا حدود لها، أشياء لا تلتزم إلا بقوانينها الخاصة.

كيف كان الشيخ ياسين يتعايش مع كل هذا الهول ؟!

لابد وأن قلبه قد مات منذ زمن بعيد !!

أخبرته أن الأمر كله قد لا يكون بالسوء المتوقع، بل هو ناتج عن تلك التجربة المريعة التي قمنا بها، وبدا عليه أنه غير مقنع تماماً، لقد واجه الرعب والموت، اقترب كثيراً حتى كاد يحترق، ولكن ما كان يشغلة أكثر هو مكالمات الهاتف الغامضة.

إن زوجته خارج البلاد، فكيف يأتي الاتصال من رقمها المحلي.

هل تركته مع أحد ليعاشه، ولكن لماذا تذكره الآن ؟! لقد مر أكثر من عام على آخر لقاء تم بينهما !!

ولماذا في هذه الليلة بالذات ؟!

إنها أذكي وأعقل من ذلك، لابد أن في الأمر خطأً ما.

أخبرته أن المصائب لا تأتي فرادى.

ولكنه لم يقتنع.

إن المصيبة التي تعرف رقم هاتفه، لا علاقة لها بالمصائب الأخرى.

\*\*\*\*\*

اندمجنا في الحديث، وطرحنا النظريات ولم يقطع نقاشنا إلا صوت جرس الباب، وكان القادر أفضل عامل في مصر، عامل توصيل الطلبات للمنازل.. إن لبيتزا وضعًا خاصًا في قائمة طعامي، ربما تلي المحسو مباشرة. لذلك كانت بهجتي لا توصف.. فأن يكون صديقك مطلقاً وثرياً فلك أن تتوقع ما لذ وطاب من تلك الوجبات السريعة المبهرة. لا توجد زوجة متسلطة تعد طعامًا لا يؤكل، ولا أطفال مزعجون ينغضون عليك جلستك. أنت وصديقك فقط وعلبة البيتزا العملاقة، إنه المشهد الأكثر إثارة في اليوم كله.

توجهت صوب الحمام لأغسل يدي، وأمام المرأة قررت أن أهيل الماء على رأسني عل الماء يلطف من حرارته. وعندما رفعت رأسي رأيت الوجه المخيف والعيون المشتعلة في انعكاس المرأة، ولمحت تلك الأصابع المخلبية تشير لي، بتلك الإشارة التي تمثل الذبح والتي لا تعني إلا التهديد بالموت.

هزّت رأسي بعنف لأنفُض تلك الرؤى المخيفة، وعندما عدت ببصري إلى المرأة، كان سطحها المصقول لا يعكس إلا وجهي الممتلى والذِي غاضت منه الدماء، وعندما هممت بتجفيف وجهي بالمنشفة شعرت بألم حارق في معدتي، وكدت أتفقداً.. كان ألمًا عنيفًا لم أختبره من قبل بهذه الحدة، إنها قرحة الجوع أعرفها جيداً، ولكنها لم تكن من قبل بهذه الطريقة العنيفة.

خرجت من الحمام مسرعاً، والدموع تكاد تهطل من عيني، والبيتزا تحتل كامل كياني.. نظرت إلى علبة البيتزا في نهم حيوان متوجش شم رائحة الدماء بعد طول حرمان، وكدت أخطفها من يد رشاد، لولا أن تماسكت بصعوبة.

### الجوع المفاجئ صدمني.

إنها المرة الأولى التي أرى فيها الطعام فتسقلص معدتي بهذه الشكل.

لابد وأن أقوم بعمل بعض التحاليل، إن جارنا كان يعاني من الديدان في معدته فربما أصبت بها مؤخرًا، لم يكن عليّ أن أتهم تلك الكبدة غريبة الشكل من فوق تلك العربية مجهلة المصدر أثناء قدومي.

لقد شكل أمين ذات يوم في نوع هذه الكبدة، فضخامة الشطيرة لا تناسب أبداً مع سعرها الزهيد ولا سعر الكبدة في السوق، وهذا هي النتيجة.

شعرت للحظة بألم فائق في بطني، وكأن هناك من يسكب الحمض في معدتي، فكدت أصرخ لولا أن تمالكت نفسي وانقضضت على علبة البيتراء وكيناني كله مركز على تناول الطعام، الذي وجدته الأسلوب الوحيد والفعال لإسكات الألم.

انهمكت في التهام الطعام وأناأشعر أنه مع كل قضممة يضاف لون جديد للحياة، وتتراجع موجات الألم، في حين انشغل رشاد في احتسائه زجاجة باردة من البيرة ومراقبتي، لقد عافت نفسه الطعام الذي طلبه لسبب ما، كما أنه بادي الاضطراب، لابد وأنه يخفى عني شيئاً ما. وعندما بدأت في تناول المياه الغازية، لم أتوقف إلا بعد أن أنهيت اللترتين بالكامل وعلى مرة واحدة.

معدتي تتقلص ولكن الألم يجبرني على المتابعة وتناول الطعام، وعيون رشاد المتسرعة تخبرني أن ما أقوم به مخيف. ورغم ذلك لم أتوقف لحظة واحدة، ولم يعلق رشاد.. لابد أن الذهول ألجم لسانه.

وعندما شارت على الانهاء من البيتراء ذات الحجم العائلي، تركني ليذهب إلى الحمام، وأخذت أنا أعب من زجاجة البيرة الأخرى حتى أنهيتها دفعة واحدة، شعرت بامتلاء مريع.. ولكن التوقف كان دريّاً من الخيال.

الألم قلت حدته للحظات ثم عاد كموج هادر. هناك شيء ما أريده ولا أعرفه. هل أنا جائع حقاً؟!.

لحظات ثم تعالي صوت رنين هاتف رشاد المحمول، فأتى صوته غير الواضح من الحمام يخبرني بأن أجيب على الهاتف أو خيل إلى ذلك.

وعندما ضغطت زر إتمام الاتصال، ووضعت الهاتف المحمول على أذني سمعت صوت الفحيج المخيف، فانقبض قلبي ، وشعرت بغصة في حلقتي.

لم يكن فحيجاً مبهماً كما ظن رشاد.. إنه صوت أنثوي يتوعد، ولكنه كان مشوشاً، وإن استطعت بصعوبة التقاط بعض الكلمات :

- إنه دورك.. أنت الأول.. أبواب الجحيم تهلك بانتظارك.

## - الجوع -

صدمتني الكلمات وهبطت على أذني كالصفعه، حتى إنه فلتت من بين شفتي صرخة مكتومة تعبّر عن هلي وفرعي، ودون إرادة ألقيت الهاتف المحمول من يدي فسقط فوق الموكب والفحيج ما زال يصدر عنه.

تراجعت ملتصقاً بالمقعد وكل خلية في جسدي ترتجف من الرعب، ما هذا الصوت الشيطاني، وكيف استطاعت زوجة رشاد أن تقوم بهذه الحيلة المخيفة، إن هذا الفحيج يحطم الأعصاب.

شعرت بالألم يتضاعد في معدتي والعصارة تحرق جدرانها وتکاد روحي أن تُزهق.. سيطر الرعب على أحاسيسى، وعندما حدث التجسد، كنت خارج الشقة بل العمارة كلها، أعدوا بلا هدف في الشوارع، وقد شاب شعري.

فعندما نظرت لشاشة الهاتف المحمول، كان اسم لبنى زوجة رشاد السابقة يتذبذب، لحظات وخرج بخار متراقص أسود اللون وأخذ يتشكل في هيئة مخيفة شيطانية أفزعني وجمدت الدماء في عروقى، مصحوباً بصرخات مدوية وكان هناك من يُمزق وهو على قيد الحياة، ثم أصبح المكان شديد الحرارة، وأخذ الهواء يتلاشى من المكان.

صرخت من الرعب وبصوت لا بد وأنه أفع كل سكان العمارة وقررت الفرار. أي شيطان هذا الذي سيخرج من الهاتف، لو كان مصباحاً قدّيماً لتوّقت خروج جنبي ما، ولكن قلبي المنفطر يخبرني أن ملك الموت هو من

سيخرج عبر الهاتف، لسنا في ألف ليلة وليلة على كل حال. ولست أنا علاء الدين، ثم إن ألف ليلة وليلة لم يكن فيها هاتف محمولة.

لم أنتظر لأعرف ما سيحدث عند انتهاء التجسد، يكفي الفحیج الذي عمّ المكان والرائحة الكبريتية الكريهة التي آذت أنفی.

لا أعرف كيف عدوت بمثل هذه السرعة الفائقـة، لقد قطعت عدة كيلومترات في دقائق معدودة، قبل أن أتوقف بأنفاس لا هشة متلاحقة والطعم يكاد يشب عبر حلقي وجسدي البدين يتبرجـ و لا يتوقف عن الارتفاعـ، وعندما سكن جسدي سقطت على ركبتي باكـا فوق عشب تلك الجزيرة الخضراء الموجودة عبر الطريق وسؤال قاتل يدور في رأسي :

إنـا بالنهارـ، فكيف تخرجـ الشياطينـ بالنهارـ؟!!

تعاظمت الآلام بمعـتي.. صرختـ كمن بترواـ له ساقـ وهو مستيقـظـ. لحظـاتـ كـاسـحةـ منـ الأـلـامـ.. ثمـ فقدـتـ الـوعـيـ.

\*\*\*\*\*

لا أعرفـ كـمـ بـقـيـتـ فـاقـداـ لـوعـيـ، وـلـكـنـيـ عـنـدـمـاـ اـسـتـيـقـظـتـ كـانـتـ النـجـوـمـ فـيـ السـمـاءـ وـالـأـلـامـ فـيـ مـعـدـتـيـ لـاـ يـقاـوـمـ.

ماـ هـذـاـ الجـوـعـ العـنـيفـ؟! وـكـأنـ هـنـاكـ مـنـ يـحرـقـ أـغـشـيـةـ مـعـدـتـيـ بـالـلـهـبـ، أوـ لـعـلـيـ أـصـبـتـ بـقـرـحـةـ مـعـدـيـةـ لـاـ يـهـدـئـهاـ إـلـاـ الطـعـامـ.

لقد أنساني الألم العنيف الهول الذي رأيته منذ لحظات بشقة رشاد، وتكلّف  
الذباب بما تبقى من تعقلي.. إنني سأجن حتماً، أسراب هائلة من الذباب  
تهاجمني في شراسة، وتکاد تصيبني بالعمى.

إنني أستحم كل يوم فما الذي يجذب الذباب لي، ولماذا هو بهذه الكثافة  
وهذه الضراوة؟!

ماذا يحدث لي حقاً، أي لعنة تطاردني؟!

تكلّلت أسراب الذباب على فقررت منها، وطنينها يکاد يفقدني صوابي،  
وتلك الذبابة التي ابتلعتها جعلتني أتمنى لو أنزع حلقي.

يا إلهي.. أي جحيم هذا.. إن الذباب يطاردني.. ومعدتي تتمزق.

لن أستطيع التحمل أكثر.

أعتقد أن الموت سيكون أكثر رأفة.

شيطانه.. وذباب.. وجوع قاتل.. إنها حياة لا تستحق دون شك.

تلك السيارات المسرعة في الطريق ربما تكون الحل.

بل هي الحل.

المصباحان يعميان عيني ولكنني أغمضهما من الذباب، صوت احتكاك  
إطارات.

صوت لا أميذه يصرخ طالباً مني أن أحترس.

توقف الزمن للحظة، ثم شعرت بالارتظام. يا إلهي كم مرة سأفقد الوعي  
اليوم.

ربما ليس الوعي هذه المرة.. !!

\*\*\*\*\*

عندما استيقظت، التقط أنفي رائحة المطهرات، ثم سمعت كلمات ساخطة،  
وتقلا الأمر صوت هسيس مرتفع، ليتسدل إلى أنفي رائحة مبيد الحشرات  
القاتل، ثم التقطت أذني الطين المزعج. وسمعت السبّة..

حاولت أن أحرك جسدي ولكني لم أستطع، أشعر بشغل هائل يكبل صدري  
وفدمي... أين أنا؟ !

شعرت بتشوش لفترة من الزمن، قبل أن يقوم مخي بتشغيل برنامج النوافذ  
الخاص برأسى. ثم تذكرت كل شيء، وكلكلمة مؤلمة عاد لي إحساسى  
بحسدي، وفي اللحظة التالية كنت أصرخ من الألم في معدتى..

- إنني جوغان.. بل أكاد أقضي جوغاً. أحضروا لي كل ما لديكم من طعام،  
الرحمة.. الرحمة.

الألم غير محتمل.. هناك آلام مختلفة في جسدي ولكن آلام المعدة  
تمحوها كلها.

الرؤية منعدمة تماماً، وكأن هناك شخص ما قد غطى عيني بضمادة من القطن، أو أن كليهما أصبتا في الحادث.

جسدي يرتجف من هول ما أقدمت عليه ، هل جنتت كي أقتل نفسي، أي شيطان تلبسني في هذه اللحظة لأقدم على هذه الفعلة الشنعاء؟ .

وعلى ذكر الشياطين دارت في رأسي مشاهد مختلفة، من تلك الأحداث التي مرت بي في غرفة الشيخ ياسين، ثم المشهد المذهل لتلك الشيطانة التي خرجت من قلب الهاتف المحمول، ثم شعرت باللمسة، وبدأ وعيي يغيب. ويصحبني بعيداً عن شواطئ الألم.

لابد أن صراخي أجبرهم على إعطائي حقنة مخدرة. وقبل أن يغيب الوعي تماماً سمعت صوتاً أنتوياً يقول :

- ما كومة المخلفات هذه التي يجبرونني على علاجها، إن الذباب يقاتل للوصول إليه.

شعرت بالألم في معدتي، ثم رددت دون وعي :

- عن أي ذباب تتحدث.

ثم فقدت الوعي.

\*\*\*\*

لا يمكن أن أصف لكم الساعات التالية. ولكن رشاد يستطيع، الملخص لحالتي أنني كنت على حافة الموت من شدة الألم، أتمناه ولا أجده.. أسعى إليه ولا تطاله يدي. إنني ممدد داخل مستشفى خاص وفي غرفة صممت خصيصاً من أجلي. قابع وسط رداء كامل من الجبس يقييد حركتي، لم يكن الحادث هيئاً إذن ، لقد انتشلوني من على حافة الموت ولويتهم ما فعلوا.

نقوذ رشاد المتدافعه هي التي أخرت الكارثة، بل الكوارث المتعددة التي اجتاحت عالمي في هذه الفترة القصيرة ، فهناك الذباب السمج الذي يقاتل ليعبر إلى مكمني ، والألم الساحق الذي عجزت كل الأدوية المهدئة عن إيقافه، والجوع الوحشي الذي يكاد يطيح بعقلي ، والذي برغم عنفه لم يسمح لي للأطباء بالكمية المناسبة من الطعام التي توقف ثورته. بل غمرروا جسدي بالمعالجات والمهديات التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

ربما لو نجوت من هذه المحنة، سأظل مدمتاً على المورفين لما تبقى لي من العمر.

الآن أترككم مع رشاد لأن كل الأمور مختلطة بداخل عقلي.

## - الحادث -

يقول رشاد :

أعتقد حقيقة أنني مختل، أو أن هذه الكيماويات التي لا أتوقف عن صبها في دمائي قد أثرت على توازني العصبي، لأن ما سأقصه عليكم الآن لا يمكن أن يقبله عقل متزن.

إنني أقف على تلك الحافة الفاصلة بين العقل والجنون، ولابد من شخص يشاركتني هذا الجنون، وإلا لصرت مجنوّناً آخر فقد عقله، وينتظره القميص مغلق الأكمام.

بدأت الأمور المخيفة بقدوم نجيب إلى شقتي، كان يرتدي قميصاً برتقاليًا غريب اللون، مع سروال رمادي حال لونه، وذلك الصندل الذي يحتاج لجورب أبيض متسع لتحمل الصورة الشاذة.

حقيقة لا أعرف كيف انخرطت في هذا الأمر ولا كيف أصبحت فرداً في هذه الشلة العجيبة، كل شيء كان مريراً في البداية ولكنني لم أكن لأقف في هذه المرحلة من حياتي عند أي شيء غريب.

إنني أمارس كل فنون الغرابة دون هوادة، إنني كائن متقلب، غريب الأطوار كما نعتني أمجد من قبل عند نقاشنا حول السبب الحقيقي لطلاقي.

عندما أتى نجيب في هذه الظهيرة المشؤومة إلى شقتي، كنت قد طلبت بعض الأطعمة السريعة كعادتي منذ انفصلت عن زوجتي، برغم أنني عزوف عن الطعام منذ فترة.

لم أكن جائعاً، ولكنني طلبت الطعام بلا سبب معين، ربما هو قدوم موعد الغداء الذي تعودت تناول الطعام فيه أو الفراغ.

وفي اللحظة التي فتحت فيها باب شقتي لأستقبل نجيب، لن أخفي عليكم الأمر، فقد انقبض قلبي وشعرت بسوء قادم، لا أعرف لماذا ربما هي حاسة رسختها عدم تقبلي للانضمام لهذه الشلة العجيبة، وتوعقي السوء من هذه العلاقة العجيبة.

نجيب كائن بدین طیب القلب، ربما هو أكثر فرد في هذه الشلة استفادة من انضمامه لجماعتنا، لأن من هم مثله بದانته واستيعابه الضعيف لا شعبية لهم ولا يجدون أصدقاء بسهولة، خاصة في تلك الفترة العمرية التي يسعى فيها المراهقين لإثبات رجولته لم يحن موعدها بعد، فقط كنت أحب ابتسامته الفطرية، التي تبشر بكون بكر يخلو من التعقيد، وجميع البدنان لديهم مثل هذه الابتسامة الطفولية العذبة.

المهم أنني كنت غارقاً في أفكاري الخاصة بعد تلك الليلة السوداء التي قضيناها في منزل الشيخ ياسين، لا أعرفحقيقة كيف قبلت بخوض مغامرة مماثلة، ولكني لم أستطيع ولو للحظة واحدة أن أعارض أو أخالف أمجد

في أي شيء قرر أن يشركني به، وكأن ما يربطنا شيء أقوى من الصدقة، شيء من خارج هذا العالم الملموس. شيء لا اسم له ولكنه أقوى من الحياة نفسها.

إنه أحد هذه الأشياء الكثيرة، العصية عن الفهم، والتي عند فهمها تصبح عصية على التصديق.

و برغم صغر سن أمجد بالنسبة لسني، إلا أنني كنت أهابه لسبب مجهول بل وأشعر بقشعريرة باردة ترحف على روحي كلما نظرت لعيشه.

عندما بدأ نجيب في التهام الطعام، لم أحب طريقة المحرومة في تناول الطعام، وكأنه ذلك الجائع الأبدى الذي دخل المدينة المصنوع كل شيء فيها من الحلوي والطعام.

كانت تتسرّع من فمه فناتات الخبز وبعض قطع الخضروات الموجودة في قطع البيتزا، مما أصابني بالاشمئزاز وأصبحت أكثر عزوفاً عن تناول الطعام.

ضائقني جداً أنه لم يستأذن قبل أن يشرع في تناول الطعام، لقد انقض على علبة البيتزا فور خروجه من الحمام، وكأنه استباح المكان والطعام، وعندما زايلني ضيقني بعد لحظات، شرعت أتابع ذلك السيرك المنصور في صالة شفقي، الذي لم يكن فيه إلا مهرج واحد يتناول الطعام بأغرب طريقة في العالم، وأنا على مقعد المترفرج أحتسي زجاجة بيرة باردة.

كانت تبدو على وجهه معاناة مريعة. وألم غريب، إن الاستمتاع المعتاد غائب، وهذا لا ينفي أن شهيته تفوق شهية الأفيال، إن علبة البييتزا التي شارفت على الانتهاء، تكفي لأربعة أشخاص وربما خمسة مع الاقتصاد.

فكيف استطاع بهذه السرعة أن يلتهمها؟!

ورجاجة المياه الغازية التي جرعها على مرة واحدة، لو استمر الأمر على هذا المتوازن ستتفجر أحشاؤه. لا أعتقد أنه يمضغ، إنه يتطلع القطع ربما دون أن تلمسها أسنانه.

لا أعرف ما الذي ألجم لسانني وكيف لم أجبره على التوقف كي لا يؤذني نفسه، ربما عدم معقولية الأمر برغم حدوثه أمامي.

لحظات وببدأ مفعول البييرة المدر للبول، فقامت من فوري لألي نداء الطبيعة، تاركاً نجيب في ملحمته الأسطورية، وتوجهت صوب الحمام.

لحظات ورن هاتفي المحمول.. أخبرته بآلا يرد على الهاتف، فلا أحب أن تكون العلاقة بيننا حميمية إلى هذه الدرجة.

إن الهاتف كالخزانة لا يصح لأحد أن يقتتحمها دون إذن صاحبها.

وعندما عدت من الحمام، دهشت لأقصى مدى، فهاتفني كان مفتوحاً وعلى شاشته المتذبذبة رقم لبني والفحيج المخيف لا يتوقف.

لماذا أحب هذا المتطرف على الهاتف، لقد أخبرته ألا يجيء؟!!

حاولت أن أغلق الهاتف لأقطع الفحيخ دون فائدة.

الفحيخ يتضاعد بوتيرة سريعة، والغريب أن الصوت أصبح مجسمًا ومحيطياً، وبخرج من كل الموجودات من حولي، إن الصوت ينبع من داخل الهاتف ومن كل قطعة أثاث في المنزل، حتى الجدران نفسها ترددت.

سحقني الخوف، لم أستطع أن أستدعي ربة اللامبالاة التي أواجه بها الأمر كلما حدث، وشعرت بأن الشقة تضيق على روحي، وبأنني سأجن لو بقيت لحقيقة واحدة زائدة.. عادرت الشقة، والبنية كلها، ثم استقللت سيارتي.. ذهني شارد.. عقلي مشتعل من التفكير. أجاهد لأحضر بعض الفهم، من داخل أنفون الغموض، دون فائدة.

فتحت علبة بيرة معدنية من التي أحفظ بها بداخل مبرد السيارة، ثم رفعتها على فمي عندما شعرت بالقشعريرة ترحف على جسدي، فقد سمعت الفحيخ مجدداً.

عجلة القيادة تختل في يدي، السيارة تميل نحو الجانب الأيسر، وتکاد أن تخرج عن مسارها، لتسحقها ديناصورات النقل الثقيلة التي ترتع على طول الطريق، ولكنني تداركت نفسي بسرعة، وقمت بإدارة عجلة القيادة إلى الاتجاه العكسي وحافظت على توازنها، وفي أول مكان صالح، قمت بركلتها، لأن أعصابي تلفت تماماً وأشعلت أضواء الانتظار.

لابد أن أهدا، إن هذه الطريقة في معالجة الأمور قد تكلعني ما هو أكثر من سيارة مهشمة، قد تكلعني حياتي.

شعرت فجأة بخمول شديد، ورغبة عارمة في النوم. لقد أوقفت السيارة في الوقت المناسب تماماً، لن أحاول أن أقاوم النوم، إني في حاجة ماسة إليه بالفعل، فهذا يومي الثاني على التوالي دون نوم.

سأحظى ببعض ساعات من الراحة، وبعدها ليكن ما يكون.. وقبل أن أستسلم تماماً لقبضتا النوم الحريرية، لمحت تلك العيون المخيفة في مرآة السيارة الداخلية.

ولكن عقلي كان قد توقف تماماً عن الاستجابة لأي مؤثرات، وبحيرة الأدرينالين الموجودة داخل جسمي كانت قد جفت تماماً. وقد جسي تماسكه.

إن النوم يحكم قبضته على روحي، الآن أنا هناك في مملكته الغامضة.

\*\*\*\*\*

فجأة استيقظت وكأن هناك من صفعني على وجهي، لأنخرج من ذلك الحلم العجيب الذي رأيت فيه أمجد غارقاً في دماءه والحياة تنسحب من جسده.. والنيران تحيط به من كل جانب.. وبرغم هذا يجاهد ليخبرني أن استيقظ لأنف إلى نجدة نجيب، لأنه بحاجة ماسة إلى مساعدتي.

هزّت رأسي نافضاً الحلم الغريب، ثم قدت السيارة عبر الطريق بدون وجهة أو اتجاه محدد.. هائماً على وجهي وبداخله حنين لبيت أمي ولأطفالها.

قررت أن أذهب إليهم لأنفدهم وأتمتع ولو قليلاً بجو الأسرة بعيد عن كل هذا التعقيد، ومن ثم غيرت اتجاهي كلياً. وسلكت طريقاً آخر.

الطريق كان خالياً على غير العادة، فالشمس قد غابت ومعها غاب الزحام والضوء.

تركـت العنـان لـسيـارـتي، وعيـني عـلـى الطـرـيقـ. صـدـاعـ متـزاـيدـ يـلتـهـمـ مـخـيـ.. لـابـدـ منـ قـدـحـ مـنـ القـهـوةـ.. اـنـشـغـلـتـ بـعـيـارـةـ شـعـبـيـةـ مـكـتـوـبـةـ عـلـىـ سـيـارـةـ وـحـيـدةـ خـرـجـتـ مـنـ شـارـعـ جـانـيـ لـتـسـيرـ أـمـامـيـ، عـنـدـمـاـ رـنـ جـرـسـ الـهـاتـفـ.

(نمثي على كف القدر ولا ندرى ما المكتوب).

نظرت إلى الشاشة المتذبذبة ثم ارتجفت.

إنها لبني من جديد.

ماذا تريـدـ لـبـنـيـ مـنـيـ؟!

هل تحاول الانتقام لأنـيـ هـجـرـتهاـ، وـلـكـنـهـ كـانـ طـلـبـهاـ، هيـ منـ قـرـرـتـ أـنـ تـنـهـيـ هذهـ المـرـحـلـةـ مـنـ حـيـاتـنـاـ. هيـ منـ أـخـذـتـ الـمـبـادـرـةـ. صـحـيـحـ أـنـيـ أـسـوـاـ زـوـجـ فـيـ الـعـالـمـ، وـلـكـنـيـ لـمـ أـسـئـ لـهـاـ بـمـاـ يـبـرـرـ هـذـهـ الـأـفـعـالـ الـحـمـقـاءـ.

أنا أعرف طريقة الاتصال المزعج أثناء القيادة، إنه الأداة المثلث للجريمة الكاملة.

لن أجيب.

لن أكون ضحية أخرى، لخبر كاذب يشتت ذهني أثناء القيادة.  
ثم كيف أتى الهاتف هنا؟! لقد تركته في المنزل عندما عجزت عن إغلاقه.  
ارتفع صوت الهاتف بالفحيح مجدداً، لتشمل جسدي رعدة شاملة، ونظرت  
صوب المقعد المجاور حيث يقع الهاتف المخيف ودقات قلبي تصاعد،  
لم يكن الرنين بهذه القوة من قبل.

إنه الآن يتعالى.

إنه يدوي بقوة كجرس معدني، ثم كبوق سيارة نقل ثقيلة، ثم كدوي المدافع.  
تركت عجلة القيادة لحظة واحدة لأحمي أذني، عندما شعرت بالارتظام.  
ضغطت دواسة الفرامل بكل قوة ولكن الكارثة كانت قد وقعت، القميص  
البرتقالي يلمع أمام عيني قبل لحظة من انفجار الوسائل الهوائية في وجهي  
لأرتد إلى الخلف مصاباً بكدمة في عيني.  
صوت صرخة نسائية.  
القميص البرتقالي ليس بغرير عنـي.  
يا إلهي هل صدمت نجيب؟!

## - الغرفة الزرقاء -

دقيقة واحدة كانت هي الفيصل بين الحياة والموت، لو تأخرتها لأي سبب، أو لو هداني تفكيري للذهاب به إلى المستشفى الحكومي القريب بما فطر عليه من ببروغرافية وروتين، لربما لم تطلع شمس اليوم التالي على نجيب ، ولكنني أنا خلف القضايا أحاكم بتهمة القتل غير المعتمد.

رد فعلني كان مبالغًا لي أنا شخصيًّا، فلم أظل في مكاني لحظة واحدة بعد الارتطام، ولم تشنني المفاجأة، بل دفعت بباب السيارة التي ذابت إطاراتها من الاحتكاك المبالغ، وكانت أول من وصل إلى جسد نجيب الممدد دون حراك بجانب الرصيف.

لم أنظر أن يتجمهر المارة وأن تحدث المشادات المعتادة، وخالفت كل التحذيرات الطبية المعروفة، وقواعد الإسعافات الأولية بعد تحريك المصابين في حوادث السيارات، وانتظار المساعدة الطبية، وحملت جسد نجيب الغارق في الدماء والفاقد لمساكه كدمية مهشمة بسرعة إلى داخل سيارتي، وانطلقت بها أنهب الطريق صوب عيادة الدكتور (راغب مهران) صديقي وطبيب العائلة وأنا أدعوه الله ألا أزيد من سوء إصابته.

كنت متزعجًا بشدة، ولكن هذا لم يؤثر على حكمتي وتقديرني للأمور.

فالسرعة تعني إنقاًداً سريعاً، وحصرًا للمضاعفات، كما أنها ستمكن أي شخص من إبلاغ الشرطة لأدخل في تحقيقات لا أول لها ولا آخر.

صدقوني لن يكون أحد مبتهجاً بحضور الشرطة، حتى نجيب الراقد في المقعد الخلفي بين الحياة والموت سيؤمن على قراري. أنا مؤمن أن ما حدث قضاء وقدر، وأنا لم أكن متعمداً لدهس نجيب، كما أن الدكتور راغب جراح ماهر جداً ويدين لي بعده خدمات.

يا إلهي.. لقد دهست نجيب.. !!

بالطبع لم أتبه للذباب إلا بعد أن وضعت نجيب في المقعد الخلفي، لم أستوعب الأمر في البداية، كان شيئاً عجيباً ومخيفاً في نفس الوقت، ولكن لا محالة من معالجة أمر الذباب قبل أن أشرع في القيادة.

إن الذبابة بذاكرتها التي لا تتعدي الثواني الخمس تعدد أكثر الكائنات إزعاجاً في الكون. القيادة مع هذه المعاناة قد تتسبب في الحادث الذي لن يجدي معه أطباء.

مسكين نجيب لا أعرف ماذا حدث له في تلك الساعات التي تلت مغادرته لشقتي، وما سر تكاثر الذباب من حوله، أعتقد أن كل ذباب مصر قد قرر أن يحج إلى جسد نجيب المهمش ليحصل على نصيه من دماءه المتخرفة.

هل أصبح مغناطيساً بشرياً لا يجذب إلا الذباب؟

أثار الذباب جنوني، فهو يعوق الرؤية وطنينه لا ينقطع، لذلك وجدت أسلم حل أن أفضل مقعدي عن المقعد الخلفي بالحاجز الزجاجي، والذي كت أستخدمه في الفترة التي استعنت فيها بسائق خاص عندما جاءتني فobia القيادة، وكني لا يتلخص على ما أقوم به مع فتياتي في تلك الفترة المظلمة من حياتي التي تلت انفصالي عن زوجتي، وليرحم الله نجيب حتى نصل.

فتحت الشباك متلمساً الهواء المتدافق والذي يعمل كمبرومة عملاقة كحل هزيل لمواجهة الذباب، وتكتف الهواء المندفع مع السرعة العالية، بطرد معظم جحافل الذباب المهاجمة، ولكنني لم أتحمل حتى النهاية.

وفي منتصف الطريق كانت روحى قد بلغت الحلقوم، لم أستطع الصمود أكثر أمام مضائقات العدد المتزايد من الذباب الذي لم يستطع الهواء طرده، واضطربت للتوقف على جانب الطريق للحظات واستخدام نظارة السباحة، والتي أخرجتها من حقيبتي الرياضية. وشغلت فمي بسيجارة مشتعلة أخذت أنفس دخانه في غضب.

قطعت المسافة الفاصلة عن عيادة الدكتور (راغب مهران) في وقت قياسي وعن طريق الهاتف المحمول، أخبرت الطبيب بما حدث فشرع في إعداد غرفة العمليات، كما أخبرته بمشكلة الذباب، ورغم تعجبه وتهيبه إلا أنه تجاوز عن الأمر بصعوبة غير مصدق، وقال أنه سيعد العدة.

لم يتوقع الدكتور مهران مقدار الإصابة ولا حجم الذباب.

ولكنه قام بعمل أسطوري في تلك الأجواء العجيبة، إنها الجراحة الأولى التي يقوم بها وسط مبيدات الحشرات، وفي أجواء غير معقمة تماماً، وفي النهاية أنقذ نجيب الذي تحطم نصف عظامه، وقد بصره جراء ارتطام وجهه بشبكة السيارة الأمامية.

اعتصري تأنيب الضمير، ولم أقو على منع دموعي من الهطول وأنا أتذكر بسمته الطفولية وحكياته التي لا تقطع عن أبيه وقوته..

واسيت نفسي بأنه على الأقل ما زال حياً، وهو دون شك سيحتاج لوقت طوبل ليستوعب الصدمة، ولكنني أعرف أنه سيتجاوزها.

المصيبة الكبرى في كيف سيخبر والديه بما حصل، وأشار عليّ دكتور راغب بأن أؤجل الأمر قليلاً حتى يتسعى نقله من العيادة ليبعد عن نفسه أي مشكلة، كما أنه الآن في حالة خطيرة لن تسمح بنقله.

وافقته على هذا الحل لأنه كان قريباً مما كنت أفكّر فيه، ثم أسداني دكتور راغب خدمته الأخيرة، حيث قام بعزل نجيب في غرفة خاصة تم تخصيصها له في طرف فيلته التي يستخدمها كعيادة، والتي كانت تستعمل كمخزن لأدوات الحديقة وبعض الأشياء الأخرى.

تكلفت هذه الغرفة المجهزة مبلغاً فلكياً، ولم أتوانَ في دفعه فآخر شيء أفكّر فيه الآن هو النقود. وخلال اثنين وسبعين ساعة كان قد تم نقل نجيب إليها والذي بدأ يعود إليها وعيه.

لم تكن غرفة عادية، وبالتالي تجهيزاتها، فقد طليت بطلاء أزرق وهو أكثر لون يكرهه الذباب بعد أن خلط بمادة كيماوية عديمة الرائحة ذات تأثير طارد للحشرات، وتم تزويدها من الخارج بجهاز ذبذبات مخصوص أرسله أحد زملاء دكتور راغب من ألمانيا بالبريد السريع يطلق ذبذبة تؤذى الذباب، وأخيراً الأبواب والشبابيك العازلة والتي تشبه أبواب الثلاجات.

من يفكر أن خمسة أيام فقط هي التي مضت على وقوع الحادث وإنشاء الغرفة، سيعرف دون شك أن النقود تصنع المعجزات. إنها عصا ساحر العصر الحديث.

وفي اليوم السادس طلب دكتور نجيب استشارة بعض زملائه من علماء الحشرات في ألمانيا وقرر بعضهم القدوم لمشاهدة الحالة وإسداء النصيحة مع ملك الذباب هذا، واقتراح عليه أحدهم استخدام بعض النباتات آكلة الحشرات حول الغرفة لتقليل من تكاففها. وتم الأمر بالفعل، ولكن أيّاً من هذه الحلول لم يأتِ بالنتيجة المرجوة.

الذباب كان يصنع ستارة كثيفة حول الغرفة وكأنها خلية نحل وليس مجرد غرفة، واضطربت الممرضة المكلفة بمباعدة حالتها، لارتداء زي أشبه بزي المتعاملين مع النحل، وكانت تدخل لممر فاصل معزول يقودها صوب الغرفة، وما يصحبها من ذباب تقضي عليه مباشرة بالمبيد قبل أن تدخل

لتحمّن نجيب الدواء والغذاء الموضوع في علب بلاستيكية خاصة محكمة  
الغلق.

لم تكن الممرضة تخفي ضيقها وتبормها من ذلك المريض الجاذب للذباب،  
برغم الراتب الإضافي الذي كانت تحصل عليه مني. وإن لم يستمر الأمر  
على منواله للنهاية.

وفي اليوم السابع كانت المفاجأة.

فعندما أقبلت إلى عيادة الدكتور راغب، حاملاً معه البيتزا التي يعشّقها  
نجيب والتي قمت بوضعها بداخل حقيبة مخصصة تحفظها ساخنة ومعزولة،  
وقمت بقطع الممر الفاصل المؤدي إلى غرفة نجيب لم أسمع الطنين  
المميز لأسراب الذباب، والذي لا ينقطع ليلاً نهاراً وعندما ظهرت الغرفة  
لنظري، اتسعت عيناي من المفاجأة.

لقد ذهب الذباب !!

ذهب بغير رجعة، تلك الستارة الكثيفة التي كانت تحيط بالغرفة إحاطة  
السوار بالمعصم.. تلاشت نهائياً.

لم أستطع أن أسيطر على نفسي من السعادة، وأطلقت صيحة فرح، وكدت  
أن أقفز لأعلى من الفرح، قبل أن أندفع كالصاروخ نحو غرفة نجيب  
المغلقة. وهناك كانت تنتظري مفاجأة أكثر وطأة وقسوة.

ففراش نجيب كان حالياً ووسائله ممزقة وأحشاؤها متاثرة في كل مكان، وكان هناك من مزقها متعمداً. والشرашف غارقة في كمية هائلة من الدماء، وأثار الدماء توحى بأن هناك، معروكة نشبت فوق الفراش، وأن هناك من انتزع نجيب انتزاعاً من فوق الفراش.. قبل أن يجره صوب الجدار المقابل لستبي الآثار والدماء هناك، وكأنه طار إلى السماء أو ذاب في العدم أو ابتلعه الحائط.. وعلى الجدار المقابل كان القميص البرتقالي حالياً، ملتصقاً بالحائط ومحترقاً من الوسط، وأثار الاحتراق على هيئة وجه مخيف له قرون وأنياب حادة.

لم أستطع التحكم في معدتي فتنقيأت ما بها من طعام. وعندما انتهيت، ومن وسط عيني الغارقين في الدموع، لمحت على الجانب البعيد من الفراش، الممرضة (سهي) ملقاة على الأرض في وضع غير مريح وفاقدة للوعي .

ثم رأيت ما أثار ذعري.

فعلى الحائط القائم خلفها، وبالدماء الحمراء التي تخص نجيب دون شك، والتي تحولت للون قاتم فوق الطلاء الأزرق كانت العبارة المخيفة التالية مكتوبة :

- الثاني يتلاشى في اليوم السادس.

## المعنة الثانية - الرغبة

عرفها دانتي : الحب الطبيعي للآخرين يتحول إلى عاطفة آثمة، يغلب فيها حب البشر على حب الآلهة.. مرتبطة بأمير الجحيم أزمودياس Asmodeus واللون الأزرق...

من أنا؟

أنا يا سيدى.. أنا التي أُحب بوصةً من اللحم.. أكثر من ذراعٍ من السمك.



## - التي رأت الشيطان -

"لعلو مملكة الملاوس والجنون".

هذا هو ما حدثت به نفسي عندما سمعت ما ردته الممرضة (سهي) بعد أن استفاقت من غيبتها، وقد استحالت خصلة لا يأس بها من شعرها الفاحم إلى اللون الأبيض، وتشوه جانب وجهها الأيسر بحروق مخيفة من الدرجة الثانية، يصحبها إصابات غائرة مزقت لحم الوجه بعنف، و تبدو بالإصابة وكأنها حدثت بأداة معدنية مسننة ذات أطراف حادة، مما يشي بأن أي مجهد سيصرف على عمليات التجميل، هو جهد ضائع، لقد تشوه وجهها بطريقة مريعة، والشيء المؤكد أن عقلها بات على حافة الهاوية والخيال.

تقول سهي :

لا أعرف لماذا غزت الشفقة قلبي تجاه هذا الصبي المعزول في غرفة الحديقة، والذي لا يكفي الذباب عن محاولة الوصول إليه ليلاً نهاراً. وكأنه قطعة الحلوى التي ستذهب للذباب الخلود.

لم أستوعب الموقف في البداية، فما يحدث حولي هو شيء ينتمي لعالم آخر لا أجيد قراءة مفرداته. فلا يوجد مرض في الدنيا من الممكن أن يجذب هذه الأسراط الهائلة من الذباب، حتى الجروح المصابة بالتعفن

والغرغرينا لا تجذب هذه الكمية الهائلة من الذباب، والتي تكفي لإلقاء راحة مدينة بأسرها.

بكاء نجيب المتواصل هو السبب الرئيسي في اهتمامي به. فالبكاء هو نقطة ضعفي الكبri، فقلبي الضعيف جعلني لا أتحمل أن أرى طفلاً يبكي، وحالته المتدهورة هذه جعلته يشبه الأطفال تماماً. نحيبه المتألم كان يمزقنياط قلبي وإلحاحه المستمر في طلب الطعام كان يفتت كبدي، فكنت أحالف أوامر الدكتور راغب وأمرر له بعض الطعام من حين لآخر. لقد رأيت فيه أخي الذي اختفى منذ اندلاع الثورة ولم يظهر من حينها ب رغم وجود تأكيدات على اعتقاله في أحد السجون الحربية، أعتقد أن كل البدناء متشابهون ولكن نظرة عينيه الشبيهة بنظرة أخي لا يمكن أن أخطأها.

عندما منحته الدواء المسكن أخبرني صوته الباكى بما يريده، ونازعني أموتي وقسم مهمتي، وفي النهاية تغلبت مشاعر الأمومة بداخلي على كل شيء آخر..

إنه مجرد طفل جائع !!

طفل يحتاجني وأنا لن أحذر من يحتاجني أبداً.

عندما كلفني الدكتور راغب بالانقطاع للعناية بنجيب، لم أشعر بأنه تكليف قدر ما هو عقاب، ربما لم ينسَ دكتور راغب موضوع زجاجات المورفين

التي اختفت من عهدي بعد. وها أنا ذا وخلال مدة قصيرة، أرتكب الخطأ الثاني بعصيان تعليماته.

المهم أنني تسللت إلى مطبخ العيادة الضخم المتخصص بالطعام والشراب وأحضرت له عدة أرغفة من الخبز الطازج، وثمرتي برقال، ونصف دجاجة مسلوقة، وشرعت في إطعامها له.. وبعيون تكاد تقفز من محريهما، جلست أتابعه وهو يلتهم الطعام.

لم أر في حياتي نهما مماثلاً، ولا معدة من الممكن أن تتقبل مثل هذه الكمية من الطعام. فقبل أن ينتهي يطلب المزيد، وقبل أن يتطلع القطعة الحالية يريد القطعة التالية، إن هذا شيءٌ مخيف بلا شك، ولولا وجوده بداخل المسترة الجبسبية لربما ظل يأكل حتى انفجرت معدته وأمعاءه.

المشكلة كانت في الإخراج، فمع كل كمية الطعام هذه لا يبدو أن جهازه الإخراجي يعمل بكفاءة. وهذا كان يمثل عبئاً إضافياً عليّ، ولكنني تقبلته على مضض، فمن يبدأ فعل الخير عليه أن يتمه، مهما كان مقرراً.

الخلاصة أنني اعتبرت نجيب مسؤوليتي، وقررت ألا أتخلى عنه أبداً، فربما الخير الذي أقدمه هنا ينعكس على أخي هناك، فيرأف به سجانه ويمنحه بعض الراحة وسط وصلات التعذيب التي لا تتوقف في المعتقل العربي المظلم.

في اليوم التالي، أحضرت له بعض الطعام المنزلي، فالسلطو اليومي على مطبخ العيادة سيسهل أكتشافه وربما يتسبب في طردي فالنظام هنا صارم جداً ودقيق، ولو لا ثقة الدكتور راغب فيّ لما مرت مشكلة المورفين على خيبر.

المكان هنا لم يكن عيادة عادية كما يتأتى لتفكيركم عند ذكر لفظ عيادة، بل إنه نوع خاص جداً من المستشفيات والتي لا يرتادها إلا شخصيات عامة شديدة الخصوصية وبعض الأثرياء الذين يفضلون الحجز في ذلك المشفى الخاص، عن الذهاب لأى مستشفى شهير، فالدكتور راغب حول هذه الفيلا بالفعل إلى منتجع طبي متكامل، ولا يقبل فيه إلا حالات محدودة، فهي مستشفى خاصة للأثرياء والشخصيات المهمة، مكان يضمن السرية والأمان وعدم تسرب الأخبار التي قد تهز البورصة أو المطبخ السياسي.

وبرغم ذلك يصر دكتور راغب على إلقاء اسم العيادة عليه، وبالطبع هو يتلقى مبالغ فلكية من قاطنيه، بل ويقبل بالعديد من الحالات التي يحرصون فيها على عدم تدخل الشرطة ولكن هذا الكلام ليس للنشر.

المهم أنني في ذلك اليوم وعندما أنهيت من الإجراءات اليومية المقفرزة كي عبر لداخل غرفة الحديقة، والتي تحولت الأرض حولها إلى سجادة بشعة من الذباب الكثيف المحترق سيء الرائحة، بعد أن قام فهيم البستانى باستخدامه، اللهب في حرق كميات كبيرة منها ليتيح لي وسيلة آمنة للدخول

بعد أن تضاعفت أعداد الذباب باضطراد حول الغرفة، وسدت المدخل تماماً في مشهد مهيب.

وفي اللحظة التي همت فيها بعبور الممر المعزول محملة بالطعام وبصيقي الشديد، فاجأني الصرخة الهادرة، فهربت مسرعة إلى داخل الغرفة وخلفي بعض الذباب الذي لم أنجح تماماً في القضاء عليه من لفتي لاستجلاء الأمر، إنها صرخة نجيب دون شك.

وعندما لامست قدماي أرض الغرفة دارت الدنيا برؤسي على الفور وطفقت أفرك في عيني غير مصدقة، لابد أنها تلفت أو أني أحلم، أو شيء ما أصاب العصب البصري فتوقف عن بث الصور الحقيقة إلى مخي، واستبدلها بتلك المشاهد المروعة، فالغرفة نفسها لم تكن على هيئتتها الطبيعية أبداً.

فالجدران زرقاء اللون تلاشت تماماً وحلت محلها أشجار سوداء هائلة الحجم متفرحة الجذور يتتصاعد منها الدخان دون توقف. وفي الخلفية سماء حمراء داكنة لا يتوقف البرق عن جرحها. الأرض نفسها كانت ترابية والتراب يتماوج طوال الوقت على شكل أعاصير صغيرة تطارد بعضها بعضاً.

أما المشهد الذي لن يفارق مخيتي في يوم من الأيام هو مشهد المذبح، ففوق مذبح حجري أملس ملطخ بالسواد تمدد نجيب بلا أي ضمادات أو دعامات جيسية، عاري الجسد كيوم ولدته أمه. منتصباً أمامه وبارتفاع ثلاثة

أمتار وقف الشيطان بقرينه العظمين وذيله المشقوق الذي يتلوى كالشعبان، وفي يده شوكته الشهيرة، ويبدو أن هناك حواراً عنيفاً يدور بينهما.

لم أتحرك من مكاني قيد أنملة، حتى عندما رأيت العقارب الهائلة تخرج من باطن الأرض وتتنفس التراب عن جسدها المخيف لتسجه نحوه بقيت في مكاني.

ما يحدث أمامي أفقدني صوابي، ولم يترك لي هلهلي أي رد فعل، فقط في اللحظة التي هم الشيطان فيها بطعن نجيب بشوكته التي اشتعلت النيران في مقدمتها، انتزعت من داخلي صرخة واهنة لأجبره على التوقف، وكان هذا هو رد فعل الأخير.

فقد شقت الشوكة المتألقة الهواء في سرعة، لتلطم بحراها المشتعلة جانب وجهي الأيسر، لأشعر بعدها باللام لا نطاق، وكان هناك من سكب الحمض على وجهي.

لم أتحمل الألم المريع لأكثر من لحظة واحدة، لأ فقد الوعي بعدها. ولأستيقظ الآن، وهذا هو ما حدث بالتفصيل ودون زيادة أو نقصان.

ساد الصمت للحظات، حتى بدأ كضيق ثقيل ينazuنا الغرفة، وأنا أحارب مع الدكتور راغب استيعاب هذا الكم المذهل من الأحداث الغريبة التي قصتها سهى على أسماعنا، والتي لا تتفق مع شخصيتها ولا ثقافتها. كان من الطبيعي أن أصدق ما قصته علينا بعد تلك التجربة المريعة التي مرت

بها في غرفة الشيخ ياسين، ولكن عقلي أبى أن يصدق ما سمعته منذ لحظات، فكيف تقرر الشياطين فجأة أن تتجسد وتخرج من بعدها المظلوم لتواجه بعض البشر الواهنيين، حقيقة تجسد الشيطان في العصور الغابرة لا مراء فيها، ولكن الآن.. الأمر صعب جدًا لا يتناسب مع روح العصر أو التكنولوجيا.

إن الأمر غير قابل للتصديق ومخيف أيضًا. بل ويؤحي بكارثة قادمة. كيف تبدلت حياتي على هذا النحو؟! بل كيف سمحت بالأمر من الأساس؟!

فبعد أن كنت أحظى خلال الأشهر الماضية بليالٍ حمراء وخضراء وبكافة ألوان قوس قزح، وأقطف من ثمار الحياة ما يصيبني بالتخمة، ها أنا ذا في خضم أحداث مشؤومة لا أعرف لها رأساً من قدم. أشياء لو حدثي عنها شخص آخر، لطلبت منه على الفور صنف الحشيش الفاخر الذي يتعاطاه.

ماذا فعلت ياشيخ ياسين، وأي بوابات الجحيم قمت بفتحها ولماذا؟! الخيط الوحيد الموجود أمامي الآن هو سهى، لذا فإنني سأتجاوز عن سوء حالتها وأحاول أن أعرف أكثر. هو تصرف غير إنساني ولكن لا مفر منه. أي معلومة قد تفيد في هذا الوضع الملتبس، فربما ما أخبرتني به هو مجرد هلاوس ناتجة عن الصدمة، وهناك في تلaffيف عقلها تكمن القصة الحقيقة.

النقطة التي تحيرني هنا، إذا كان ما قصته هو مجرد اختلاق وخيال جامح،  
فأين ذهب نجيب؟! وما هي طبيعة هذا الشيء الذي هاجمه، ولماذا؟!

نفضت الأفكار عن عقلي، وقررت أن أجرح الصمت الذي غلف الغرفة بعد  
أن انتهت سهى من سرد قصتها، وهو الصمت الذي احترمه الدكتور راغب.  
و قبل أن أشرع في نقاش سهى، فاجأتني هي، فقد زاغ بصرها وانقلبت  
ساحتها وتحشرج صوتها وصرخت متضرعة :

- احرقوا الغرفة.. احرقواها.. إنها الشغرة التي تقود إلى حيث تسكن  
الشياطين.

صادمتنا العبرة.. لا.. بل روّعتنا وخللت قلوبنا من موضعها، فعدنا أنا  
و دكتور راغب نتبادل النظارات الحيرى.

المشكلة أن الصدق جلي وواضح في كلمات سهى، فإذاً أن ما تقوله  
 حقيقي، أو أنها تؤمن بكونه حقيقي، في تلك الحالتين لم تكشف شيئاً من  
 الغموض المحيط بالأمر. إن كل الطرق تقود نحو المجهول.

ندت عن سهى آهة متألمة، فالتفتني نحوها، قبل أن تكسر الصمت مرة  
 أخرى، وهي تنظر صوب الدكتور راغب، بلوعة و Yas متضخمين وبصوت  
 مذعور تساءلت وهي تتحسس الضمادة المحيطة بوجهها :

- هل سيظل وجهي مشوهاً إلى الأبد؟!  
 وبكت قلوبنا حسرة، دون أن ننبس بكلمة.

## - العبق -

أمجد اختفى.. !!

لا أحد يعرف عنه أي شيء، جيرانه يقولون إن أقاربه حملوه معهم إلى بلدتهم الفيوم، ولم يتركوا خلفهم عنواناً ولا رقم هاتف يرشد إليهم. لذا فالبحث عنه الآن سيكون بلا طائل. خاصة وأن الفيوم ليست مدينة صغيرة، ومن السهل أن يذوب فيها أمجد للقرن القادم. وهذه مصيبة جديدة. لقد وضعنا أمجد في هذه المحنـة ثم تلاشـى من حياتـنا وكـأنـه لم يكن يومـاً.

المرة الوحيدة التي أذكر فيها وجود أمجد خلال الأيام الماضية، عندما زارني في ذلك الحلم الذي مررت به أثناء غفوتي بالسيارة ووجهني الإنقاذ نجـيب من خـطر قـرـيب.

هل التـقيـيـه فـعـلـاً أـمـ هوـ مجـرـدـ هـذـيـانـ؟!

الـعـجـيبـ أـنـيـ لمـ أـكـنـ وـسـيـلـةـ الإنـقـاذـ المـنـشـودـةـ، بلـ كـنـتـ الأـدـاةـ التـيـ كـادـتـ أـنـ تـوـدـيـ بـحـيـاـةـ نـجـيـبـ لـوـلـاـ سـتـرـ اللـهـ وـمـهـارـةـ دـكـتـورـ رـاغـبـ وـقـتهاـ.

أـنـاـ المـخـطـئـ.. نـعـمـ أـنـاـ المـخـطـئـ.. إـنـيـ سـهـلـ الـانـقـيـادـ لـاـ تـغـرـنـكـمـ تـلـكـ النـفـةـ الـمـفـرـطـةـ الـمـرـسـومـةـ عـلـىـ وـجـهـيـ، إـنـهاـ شـبـكـةـ الصـيـادـ لـإـيقـاعـ ضـحـيـاهـ مـنـ النـسـاءـ. لـوـ لـمـ أـكـنـ سـهـلـ الـانـقـيـادـ لـمـ سـمـحـتـ لـزـيـجـتـيـ الـأـولـىـ أـنـ تـفـشـلـ، عـلـىـ يـدـ بـعـضـ الـعـاهـرـاتـ.

من قال إن كل النساء تتشابه في النهاية كان عقريًا فعلاً.. فكل المغامرات التي خضتها أبيبتي بحماقتي، فلم تمنعني امرأة مهما همت بها أو تعلقت، أكثر مما منحته لي زوجتي.

ربما هي الرتابة أو الملل أو التوق لمغامرات زمن ولی وانقضی، إن الرجل يريد أن يشعر أيضًا بكونه مرغوبًا وأنه لم يصل لنهاية الطريق بهذه السرعة.

إن التعلق بأمرأة واحدة كالتعلق بسيارة من السبعينات، ربما هي تتوافق مع حالتك المزاجية والنفسية ولكنها أصبحت أقل كفاءة وتقبلاً في الواقع المنطلق بسرعة الصاروخ.

إني أفتقد للشعور بالرضى، وهذا هو ضعفي الكبير.. وذلك الضعف في شخصيتي هو ما جعلني لا أفكّر قبل أن أقدم على حمّاقات كثيرة.

الخلاصة أنه لم يكن عليّ أن أطيع ذلك الهاجس، سواءً في إنهاء زواجي أو في اتباع نصيحة أمجد.

الشيء الغريب فعلاً، هو كيف آمنت لحظتها بكون الأمر رؤيا حقيقة، وليس مجرد حلم عابر ينفس به عقلی الباطن عن الضغط العاتي الذي تعرضت له طوال الأيام السابقة.

ثم كيف عرفت الطريق بهذه الدقة، وكيف يتزامن وصولي مع قطع نجيب للطريق؟!

هل كان الأمر مدبراً من قبل قوى عليا، أم هو سوء الحظ عندما يتخذ طابعاً خارقاً؟!

اللعنة.. كل سؤال يقود لآخر في هذه الدائرة الجهنمية.

لقد تصرفت بناءً على بوصلتني الداخلية الحمقاء وهذا يكفي الآن !!

الأمر كله سوء حظ، فقط تجمعت قطع البازل في توقيت سيء، والدليل على هذا أنني لو عدت بذاكرتي لتفاصيل هذا الحلم لتأكدت من كونه كابوساً وليس رؤيا، فأمجد نفسه كان يقف على سفح بركان مشتعل والدماء تغلي في عروقه، وتغرق جسده، والنيران تلتهم أطرافه.

لا أحد يقطن الجحيم، وينشر الزهور.

حقيقة لا أعرف ماذا أفعل الآن، ما هو التصرف المنطقي الذي يعيد حياتي لمجرها الطبيعي، كيف أنسى تلك التجربة المروعة بمنزل الشيخ ياسين، وكيف أنسى اختفاء أمجد، وكيف أتجاهل ذلك الفجح الشيطاني الذي أحال حياتي لجحيم.

تحتاج ذاكرتي دون شك لحمض كاوٍ كي يطمس كل هذه الذكريات الشنيعة. فكل شيء حولي غامض، ويقودني نحو عالم لا أستوعبه نهائياً - الجن والشياطين - لقد أصبح عالمي يغص بهم هذه الأيام، وكأن الهواء نفسه قد تعق بوجودهم.

المرة الوحيدة التي خضت فيها في دروب هذه العوالم المشؤومة، كانت عابرة، وعلى سبيل الدعاية، مجرد قراءة كف، وقام بها ساحر أفريقي أسود البشرة كالبازنجان يدعى ريحان وكانت هذه المرة في فيلا صافيناز شاكر، سيدة المجتمع الشهيرة والمعروفة بحفلاتها شديدة الفخامة والبذخ والغرابة.

أعتقد أن صيحات الحفلات المختلفة التي يقوم بها الأثرياء في مصر هذه الأيام، تتبع أولاً من فيلتها لتصير صيحة يتناقلها الأثرياء، إنها هي من بدأت موضة تصوير الحفلات وبتها على الهواء مباشرة على بعض تلك القنوات الفضائية التي لا تعرف هدف فتحها من الأساس.

تعشق صافيناز شاكر كل ما هو غريب وجديد ومبتكرا. إنه الملل الذي يتبع النساء الفاحش. فوجود تلال من النقود تتزايد في كل لحظة، يجعلك لا تشغلك إلا بالبحث عن تلك الأفكار الجديدة والمبتكرة التي تمنحك تلك الهمة المخيفة التي تسمح لك بالسيطرة على من حولك، وأي فكرة مهما كانت مجنونة فهي قابلة للتنفيذ على الفور.. فالنقود تصنع المعجزات في هذه الأيام.

وصافيناز شاكر من أصول تركية، لذا فإن لديها ذلك الرأس الصلب والإرادة التي لا توهن والعزم الذي لا يلين.

هي من أصرت على أن يقوم ريحان بقراءة كففي لمعرفة طالعي، وقد أخبرتها وقتها أن طالعي سيء ولا يحتاج لمنجم ليخبرني به. فقد كنت قد انفصلت

عن زوجتي منذ أيام معدودة، ولكنها كانت مصرة كعلقة من النوع مصاص الدماء، إن العرق التركي بداخليها جعلني أوفن أن الخلاص منها لن يكون إلا بالموت، فوافقت على مضض، وروحى متشبعة بضيق بلا حدود. ثم جاء ريحان ليزيد الطين بلة.

لا أعرف لماذا كرهته من النظرة الأولى، هناك لزوجة عجيبة تحيط بأرواح هؤلاء المشتغلين في حقل السحر سواء أكانوا صادقين أو دجالين.

لزوجة جعلتني أنفر منه ومن ملمس يديه الشبيه بجلد الشعابان. شعرت بأن مجرد لمسه لي انتهك لخصوصيتي وقدسيّة جسدي، ولكي قررت التحمل أكثر فأنا أدين لصافينا ز بالكثير، وطالما جعلتني مهرج الحفل لهذه الليلة فعلي أن أطيع.

لذا فإنني تركت كفي لريحان ليمارس شعوذته، مع شعور عارم بالنفور يتزايد في كل لحظة، وعندما قبضت يد ريحان الأبنوسية على يدي ونظر بعينيه الضيقين كثقب الإبرة إلى خطوط كفي حدث شيء غريب.

لقد ارتجف.. نعم ارتجف وبدا عليه الذعر، وطلت من عينيه نظرة سوداء مخيفة، ورفض أن يكمل قراءة كفي. ونالته مني نظرة ساخرة محقة من نوع:  
– هل تعتقدني غر ساذج أيها الدجال القادم من مجاهيل أفريقيا؟! لقد كشفت أسلوبه من اللحظة الأولى.

إنه يمارس تلك الألاعيب المفضوحة التي نسيها عالم الدجل منذ قرون.  
التردد والإحجام ثم النبوءة.. هلم أيها الدجال لا نريد منك إلا جملة  
مسجوعة لينقض السيرك.

هل كذبت وصدقت كذبتك، وستبالغ في رفضك.. هيأ لا تكن ثقيل الظل.  
حقيقة أنا لا أؤمن بمعظم دروب السحر وفنونه، وخاصة تلك التي تتبخر  
فور انصراف الساحر. وأؤمن أنها مجرد خدع متقدمة وخفة يد لا أكثر،  
ناهيك عن أن معظمهم نصابين، يكفيك فقط أن تفتح صفحة الحوادث  
لتتسع عينيك دهشة من أعدادهم التي تفوق أعداد الجراد.

الساحر الحقيقي لن يحضر الحفلات المماثلة ليقرأ الكف مقابل حفنة من  
الأوراق المالية، ولن يظهر على شاشة التلفزيون ليقوم ببعض الحيل  
الساذجة.. الساحر الحق هو الذي لن يجد مجهوداً في أن يصير زعيم  
العالم ويمتلك خزائن كنوز الأرض، ويصل لنبع الشباب والخلود.

أما هؤلاء المسؤولون فلا يحظون مني بأي احترام، لقد جارتهم فقط لإضفاء  
بعض المرح على جو الحفل الرسمي. فرشاد الدنجوان الشهير لابد وأن  
يمارس كل الحماقات التي تغري الفتيات بالتعلق به وفي نفس الوقت يرضي  
هفوات صافيناز شاكر. إنها قواعد هذه الحفلات. وأنا أنيت بكامل إرادتي  
الحرة.

برغم كل ما قصته عليكم وصدعت به رؤوسكم، وإيماني الشديد بكون ريحان نصاب آخر، لكنني لن أخفى شعوري لحظتها، فالامر لم يكن بالبساطة المتوقعة، فريحان ساحر ومشعوذ وله مریدوه، وتأثيره الذي جعله - وهو الأقرب للشحاذين - يحظى بمكانة رفيعة في حفل صافيناز شاكر لا ينكره إلا أعمى، كما أنه قد أتى من مجاهل أفريقيا السمراء حيث السحر الأسود مازلت نبتته تتمسك بالأرض مقترنة بسحر الكابالا اليهودي، وحيث ما زالوا يقتلون الأطفال على المذبح إرضاءً لآلهة السحر الوثنية، كما أن إيمان من حولي به والنظرة الخرساء على وجوههم، فور إحجامه عن قراءة كفي جعلت شيئاً من الذعر يتسلل بداخلي وإن أخفيت الأمر على من حولي بقناع من السخرية والبرود.

إن التوافق الجمعي مسيطر وموحٍ. لذا فإنني تجاهلت الجميع ورسمت على وجهي ابتسامة ساخرة، وأشحت بيدي في لامبالاة، وكأن ما توقعته يحدث، وإن تمكنت بأعمالي ألا يستجيب المشعوذ لضغط صافيناز، كي تبقى حالة الغموض التي صنعتها كلمات ريحان من حولي. تلك الهالة التي قد تجذب فراشات منبهرات حتى غرفة نومي.

كاد الأمر أن ينجح وبمر مرور الكرام، لو لا ذلك العرق التركي اللعين، الموجود في حمض صافيناز النووي.

فقد أصرت صافيناز على أن يقوم ريحان بقراءة كفي، ورفض هو عدة مرات، ولكنها قست عليه، حتى شعرت بعض الشفقة نحوه، إن الحيوان الذي سقط بين فكَي التمساح الهائلين لا بد وأنه شعر بشعور مماثل وهو يختبر، وعلى مضض أعاد ريحان النظر في كفي وعلى وجهه ارتسمت آثار المعاناة، وكمن ينتزع روحه من جسده قال :

- طالعك نحس.. وروحك أسيرة الظلام.. لو كان الأمر بيدي لاخترت لك الموت.. لكن الموت راحة.. ومثلك سيشقى إلى الأبد.

شعرت لحظتها برعب عاتٍ ارتسم على وجهي للحظة، مما أثار شهية صافيناز شاكر للضحك، فأطلقت لحظتها ضحكة ماجنة ماكرة، ثم جرت ريحان من يديه وهي تردد :

- أيها الشقي.. لقد أثرت ذعره.

لا أعرف لماذا تذكرت هذه الحادثة الآن. هل بدأت أؤمن بتلك الأشياء؟!  
حقيقة، إن الاقتناع بالخرافات لا يحتاج لأكثر من الوقت المناسب.

\*\*\*\*

- طق.. طق.. طق.

في المساء وعندما سمعت طرقات الباب، كان عقلني مازال مشغولاً باختفاء نجيب وأمجد. وبنبأة ريحان، وتلك العبارة التي وجدتها منقوشة على الحائط في غرفة الحديقة بالدم.

- الثاني يتلاشى في اليوم السادس.

إنها تيمة شهيرة استخدمت في العديد من الأفلام والروايات التي تدور حول القتلة المتسلسلين.. ما علاقتي أنا بأي قاتل متسلسل، وهل هناك في العالم الشيطانية، قتلة متسلسلون لديهم هوس نفسي؟!

ثم ما أهميتي أنا وهذه الشلة المخربة، ليتبيننا قاتل متسلسل سواءً أكان بشرياً أو شيطاناً، ثم من قال إن نجيب قُتل من الأساس. الدماء لا تعني أبداً أنه قُتل، ربما هو مصاب في مكان ما.

ماذا حدث بالفعل في غرفة الشيخ ياسين؟!

هل أصينا بلعنة ما؟!

هل سأتلاشى مثلما حدث مع نجيب، وهل اختفاء أمجد مبرر؟!

ضبطت نفسي أناقش هذه الخواطر المريضة مع نفسي وأتعمق في تفاصيلها أكثر وأكثر، فعرفت أن عقلي يئن بالفعل من الإرهاق، لقد اختلط كل شيء

بعضه بداخله. وربما احترقت بداخله خلايا كثيرة لم تستطع أن تفك تلك الطلاسم التي تحيط بي.

القتلة مع الشياطين مع الإرهاق وقلة النوم، توليفة مميزة تقود بخطى حثيثة نحو الكتاب والذي سيسحبني بدوره لدروب الانتحار المعبدة.

- طق.. طق.. طق..

الطرقات من جديد، هل هناك من يحاول هدم أعمدة عقلي؟!

- طق.. طق.. طق..

هذه الطرقات..

تنبهت أخيراً إلى أن هذه الطرقات لا تتبع من داخلي، ولكن تأتي عبر باب الشقة. فقمت بروح منقبضة لأفتح.

الساعة في الصالة تشير إلى الثالثة صباحاً. من الذي سيأتي لزيارتني في مثل هذا الوقت؟!

عندما فتحت الباب، هبت على نسائم الجنة، واجتاحتني العبق.. عطر ساحر قُطفت أزهاره من بساتين الجنة. أدار رأسه للحظات فوصلت بنشوتي للذروة دون نساء ودون مداعبة. ثم تنبهت لتلك الحورية المذهلة ذات الجسد الممشوق المستندة إلى حافة الباب. ففجعت فاهي ووقفت كالمشدوه أتطلع في عينيها إلى كل أسرار الدنيا.

ما هذا الجمال !؟

ما هذه الفتنة !؟

هل يتحمل كوكب الأرض هذا الدلال كله، فلا تنصهر نواهه الحديدية.

الأنوثة مقطرة.. الفتنة مجسدة.. إنها المرأة التي يخشى وجودها كل العشاق.. فبهبوطها على الأرض ستهار قصص الحب، وسيلهث خلفها الرجال، وستلعنها النساء وهن يحتضنن الوسائل وحيدات باكيات.

إن لأنوثة معياراً، وهي تخطت كل المعايير.

هل دار بيننا حوار !؟

هل عرفت سبب قدومها في مثل هذا الوقت المتأخر !؟

هل جالستها حتى الصباح !؟

هل تمرغت بين ذراعيها على سطح القمر !؟ هل تناولنا نجمتين بطعم الكروم المثلج !؟ هل رسمنا الأمنيات على أجسامنا العارية !؟ هل سبينا في بحيرات العطر، وامتنجنا حتى انصرف الكون من حولنا !؟

ربما ..

إذن أين ذهبت !؟

لقد ظهرت كقمر وتلاشت كحلم رائع.

عيقها فقط هو الباقي، كقلب زهرة فواحة.

عيقها فقط هو المهيمن، وهو الذي احتل صدري وأنفاسي.

عيقها فقط هو الذي يفوح من شقتي وملابسني، وعالمي بالكامل.

لقد سحرتني ثم ذهبت.

فكيف لم تذهب روحي خلفها؟!

## - الحبة الزرقاء -

اللون الأزرق هو آخر الألوان زوالاً من قوس قمر.

اللون الأزرق هو لون طلاء شفتيها. ولون ردائها الحريري ولون عينيها. ولون سياراتها، ولون عالمها كله. إن البحر هناك والسماء كذلك.

اللون الأزرق هو لون الحياة ولون الرغبة.

وهي كانت تهيم باللون الأزرق.

فيروز.. كان اسمها، وفي معجم الأسماء هو حجر كريم أزرق يميل للخضرة..

قابلتها ذات مساء بالقرب من مقهى (ستار بكس) للمهندسين، الوقت كان متاخراً وسيارتي الجديدة تعطلت وأصبحت كتلة معدنية صماء، والشوارع خلت فجأة من سيارات الأجرة، ثم سطع البرق وتلاه الرعد منذراً بليلة سوداء أخرى. وتصادف أن تشبهت وجهينا، وفي الطريق تشابكت رغباتنا، وفي النهاية استضافتها لقضاء الليلة بمنزلي.

ووسط العق الذي فاق كل أنواع المخدرات من نباتات وكيمياء. دارت معركة أسطورية، ارتشف كل منا من رحيق الآخر، حتى أضاءت روحه وتبدلته شخصيته فطلب الأبدية.

إن العق لا يمنح فقط.

إن العبق يرحب أيضًا في الثمن.

لم تكن فيروز هي الأولى لهذه الليلة بل كانت الخامسة. وربما العشرين  
خلال الأيام القليلة الماضية.

العقب يطلب.

العقب يوجه.

العقب يخفي رائحة الأجساد المتراسمة في الغرفة الشرقية.

العقب يأمر. وأنا أطيع.

كانت قد مرت خمسة أيام على اختفاء نجيب، وثلاثة أيام على ظهور تلك  
الفاتنة في حياتي. والتي جعلتني رويتها أهيم في عالم مظلم من البحث  
والتحقسي. إنه ذلك الإحساس الكامل بالاحتواء.

أتمنى لو أقضى معها ليلة أخرى.. ليلة وحيدة تمنعني فيها النشوة والاكتفاء  
ثم أموت.

كل النساء اللائي قابلتهن طوال الأيام السابقة، لم يعوضنني عنها ولم يصلوا  
بـي للنشوة المنشودة.

إنه الاحتياج الذي يفوق كل أنواع الإدمان الأخرى.

هل كانت هنا حقاً؟!

إن حياتي تتبدل من دونها.

لا توجد أشئ ترويني ولا تشبعني سواها؟!

لا يوجد طب قادر على منحي الدواء.

إنها لعنتي الأبدية.

حاولت أن أقمع نفسي أن الأمر كله مجرد وهم، لا توجد امرأة بهذه المواصفات الفانقة، كل ما مر بي حلم جميل من تأثير المخدرات والفوودكا وكنت أقتصر لفترة قصيرة.. إلا أن هذه الشقة سرعان ما كانت تتلاشى عندما أعود لشقتى وأتنسم العبق الساحر الذي غمرت به عالمي كله.. فلا توجد قطعة من ثيابي لا تفوح برائحتها ولا توجد قطعة من الأثاث لم تشبع بأريحها، الجدران نفسها تفوح بالعقب، إنه العطر الذي يفوق كل عطر آخر صنع على يد البشر.

حتى ذلك العطر فائق الكمال الذي صنعه جان باتست جرنوبي بطل رواية (العطر : قصة قاتل) وجعل الجماهير تراه كملائكة هبط على الأرض فتمزقه وتلتلهمه من كثرة تعلقها به وتقديسها له وانبهارها برائحته، لن يصل لعقبه قط.

إنه خلاصة الدهور والنجوم ورائحة النساء المقطرة.

إنه العبق الذي يشير الشهوة ويدعو للنشوة والمتع المحرمة.

إنه السحر الذي هبط على الملوكين ببابل هاروت وماروت.

إنه العبق.

\*\*\*\*

عندما رأيت فيروز عارية أمامي، بعد أن نزعت تلك الغاللة الزرقاء التي كانت تخفي ما تبقى من جسدها، كدت أسقط أرضاً من الانهيار.

بعض النساء لا تخيل أبداً أنهن يغادرن قلب المحارة، أو يسيرون بين البشر، أو يأكلن ويشربن.. هن فقط خلقن ليعلمنا معنى السحر والألوة والانصهار.. وهي.. كانت ملكتهم.

عندما رأيتها شعرت بالضعف، لا يمكن لرجل طبيعي أن يرضي هذا النهر المتدقق من الأنوثة.. لا يوجد بشري عادي من الممكن أن يُروّض هذه الفتنة المتوجهة.. إن لم يكن من نسل عاد الجبارية ونسل عمالق الحكايات، فعليه أن يتسلح بالحبة الزرقاء.

لن أكتفي بنصف حبة فقط. إن العلبة تحتوي على أربع حبات.  
حبة كاملة زرقاء.. لملكة اللون الأزرق.

فلتكن ليلة زرقاء.

لابد أن النجوم التي تولدت عن لقائنا فاقت الانفجار الأعظم.. إني أصبح وسط بحار النشوة وحدائق الشيق والمتعة حتى أني أتخيل نفسي هرقل، أقف في قلب الفضاء لأمنع الأرض والقمر من اللقاء.

- حبة زرقاء أخرى.

العقب يتسلل لمسامات جسدي وجسمها.

العقب يسيطر عليها.

بل هو يفوح منها.

لابد وأن الشووة المتشودة لن أصل إليها إلا مع روحها.

- حبة زرقاء أخرى.

إنني أقبض على عنقها العاجي بقوة.

أكبل جسدها بجسدي.

اعتصر شفتتها.

إن عينيها تتسع شبّقاً ونشوة.

دموعها تسقط من الإثارة.

لابد وأنها مارست الجنس من قبل والكيس البلاستيكي فوق عنقها.

إنها تمور كالقطط.

- حبة زرقاء أخرى.

تحاول أن تخدش وجهي بأصابعها كالحيوانات الضاربة.

إنني أمنحها آخر لحظة متعة.

مع آخر قطرة حياة.

حمد العبق.. فحمدت الأنفاس.. وسكن الجسد..  
ومعها وصلت لذرة الشوة.

ثم اجتاحت جسدي نيران مستعرة وشعرت بأن قلبي سيتوقف من عنف  
الضربات..

يا إلهي.. هل تناولت العجات الأربع.  
إنني أمووووووووووووووت.. أموت.

\*\*\*\*\*

الجريدة المسائية الطبعة الثانية.

سفاح نساء جديد يظهر.

فبعد بлаг من الجيران عن سماهم لصراخ امرأة تتألم.. أممهم وبعد أن  
تكبرت البلاغات.. أممهم داهمت قوة.. أممهم منزل رشاد البيومي..  
أمم ثري.. وتم العثور على ثلاثة وعشرين جثة.. أممهم ولم يعثر له على  
أثر. وعلى الجدار الملطخ بالدماء كُشت عبارة غامضة :

- الثالث يتلاشى في اليوم الخامس.  
أمم لا أحد يعرف ماذا تعني.. وقد.. ...

٣٠

## اللغة الثالثة - الجشع

عَزْفَهَا دَانِتِي : الْحُبُّ الْطَّبِيعِيُّ لِلْمُتَعَ الدِّينِيَّةِ تَحُوَّلُ إِلَى رَغْبَةِ جَشْعٍ فِي  
تَمْلِكِ الْمُحْسُوسِ وَإِهْمَالِ الرُّوحَانِيِّ .. مُرْتَبَطٌ بِالشَّيْطَانِ مَامُونُ  
وَاللُّونِ الْأَصْفَرِ .. Mammon

أَنَا الْجَشْعُ .. وُلِدْتُ مِنْ فَلَاحٍ فَظُ فِي حَقِيقَةِ جَلْدِيِّ .. وَلَوْ أَسْتَطَعْتُ أَنْ أَحْقِقَ  
رَغْبَتِي لِتَحُوَّلَ هَذَا الْبَيْتُ وَأَنْتُ وَالْجَمِيعُ إِلَى ذَهَبٍ .. بِحِيثِ يُمْكِنُنِي أَنْ  
أَقْفَلَ عَلَيْكُمْ فِي صَنْدُوقِي .. آهْ يَا ذَهَبِي الْحَبِيبِ ..



## - وساطة -

يقول خليل :

عندما أخبرتني سهيلة أن لها القدرة على الوساطة، تعجبت من هذه الكلمة،  
وداعبتها متسائلاً :

- والأخت تعرف شمهورش !!.

لكنها نظرت نحوي باستخفاف، ثم تحدثت بجدية وأسهبت، وأنا في عالم آخر أتابع عبر زجاج الكوفي شوب ذلك الطفل الصغير الذي انهمك في تفحص صندوق القمامنة، ليخرج منه علب المشروبات المعدنية المنتهية ليضعها في كيس بلاستيكي كبير ممتلي حتى منتصفه بتلك الكنوز المعدنية. ودارت الفكرة في رأسي عن مقدار المكسب الذي يحصل عليه طفل مماثل من جمعه لهذه الأشياء، وقبل أن أقوم بحسبتي المعهودة سمعت صوت سهيلة الرفيع يقول :

- ولكنها ليست الوساطة الروحية، إنها وساطة من نوع آخر ومختلف ولكنها تحتاج نفس الشفافية.

عندما صمتت، قررت أن أشعرها بكوني متابعاً لكل ما تقوله، وأنني أكاد أسقط من الانبهار، فقلت تلك الكلمة المعتادة :

- كيف !؟

وتلاها الرد الصادم الذي أعادني إلى عالم الواقع وأوقف تلك الحاسبة الجهنمية الموجودة في رأسي، والتي تصرّ على معرفة مكاسب طفل القمامنة من تجارة هذه المخلفات.

- مخلوقات الكواكب الأخرى، سكان الأبعاد الموازية، ذلك التدفق العقلي الهائل القادم من مجرة ماجلان والذي لا أستطيع تحديد كنه طبيعته.

- حلاوتك ..

سهيلة تدعى كونها على اتصال بمخلوقات العوالم الأخرى التي تعيش عبر الأبعاد السبع، ونحن نعاني من الاتصال في المناطق المتطرفة مع شبكات الاتصال الهزلية.

كان يجب أن أعرف أنه مقلب مدبر من زياد. ففتاة كسهيلة لن تقبل ببساطة أن تخرج معي، لتلعب دور السنيدة لصديقتها رجاء التي تجلس في المنضدة المجاورة لنا، وعلى وجهها نظرة حالمه تجعلها شبيهة بالبورص، إلا لو كانت بها علّة.. وهذه العلّة لم تستمر طويلاً خلف الحجب، لقد ظهرت وأعلنت عن نفسها بوضوح.

ليست كل الجميلات متنزرات، ولكن من قال أن سهيلة جميلة، من أخدع بالضبط؟!

الصداقة تقضي بأن أمنح لصديقي خدمة مصاحبة هذه المهووسة حتى يفرغ من رجاء، هذا الدور لعه معي من قبل مراراً، ولم يعترض ولو مرة واحدة، وفي المرة الأخيرة، كانت صديقة صديقتي بدينية ولا يتوقف أنفها لحظة عن إعلان اعتراضه يافرازات لا تنتهي، ويرغم ذلك تحمل حتى مرّ اليوم.

إن له حقاً عليّ ولابد أن أرده، كما أن سهيلة تبدو مسلية وليس قبيحة إلى هذه الدرجة.

- لماذا أنت صامت يا خليل، ألا تصدقني !؟

أشحت بيدي بقوة لأنفي عن نفسي التهمة وقلت :

- لا .. ولكن منظر هذا الصبي شغلني للحظة.

ومقت سهيلة الصبي المنهمك في تقليب القمامنة عبر الزجاج للحظات ثم دمعت عينها، وقالت بصوت متهدج :

- لم أعرف من قبل أن لك مثل هذا القلب الرقيق.

لمح زياد دموع سهيلة فأشار لي إشارة خفية بما معناه، لا تفسد الليلة وإن سينالك مني عقاب أسطوري.

أشرت له أن الأمور بخير، هي فقط لا تحمل وسامتي، فرمضني بنظرة متوعدة ثم عاد ليسبل عينيه لرجاء وينهمك مجدداً في الحديث.

دار هذا الحوار الخفي وسهيلة لم تتوقف عن الكلام لحظة، ولكنني كالعادة استطعت أن ألتقط الكلمات الأخيرة.

- المجتمع مدين لهؤلاء، فهو من تركهم على جهلهم في بيئة غير صحيحة، ثم جعل مطاردتهم هدفاً له، بدلاً من أن يهبي لهم المناخ الصحي والإنساني الذي يستحقونه، ثم يتوجهون من انتشار الجريمة.. المجتمعات المفككة كمجتمعنا، لا تبحث عن حلول بل عن شماعة تعلق عليها الأخطاء، وكبس فداء.. و..

أخذ الحديث منحني لم أحبه فقاطعتها وقلت :

- وهذه الوساطة التي أخبرتني عنها كيف تتم ؟!  
ظهر الضيق على وجهها من مقاطعتي لها ولكنها لم تعلق وخاضت في الموضوع الجديد، فقالت بصوت عميق وكأنها تستدعي الذكريات من تلaffيف مخها :

- بعد حادث المحول الكهربائي بدأ الأمر، وخاصة عندما بدأت تتناول تلك الحالة من الهلاوس والانفصال عن العالم و..

قاطعتها مجدداً، إن موضوع المحول والهلاوس يبدو موضوعاً مسلياً فعلاً، فلا يجب أن يمر مرور الكرام :

- واحدة.. واحدة.. ما و موضوع المحول الكهربائي.

عندما همت بالحديث كان عامل المقهى قد أحضر حجر التفاح المع vad،  
وعندما انصرف، رمقتني سهيلة بنظرة تأنيب وقالت :  
- إن هذه الأشياء تقتل.

وكانني لا أعرف، هزرت رأسي بمعنى أنها أضافت لحياتي بعدًا جديًّا بهذه  
المعلومة، فلم تتمادأ أكثر وعادت لموضوعها القديم وقالت بإعازار :

- تجتمع كل فروع عائلتنا في الأعياد في المنزل الكبير، حيث يقطن جدي  
وجدتي وهو طقس مقدس لا يجرؤ أحد من العائلة على التخلف عنه، وفي  
إحدى هذه المرات خرجت مع ابنة عمي غيداء بعيدًا عن الصخب  
والجماعات الكبيرة التي لا تتوافق عن الغيبة والتهام الطعام وقررنا أن  
نتمشى قليلاً على شاطئ المصرف القريب من شريط القطار المعدني، ابتعنا  
بعض المثلجات من البقال القريب وجلستنا بجوار المحول الكهربائي الذي  
يتوسط المسافة بين المصرف وشريط القطار لتلتهم المثلجات في استمتعان.  
وفي اللحظة التي همت فيها بالانصراف وقع الحادث.  
جذبني الأمر فأنصت أكثر.

- انفجر المحول الكهربائي بدوي مرتفع، لتفقد غياء الوعي وتتساقط على  
الأرض في حين قفزت أنا لأعلى لأتعرّى ولا سقط أرضاً ولتصدم رأسي  
بالقاعدة الخرسانية للمحول الكهربائي قبل أن أشعر بسريان التيار الكهربائي  
القوي في جسدي.

سحبت شهيقاً عنيقاً وهي تشيح بيدها لتبعد أدخنة الشيشة التي عبقت المكان في رسالة واضحة لي بالتوقف ولكن لم أبال، واستمررت في إطلاق الأدخنة المعطرة في وجهها، فعادت بحنق لتكمل :

- سقطت بعدها في غيبوبة لثلاثة أيام ثم بدأ الأمر. ومنذ ذلك الوقت تلقيت خمسة اتصالات واضحة وأكثر من عشرين اتصالاً مشوشًا، ولكن أوضحتها ما تم بالأمس من صديقك أمجد.

انفضشت عند ذكر اسم أمجد، الذي ذهب إلى أقاربه بلا عودة، وقلت:

- هل تسخرين مني ؟! إن أمجد في الفيوم.. والفيوم كما أعرف لا توجد في كوكب آخر. إنها في كوكب الأرض الشقيق. يبدو أنني أخطأت عندما قررت القدوم اليوم لمجالستك.

- ولكنني من طلبت قدومك.. إن رجاء هنا من أجلي وليس العكس.

## - وجوه صفراء -

كل شيء أستطيع تحمله في الوجود إلا خسارة نقودي، وأن يعاملني أي كائن حي على وجه البساطة على أنني غر ساذج وأحمق.

صحيح أنني لم أبلغ التاسعة عشرة من العمر بعد ولكن حسابي المكتظ في البساطة هو خير دليل على عدم اتصافي بهذه الصفة، لذا فبعد عبارة سهلة الأخيرة، قررت أن الأمر قد فاق الحد ولا بد من إنهائه، ثم إن المقابلات المبتورة تترك في قلوب النساء ردود أفعال جيدة لأنها تفتح دروب الخيال.

ماذا لو بقينا أكثر.. هل كان سيطلبني للزواج، هل كان المصعد سيخلو من العامل لأحصل على قبلي الأولى، هل وهل.. كثير من هل اللذينة هذه كانت ستحيل ليلة القمر لليلة طويلة من اللوعة والأحلام.

المهم أنني أعلنت نيتها على الانصراف ولكن رد فعل سهلة كان مذهلاً.

- اجلس أيها الأحمق.. أنا لم أنتهي بعد.. ولا أحاول أن أنسج شباكك حولك.. إنك في خطر عظيم.

هبطت صخرة تعقلني من فوق المنحدر لتدفع أمامها كل المشاعر الجيدة، وكدت أن انفجر في وجهها، وأن أنقض على عنق زياد لألتهمها، ولكن نظرة عينيها جعلتني أؤجل ثوري، ثم أجلس وأنا أطلع إلى عينيها في قلق.. إن هذه العيون لا تكذب.. إنها غاضبة ولكنها صادقة.. ولا بد أن أكف عن

حماقتي وأنصت قليلاً، إن روح التاجر بداخلي تجبرني على أن أشتري لا أن أبيع.

عششت سهيلة قليلاً بالملعقة المعدنية، مديرية السائل الساخن بقلب المجنح الخزفي، قبل أن تنظر لعيني بشبات وتقول :

- هل تحلم بأشياء مخيفة هذه الأيام يا خليل؟!

صعقتنى العبارة فقلت بلا تردد :

- وكيف تعرفين بهذا الأمر؟ هل أخبرك زياد؟ ذلك الأحمق لسوف..

قطعتي بصراة، لا بد أنها شعرت بأنها أحكمت سيطرتها عليّ، وقالت :

- صه أيها الأحمق.. أنا لم أرك أو زياد إلا منذ نصف ساعة.. أخبرني دون نقاش وفي النهاية سأوضح لك كل شيء.

بالفعل لقد سيطرت عليّ سهيلة بل إنها بدأت تخيفني.

- نعم هناك كابوس واحد يتكرر بلا انقطاع منذ فترة.

- وما هو هذا الكابوس.. قصّ عليّ أحداثه.

ابتلعت ريقني وعدت بذاكرتي لذلك الكابوس المخيف وقلبي يتحقق بشدة.

ماذا دهاني؟! كيف أستجيب لحمقاء العوالم الأخرى بهذه السهولة؟!

- إنني أرى نفسي واقفاً فوق سطح زجاجي شفاف، وبالأسفل وعلى عمق كبير يغلي قدر عمالق وبفور، وأسفل منه نهر من اليران المتتدقة الكثيفة.. لست وحيداً في ذلك المكان، هناك آخرون ولكن الملامح غير واضحة.

في البداية كان هناك ستة أشخاص آخرون يعطون ظهرهم لي، ثم سقط اثنان منهم في القدر تباعاً.. ومساء أمس أضيفت بعض التفاصيل، وحلمت بالعشرات من أطفال الشوارع يحيطون بي وكل منهم يتدلّى من ذراعه خرطوم مطاطي يصفي جسده من الدماء، في حين يقومون من حولي بتهشيم اللوح الزجاجي في رغبة صادقة في إسقاطي، وكلما أوشكنا على السقوط استيقظت من النوم.

ظهر القلق على وجهها وعادت لتسألني :

- هل تعرف هؤلاء الأطفال !؟

- نعم.

- من هم !؟

- لا يمكن أن أخبرك.. دعني أنصرف !؟

- سؤالأخير.. ألم يخبرك أمجد بأي شيء مخيف منذ غادرت منزل الشيخ ياسين.

- توقفي توقفي.. من أين لك بهذه المعلومات !؟

- إذن لتنصت.. لأن ما سأخبرك به تتوقف عليه حياتك. وربما حياة أصدقائك أيضاً.

- إني منصت.. !

زياد يرمقني وعلى وجهه ابتسامة خبيثة، أتمنى أن أهشم وجهه لتزول.  
إنني أكاد أفقد عقلي.

- لقد أخبرني أمجد بما تجهلونه و..

- إن أمجد في الفيوم، فهل حدّثك في الهاتف، أم ماذا؟!

- لا تكن عجولاً وأنصت.. فأمجد ليس في الفيوم.. إنه في القصر العيني الفرنساوي، أصيب في حادث وسقط في الغيبوبة، روحه هي التي فارقت عالمنا إلى بعد آخر.

- هل مات؟!

- لا لم يمت ولكن الموت ليس عنه بعيد.. لا تقاطعني ووفر أسئلتك للنهاية.

\*\*\*\*\*

انطلقت سهلة تتحدث وأنا غير منصن لها تماماً، لقد أرجعني حديثها لتلك الليلة المروعة، عندما نجينا من الاحتراق في منزل الشيخ ياسين، وقها ظنت أن كل الأمور انتهت وأن ما حدث كان مجرد تحذير من السماء لأن توقف عن تجاري المشؤومة، وأسلك طریقاً مختلفاً لجلب الرزق.

انقطعت إلى الصلاة عدة أيام، ثم انحسر المد مع مرور الوقت، وكان روحي القديمة عادت وسكنستي، وتدرجياً عدت لسيوري الأولى، ذلك الوغد الذي لا يتورع عن فعل أي شيء مقابل المال. أهيم في الطرق لأستقطب أطفال الشوارع من أجل استنزاف دمائهم مقابل حفنة هزيلة من المال.. إنها تجارة حقيقة ولكنها تدر أموالاً طائلة إن كنتم لا تعلمون.

الطفل من هؤلاء لا يتورع عن استنزاف دمائه مرة أو مرتين أسبوعياً. من أجل مبلغ لا يتعدي الخمسين جنيهاً ونحن لا نرى غضاضة في ذلك، فدائماً ذلك الكيس البلاستيك ذو الإبرة الغليظة جاهز لاستنزاف المزيد من الدماء، ومنحنا المزيد من الأموال.

ولا أخفي عنكم أن هدفي الأكبر أن أكون سمساراً من سمسارة هذه التجارة دون الحاجة للمرور إلى دروبها المعقدة عبر وسيط يستنزف الجزء الأكبر من الربح. ولكن الوقت لم يفت بعد.

وهناك شق آخر لهذه التجارة والتي تحتاج لسمسار بارع، وهو الجزء الأكثـر خطورة وقسوة في عملنا والذي لا يسمح بالعمل فيه إلا للمميزين وأصحاب الصلات.

إن مجموعة (حمادة عكوش) هي الأشهر. أعرف الآن أنـي وـحدـ في نظركم، ولكنـها مهـنة موجودـة منـذ أكـثر منـ ثلاثة عـقود، أنا لمـ أختـلـقـها أوـ أـبـتـكـرـها، ولو لمـ أـقـمـ بدـورـيـ لـقـامـ بهـ العـشـراتـ منـ غـيرـيـ.

أخـبرـنيـ (ـHamada~ عـكـوشـ)ـ أـنـاـ كـانـنـاتـ أـقـلـ شـائـعاـ،ـ لـاـ مـسـتـقـبـلـ لـنـاـ وـلـاـ فـائـدـةـ،ـ لـذـلـكـ مـنـ حـقـ الـأـغـيـاءـ أـنـ يـعـتـبـرـونـاـ مـجـرـدـ قـطـعـ غـيـارـ حـيـةـ،ـ ثـمـ لـكـ أـنـ تـسـعـدـ لـأـنـ جـزـءـاـ مـنـكـ سـيـحـظـىـ وـلـوـ لـفـتـرـةـ مـنـ الزـمـنـ بـالـقـدـيرـ الـلـاتـقـ فـيـ جـسـدـ آخـرـ بـفـحـقـ بـالـعـطـورـ وـيـتـغـذـىـ عـلـىـ تـلـكـ الـوـجـبـاتـ التـيـ تـحـتـاجـ كـتـالـوـجـ لـمـعـرـفـةـ كـنـهـهاـ.

الـحـاجـةـ وـالـشـعـورـ بـالـدـوـنـيـةـ هـيـ التـيـ تـجـعـلـ هـذـهـ التـجـارـةـ رـائـجـةـ،ـ هـنـاكـ كـثـيرـونـ،ـ بـلـ يـفـوقـونـ التـخـيـلـ،ـ مـنـ يـرـوـنـ أـنـ بـلـغـ الـأـلـفـ جـنـيـهـ فـادـحـ لـيـسـعـواـ أـعـضـاءـهـمـ مـقـابـلـهـ،ـ إـنـ الـكـلـيـ وـفـصـوصـ الـكـبـدـ الـأـعـلـىـ ثـمـنـاـ وـلـكـنـ سـوـقـ الـقـرـنـيـاتـ رـائـجـ.

الـحـيـاةـ الـبـشـرـيـةـ هـانـتـ،ـ فـهـانـتـ مـعـهـاـ الـأـعـضـاءـ الـبـشـرـيـةـ.

هـلـ تـعـلـمـونـ أـنـ هـنـاكـ نـسـاءـ عـجـائـزـ فـيـ السـجـونـ،ـ لـأـنـهـمـ لـمـ يـسـتـطـعـواـ أـنـ يـدـفـعـواـ قـيمـةـ إـيـصالـ أـمـانـةـ بـقـيـمةـ خـمـسـمـائـةـ جـنـيـهـ.

كـمـ أـنـكـمـ لـمـ تـرـوـاـ العـشـوـائـيـاتـ التـيـ تـنـخـرـ فـيـ جـسـدـ مـصـرـ.

لست وحدي من أمتهن هذه التجارة، ولا مبرر جيد لدلي بأكثربما أخبرتكم به، ولكني لم أدخل إلى هذه التجارة عبر المنحنى الصعب، هناك من يخطفون ويقتلون ويرتكبون كل الموبقات من أجل جنيه زائد، وربما لذلك أتت لي الإشارة في منزل الشيخ ياسين كي لا أتمادي.

لا يعرف أحد عنني هذه الحقيقة إلا زياد، وبرغم أنه يمقتها إلا أن المال المتوفّر دائمًا عبّري له تأثير السحر. فقط ما يغضّ على تلك الوظيفة هو تلك الكوايس التي تغضّ بالوجوه الصفراء الشاحبة، تلك الوجوه التي سحبّت منها الدماء، والتي تعاني من أنيميا حادة وإهمال المجتمع.

عالمي كله يغضّ بالوجوه الصفراء الشاحبة، والوجوه الإجرامية المخيفة، لقد اعتدت على وجوه سمسارة الموت، ولكنني لم أعتد بعد على تلك الوجوه الصفراء غائرة الأعين والتي يحلق الموت فوق رؤوسها، والتي تريد الانتقام مني.

أنا وهؤلاء السمساروة نستنزف حياتهم قطرة وراء قطرة، وكلما كان الربح أكبر كلما ازدادنا جشعًا.

الطريق إلى الجحيم ليس دائمًا مفروشًا بالنوايا الحسنة، بل النوايا السيئة هي الطريق المباشر إليه.

والمال هذه الأيام، لا تصنعه إلا النوايا السيئة.

## - سهيلة -

تقول سهيلة :

إن الوساطة شيء مخيف، فهي تجارب خارقة لا دليل على حدوثها، إلا ما تقصه على الآخرين، لذلك تكون النقاة هي العملة الأعلى ثمناً في هذه التجارب.

فكيف يصدق أي بشري أن ذلك الكيان الفائق في مجرة ماجلان يشعر بالوحدة، وأن ذلك الجزء من الجنس البشري الذي غادر الأرض في عصر الديناصورات وقبل العصر الجليدي يحن للعودة إلى كوكبه الأم. وأن هناك كائنات فضائية تتواتد بأعداد مهولة، لستغدى على صغارها في كوكبهم القاحل.

إن الوساطة ليست نعمة في كل الأحوال. خاصة حينما يكون الاتهام الموجه إليك هو الجنون.. فالفتاة المجنونة لن تجد من يصادقها ولن تجد من يهتم بها، ولن يكون لها بيت يوماً ولا أولاد..

إن الرجال يخشون النساء بالفطرة، فما بالكم بمن تمتلك قدرة متفوقة.. إن المعرفة مخيفة في حد ذاتها، فما بالكم عندما تختص بها امرأة دون الرجال

١٩

كنت سعيدة لفترة طويلة بقدراتي المتفوقة هذه، ولكنني مؤخراً أصبحت أخشاها وأمقتها. فكل الاتصالات السابقة كانت مريحة، وكانت تدغدغ

عقلٍ، كنسيم معطر فواح يداعب أطراف الخلايا العصبية مباشرة، إحساس متفوق بالسمو فوق كل شيء، إحساس بالتمدد حتى احتواء الكون كله.

كل الاتصالات كانت تشعرني بالأمل، بالتفاؤل بالحياة. ولكن الاتصال الأخير كان مختلفاً تماماً.

إنه تواصل مقبض، يفوح برائحة الألم والمرض والموت.. إنه التواصل الذي جعلني أتمنى لو أن الله لم يختصني بتلك الهيبة الرائعة.

ففي تلك الليلة والتي اشتد فيها البرق والرعد وتشيع الهواء بشحنات كهربائية عالية، لجأت إلى فراشي ونممت، وروحي نفسها تكاد تتجمد من البرد، وعندما تمكّن النوم مني وبأذان أنفاسي تننظم، شعرت بالصدمة.. هناك من يقاتل ليُتم الاتصال، ولكن الإحساس المصاحب مخيف.

هناك درجة مرعبة من الشر تفوح في الأجواء.

أعرف أن الكون يغض بالكائنات من اتصالاتي السابقة، فلا مانع أبداً أن يكون هذا الاتصال شريراً، وهذا ما كان.

الأفكار كانت تُسكب في رأسي كمعدن مصهور، ثم تتحول إلى حشرات تلتقط خلايا عقلٍ دون هواة.

روحٍ منقبضة وتنفسٍ عسير.. حاولت أن أقطع هذا الاتصال دون فائدة.. إنه اتصال مشؤوم.

روحي تُسحق ومشاعري تنزلل.

الالم يجتاحني، مع كتلة هائلة من المشاعر السلبية.

لا فائدة من محاولة الهرب لأن التواصل قد بدأ بالفعل، وهاهي الصور المفجعة تتسلل إلى عقلي.

في النهاية تم الاتصال، وانفطر قلبي.

هل هذا هو الجحيم؟!

هل هذه هي النهاية التي أعدّها الخالق للخاطئين والعصاة.

الرحمة يا الله.. كان ما رأيته مدمرًا لأعصابي وكيناني، ثلاثة من الخطأ يُذبون بقلب جحيم مشتعل ودون توقف، وأحدهم هو الذي يتواصل معي.

إنه يخبرني أن هذا ليس الجحيم كما أتخيل، إنه سجن من نوع خاص أنشأه كيان حاقد من الجن، وأنه وأصدقاءه سقطوا فريسة لإحدى لعناته وأنه هنا بروحه ولكن أصدقاءه خطفوا لبرزخ خاص ثم تم أسر أرواحهم والقيام بتعذيبها.

إنه يخبرني بأن جده (الشيخ ياسين) سخر في شبابه كيًاناً شريفًا ملعونًا ليعاونه في أعماله السفلية وسحره الأسود. هذا الكيان هو الذي ينتقم منهم الآن بعد أن نجح بمعونة أمجد نفسه في القضاء على ذلك الكائن

الشيطاني الذي استحضره الشيخ ياسين ليمعن الكيان من العودة لعالمه وطاعته إلى الأبد.

الطلاسم كانت ت Kelvin الكيان والعلاقة القوية بين الشيخ ياسين والكائن الشيطاني كانت حائطاً صخرياً أمام طموح الكيان في التحرر، ولكن مرور الزمن جعل الشيخ ياسين يضعف ومعه تضعف الصلة، القوة كانت الرابط، فلما وهن الشيخ ياسين وهن الكائن الشيطاني، واستطاع الكيان أن يتخلص منهما سوياً وبمساعدة أميد، ولكن الأمر لم يتم كما كان متوقعاً من الكيان، لأن الشباب السبعة احتفظوا بحيواتهم مما أفسد الخطوة الأخيرة. أميد هو من أفسد الأمر، لذلك قرر هذا الكيان الحاقد أن ينتقم من الجميع قبل أن يهرق دماءهم. ولذلك أيضاً فقد وصمهم باللعنة. كل منهم سيرتكب خطيئة ستجعله يستحق العذاب ثم الموت. إنها عدالة ذلك الكيان الممسوخة.

أميد يطلب مني أن أحذر أصدقائه وأن أساعده.  
أميد يرشدني.

أميد لا يعرف أنني مجرد وسيطة لا تملك من أمرها شيئاً.

\*\*\*\*

لم يكن لقائي بخليل هو اللقاء السعيد المرتقب، إنه الموسم الثالث، هكذا أخبرني أميد، فالكيان فتح له نافذة يرى عبرها ما يحدث كوسيلة إضافية لتعذيبه.. نقطة الضعف الكبرى في خطة الكيان هي وجودي، وتلك القدرة

المتفوقة التي أملكتها، فوجوده أميد في العالمين صنع جسر تواصل بيننا لا يدرى عنه الكيان أي شيء، وهذا الجسر مكتنن من معرفة كل المعلومات السابقة، ووضع على كاهلي حملاً كبيراً بتحذير الجميع ومحاولة إنقاذهم. أنا الآن الوسيلة التي تربط العالمين بعضهما عبر أميد. فهل لهذافائدة؟ المشكلة الكبرى أن شخصاً كخليل لن يصلح بعقليته المتخلفة هذه في مواجهة هذه القوى الشديدة، خاصة وأنا لا أعرف ما هي شهوته الكبرى، أو خطيبته التي ستقوده للهلاك.

العقبة الأولى أنه يعتبرني مجنونه، فهو لا يصدق ما أقصده عليه، هذا جلي في عينيه، ثم إن موضوع اللعنة والمخلوقات الكونية والسحر وخلافة ليست من مفردات عالمه.. فهو يقيس العالم بميزان الربح والخسارة فقط.. ولذلك دخلت له عبر هذا الباب.

- إن حياتك في خطر وستفقد كل شيء، لابد أن تساعدنـي أنت ومن بقـي من شلتـك لنبحث عن وسـيلة لإيقـاف هذه اللـعنة.

ولكنـه كان كالـأحمـق، وعلـى وجهـه ارتـسمـت ابـتسـامـة من يـشاهـد عـرضـ المـهرـج السـمـجـ في السـيـرـكـ.

منـحتـه رقم هـاتـفي المـحمـول ليـتـصل بيـ إذا واجـهـته مشـكلـةـ، وطلـبتـ منهـ أنـ يكونـ أكـثـر حـذرـاـ وحـتـى نـلـتـقي جـمـيعـاـ بالـغـدـ، فقدـ قـرـرتـ أنـ أـجـمـعـ الأـصـدـقاءـ لـنـعـقدـ اـجـتمـاعـ حـربـ.

## - أربعة من الأصدقاء -

عندما اجتمعت مع الأصدقاء الأربع، شعرت بدهشة كبيرة، كيف اجتمع هؤلاء الشباب مع بعضهم البعض. فالأعمار متباعدة والصفات مختلفة والثقافات أيضاً والمستوى الاجتماعي.

يبدو أن سوء الحظ هو من جمعهم معاً !!

مظهرهم مجتمعين ذكرني بمطلع قصيدة الأصدقاء. للشاعر الفلسطيني المولد سوري المنشاً أحمد دحبور.

(كنا هنا : أربعة، خمسة، أو ستة،

ولم أكن بيننا

أولاً أخرى مشاركة

من روحه، واحتظرّ عناقنا)

هذا المنطق ينطبق تماماً على الحال القائم هنا.. فأمجد من جرهم جميعاً إلى هذا الجحيم المستعر.. وها هو الموت قاب قوسين أو أدنى منهم، يتهدّأ لحرّ عناقهم.

سأصفهم لكم.

خليل نحيل طويل إلى حدٍ ما، لم يتجاوز العشرين من العمر، وفي عينيه نظرة نهمة إلى الدنيا، عيناه قلقتان كتاجر أو سفاح.

زياد في الخامسة والعشرين وربما أكثر قليلاً، له تلك النظرة الزجاجية الناعسة ويتمتع بالكثير من السماحة، ولا يتوقف لحظة عن تمليس شعره الناعم الذي يطال كتفيه. من اللحظة الأولى تعرف أنه زير نساء.

شحنة تستطيع أن تصفه بالبلطجي أو الفتوة، يقترب من سن زياد أو هو أكبر قليلاً، لديه جسد منتflux بالعضلات وأسنان متشابكة تحتاج في أقرب فرصة لتقويم، ولا تشعر معه بالراحة.

أمين فنان، هذا الوجه وتلك الأصابع لفنان.. تلك النظرة الحالمة التي تتجاوز كل شيء وتعبر إلى عالم آخر تشي بكونه فناناً.. إنه أكثرهم رقة ووداعة.

كيف اجتمعوا؟ لا مجال للبحث الآن. المهم أن يتم اللقاء على خير.

أميد أخبرني أن قمراً واحداً يمر بدون أن يسقط أحدهم في الخطيئة، وبقهر شهوته ينهي اللعنة. كل منهم لابد وأن يعرف أخطاءه وزلاته، أقل من أسبوعين وينجحون جميعاً.

ثُرى ما هي خطيئة أمين، إنه يبدو رقيقاً تماماً !!

\*\*\*\*

لا يمكن أن أقول إن هذا الاجتماع نجح أو فشل تماماً، بعض العقول  
تفهمت والبعض الآخر سخر والبعض تحفظ.

فقط عندما ذُكر موضوع الكوايس اهتموا جمِيعاً، وبدأ بعض الاقتناع يغزو  
الوجوه.

وفي النهاية وافق الجميع على المحاولة، وإن أنكر كل منهم أنه يمارس  
الخطيئة التي يمكن أن يجازى عليها بالموت.

وانقض الاجتماع.

## - حمادة عّوش -

يقول خليل :

أصبحت أخشى تلك المحبولة المسممة سهيلة بشدة، وأعتبرها نذير شؤم، عقلي لا يستوعب كل هذا الكلام المعقد عن اللعنات والجن والشياطين والأعمال، لابد وأن هذه المحبولة قد تلف عقلها من مشاهدة القنوات الفضائية التي لا تعرض إلا هذه السخافات.

وجودها نفسه أصبح يجثم على روحي.

حمدت الله على أنها انصرفت بعد أن كررت على مسامعي وعلى باقي أصدقائي ذلك الجنون الخاص بالجحيم وأمجد والكائن الشيطاني، وبعد انصرافها جلسنا نتناقش حول ما أخبرتنا به، الجميع كان منشغلًا بالمشكلة وأمين منشغل بسهيلة.

السخف لا ينقطع عن هذا العالم.

في النهاية قررنا أن تكون على اتصال ببعضنا إذا جد جديد، وخاصة أن موعدني بعد غد مع اللعنة.. لا أعرف لماذا بعد انصرافهم شعرت أن الأمر مبتذل، وقررت ألا أستسلم لهذه الخرافات. وإن تبدل هذا الأمر مع مرور الوقت عندما شعرت بمدى ضعفي وضالتي أمام الخطر المحدق بي.

إنني مستهدف من قبل قوة شيطانية.

لا أصدق نفسي وأنا أردد هذه الكلمات.. الأمر يبدو كالجنون.. أما الجنون الحقيقي، فهو أن رشاد ونجيب اختفيا وقبلهما أمجد. إن لم يكن الأمر صادقاً بالكامل فهناك جزء من الحقيقة، ثم من يصدق أن رشاد يتتحول إلى سفاح ويفتك بثلاثٍ وعشرين امرأة في أقل من أسبوع.

لا يمكن اتهام الجنون بهذه التهمة.. لابد أن هناك شيئاً ما أقوى دفع رشاد إلى هذا التحول المخيف. شيء ما شيطاني.

هل أصابه مس؟!

لابد وأن ذلك ما حدث بالفعل.

لقد أحطأنا برج أنوفنا، في أمور الشيخ ياسين. وهذا هي النتيجة، اللعنة على اليوم الذي قابلت فيه أي من أفراد شلتي. اللعنة على أمجد وسماح ألف مرة.

\*\*\*\*\*

في المساء ذهبت إلى زياد.. لا أعرف لماذا أشعر بالقلق إلى هذه الدرجة.. تلك المحبولة المسممة سهيلة سمت حياتي بالفعل. أصبحت أخشى أي تجمع لأطفال الشوارع، أشعر أنهم في أي لحظة سيفتكون بي.

تلك السيارات المندفعة.. لابد وأنها كانت تقصد دهسي.

لا لا يمكن أن أطيع سارة صديقتي.. إنها تحاول الإيقاع بي بالتأكيده.

لا إن الوضع يتطور ويسير من سيء لأسوأ..

لعنك الله يا سهيلة.

أخبرت زياد أثناء تبادلنا أنفاس السيجارة الممحشة التي قررت أن تكون الأخيرة، أني سأتوقف عن أي نشاط كنت أمارسه حتى تمر هذه الغمة، حتى الطعام والشراب لن أسرف في تناولهما، سأشترى نفسي.. صحيح أن هذا سيصنع لي مشاكل جمة، ولكن الحياة أثمن من أي نقود، والخسارة القريبة قد تعني ريحً قادماً.

حاول زياد أن يهون من فداحة الأمر، ولكن الموضوع لم يكن بالبساطة المنشودة.. وبعد غد أعرف يقينًا أن الموت سيتربيص بي، وأنني إلى الجحيم ذاهب.. يحتاج الأمر لاعصاب غير عادية لاتجاهل الأمر.

ثم لماذا ستقلق يا زياد، ربما ستكسر اللعنة قبل أن يحين موعدك.. أما أنا فقد صدر ضدي حكم الإعدام دون استئناف.

\*\*\*\*\*

أصبح هاتفي المحمول كالستترال.

القلق أصبح كالوباء.. والأحداث غير الطبيعية تنهال على رؤوس الجميع.

ليس أقلها الدماء التي تلطخ الجدران في منزل زياد ولم تنجح أي مساحيق أو منظفات لإزالتها، أو تلك الفتاة التي تطارد أمين وتتشاشى كلما اقترب

منها، والكلب الذي يتبع شحنته في كل مكان، دون أن تلمس قدماه الأرض.

إذن الجحيم قرر أن أن يرسل بمعوثراته للجميع، دون أن يختصني وحدي، وهذا شيء مريح إلى حد ما.

ليس معنى هذا أني أتمنى السوء لهم، فقط أريد ألا أشعر بكوني وحيداً في مواجهة الموت.

\*\*\*\*\*

الوقت يمضي سريعاً كحصان بلا لجام.

الليل مضى والنهار تلاه، وها هو فجر اليوم الموعود يقترب والنوم يجافيني. طرقات على النافذة.

أنتفض هلعاً وأقبض على سكين المطبخ، لن تتمكن مني الشياطين دون مقاومة، إن لحمي مر.. لقد قاتلت من أجل بعض الأوراق المالية من قبل وفُشم أنفي، فلن أستسلم لهم حتى يبتروا أطرافي.

الطرقات على النافذة من جديد.. ثم صوت (عدوي) اليد اليمنى لحمادة عّكوش.. لابد أن الشياطين تنظر نحوي بشماتة. إن حمادة عّكوش يريدني الآن. ومن يريد حمادة عّكوش، فهو في حكم الميت.

لقد أخلفت عدة مواعيد له، وهو لا يسمح بمثل هذه التسيب والإهمال، لو  
اقتلع عيني اليمنىاليوم فقد رأف بي.

هذا الموقف أنساني كل شيء، فلو قرر (عدوي) أن يقوم بالموكب المعتمد  
بالمغضوب عليهم (الزفة) فمعناها أني هالك.

الصدمة جعلت قرار الهروب يتاخر، فقد انتقلت الطرقات من الشباك إلى  
الباب.

هل أفتح؟!

إن جلوسي بعد طلاء جسدي بالقار على ظهر الحمار سيدمرني، لا يمكن  
أن أستسلم لهم.

إن الإهانة ستكسرني أكثر من ضياع كل نقودي. إن حمادة عَكُوش يذل من  
يكسر أوامره، وأنا لن أسمح بهذا..

أرى ابتسامة الموت على طرف السكين الذي أحمله، وللنعنة بعيدة الآن..  
إنني في هذه اللحظة أخشى حمادة عَكُوش أكثر من الموت نفسه، فحمادة  
عَكُوش لن يتورع عن تمزيقني وبيع أعضائي بعد إذلالي، إن سوري وأنا ميت  
أعلى بكثير من وجودي على قيد الحياة، لابد أنه سيعرض المبلغ الكبير  
الذي فقده بتهاوني في عملي.

لقد نسيت أو تناست مهمتي الأخيرة، كل ما كان علىّ أن أقوم به هو أن أستدرج تلك الفتاة التي حددتها الطبيب في المستشفى ، والتي عرف أنها المناسبة للطبية الحالية بعد أن خدعها بحقيقة مرضها وأجرى لها اختبارات الأنسجة.

نعم لقد كذبت عليكم في البداية، فأنا أقوم بذلك العمل البغيض، أستدرج الفتيات إلى مناطق نائية، ويتكلل حمادة عَكُوش ومن معه بالفتوك بأعضائهما.. لا أحد منكم آمن فسماسرة الموت في كل مكان.

عندما تهشّم رتاج باب شقتى لم أنتظر أن يبادرني القادمين بالهجوم، ألقيت نفسى بين أيديهم .  
وتناثرت الأشلاء.

تقول سهيلة :

واحد آخر يلتهم أصابعه ..

ما قصه زياد على أذني كان بشعاً، لا يمكن تصوره.. لا يمكن أن أتخيل أن يكون خليل هو من قام بهذه المذبحة البشعة التي يخبرني زياد بوقوعها. إن الأجزاء كلها غريبة.. ثم إن هناك آثار دماء ومخالب، ومادة صفراء عجيبة تحيط بكل شيء.

لقد أخبرني زياد، أن رجال المعمل الجنائي استعنوا بالجاروف لتجمیع الأشلاء التي غمرت كل شيء. كما أن خليل لم يُعثر له على أثر، وتقریر المعمل الجنائي يقول إن هناك فصيلة دم تختلف عن كل الفصائل الأخرى.. وربما تعود إلى خليل لو ثبت تواجده وقت الحادث..

ما يحيرهم هنا هو العبارة التي خطت على الجدار بالدماء :

- الرابع يتلاشى في اليوم الرابع.

ويقولون إن هناك رابطاً بينها وبين جريمة سابقة.. إن القاتل واحد وربما هما اثنان يكُونان فريق عمل أو أكثر.

أما أنا فقد كانت عندي الإجابة، فخليل تلاشى وذهب إلى البرزخ وروحه ثُعذب الآن.

٤

## اللغة الرابعة - الكسل

عَرَفَهَا دَانِتِي : إِضَاعَةُ الْهَبَاتِ وَالْمَوَاهِبِ الإِلَهِيَّةِ الْمُمْنَوَّحةِ لِلنَّفْرِدِ .. مَرْتَبَةُ  
بِالشَّيْطَانِ بِيلَفيجُور **Belphegor** شَيْطَانُ الْخَدَاعِ وَالْكَذَبِ، يُزِيدُ نَشَاطَهُ  
فِي إِبْرِيلِ .. مَرْتَبَطٌ بِاللُّونِ السَّمَاوِيِّ ..

أَنَا الْكَسْلِ .. لَقَدْ وُلِدْتُ عَلَى ضَفَّةٍ مَشْمَسَةٍ .. حِيثُ أَسْتَلْقَيْ مِنْذُ ذَلِكَ  
الْوَقْتِ .. وَأَنْتَ سَبِيبُتِي أَذَى كَبِيرًا يَاحْضَارِي مِنْ هَنَاكِ .. دُعْنِي أَحْمَلُ إِلَى  
هَنَاكِ ثَانِيًّا بِوَاسْطَةِ الشَّرِّ وَالشَّهْوَةِ .. إِنِّي لَنْ أَتَفَوَّهُ بِكَلْمَةٍ أُخْرَى وَلَوْ مَقْابِلَ  
فَدِيَّةٍ مِنْكِ ..



## - خطبتي -

قال الراغب الأصفهاني في كتابه (الذرية) في ذم الكسل:  
"من تعطل وتبطل انسلاخ من الإنسانية، بل من الحيوانية، وصار من جنس  
الموتى".

أن تكون بلا عمل، هذا هو الجحيم الحقيقي. ساعتها لا يهم مضي الوقت،  
ولا يهم النهار ولا يهم الليل. ولا تهم الحياة ذاتها..أنت ملك الظروف  
ورياح الحظ.

أنت في مهب كل الأعراض الجانبيّة للبطالة، أنت تمارس كل الأفعال التي  
من شأنها أن تدمر حياتك.. كان تترك كل شيء وتقتحم منزل مشعوذ  
يمارس فنون السحر الأسود.. تقطع عن الحياة وتوهم نفسك أنك منهمك  
في عمل أسطوري يغريك عن كل شيء، وهو ملاحقة الفتيات.

أنت قد سُئمت من العبارة المقيمة (لا توجد وظائف خالية) لقد بدأ الأمر  
معك بحماس طوال الشهور الأولى، أنت أنهيت السنة النهائية من كلية  
التجارة، أنت الآن تحلم بالعمل والزواج والسيارة.

أنت الآن تبدأ الرحلة التي سبقك إليها الآلاف.

رحلة البحث عن العمل.

حماس الشباب والتفاؤل يجعلك تعتقد أن حظك سيختلف عنهم بالتأكيد.  
إنه أنت.

وفي النهاية تستيقظ وكل أحلامك مهشمة، ونفسك محطم، ففتدرك همتك  
ويقل حماسك وتتعامل مع كل شيء بلا مبالاة.

شيء ما تغير بداخلك، أصبحت أقل حماساً لكل شيء. ليبقى بداخلك  
إحساس مقبض دائم وتساؤل لا ينتهي :

هل هناك ما يستحق الحماسة في هذا العالم؟!.

يقول زياد :

لا شيء يجب القيام به في لحظتها، إن الوقت ممتد أمامي، وما لم أقم به  
الآن، فليبنتظر للغد أو ليقم به غيري.

لست رئيس دولة فتكون قراراتي ذات تأثير قاتل على المواطنين، ولا أعمل  
حتى ليتسبب فنوري وكسلبي في تعطيل عجلة الإنتاج التي لا ترحم ولا تشبع  
من العرق والدموع، ولست أحمق كخليل الذي ورطه جشعه مع عصابة  
كعصابة حمادة عَّوش لأنّ العمل خوفاً من العقاب.

أعترف لكم جميعاً أنني أكثر أفراد شلتي كسلاً، حتى الماء أنتظر أختي أو  
أمي لتناولني إياه، وإلا هو العطش.

وفي معظم الأحيان أنا جائعاً بدون طعام لمجرد ألا أحضره من المطبخ.

هذا كسل حميد لأن تأثيره ينصب على رأسي فقط، ولكن الشق الآخر من الأمر هو المخيف.

الكسل قاتل.. للأحلام وللآخرين.

الكسل هو لعنتي من قبل أن طأ قدمي منزل الشيخ ياسين، والكسل هو لعنتي الحالية..

أعرف أن هذه هي لعنتي المختارة، وأعرف أنني القادم، لقد أخبرني أمجد عن طريق سهلة بهذا الخبر المثير.. فُضي الأمر إذن.

إن نهايتي قريبة، فالاليوم الرابع ليس بعيد.. ولكن كيف سيتسبب الكسل في موتي !؟

هل أنا خائف !؟

بالطبع لا .. فالغوف مرحلة أولى .. وأنا تجاوزت هذه المرحلة منذ زمن، إنني أنظر الموت .. ترى ما هي مشاعر من يتضرر الموت ولا تفصله عنه إلا أيام معدودة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة !؟

كل شيء حولي مكتسي بالسواد، فأنا الوحيد الذي يعرف خطئته ويعرف أنه مستحق للعقاب بجدارة، فكسلي تسبب في مصائب كثيرة، بل في مأسى .. أقربها يقطن في الغرفة السفلية في منزلنا العتيق المكون من طابقين متصلين على النظام القديم.. وهو أخي.

إن أخي الصغير هو ضحيتي الأولى والذنب الماثل أمام عيني إلى الأبد.

حدث الأمر في تلك الليلة الصيفية الكئيبة، كنت كالعادة مستلقاً في فراشي منهمكاً في اللا شيء وغارقاً في عالم العدم المتتشابكة، عندما سمعت صرخ أخي الصغير ونحيبه، وكالعادة أيضاً لم أكلف نفسي عناء استكشاف الأمر، ب رغم صوت الارتطام المدوّي الذي سبق الصرخ.

أخي الصغير ملقىً أسفل الدرج، وقد تهشمّت إحدى الفقرات بعموده الفقري، يتآلم وي بكى لنصف ساعة كاملة متطرّزاً النجدة من أخيه الأكبر، المنهمك في تدخين سيجارته اللف. والمتجاهل لأنين أخيه في لا مبالاة قاتله.

لم يتصور أخي (وحيد) أثناء امتناعه للدرج الداخلي، أن ينتهي الأمر إلى مأساة.. هرمونات الطفولة القلقة لم ترحمه، الجميع مشغولون عنه بمشاهدة المباراة ، وأخوه الكبير في غرفته التي لا يغادرها إلا لماماً بصحبة خليل. إنه يريد أن يلعب.

عقله الصغير يبحث عن وسيلة، يتأمل المكان في حماسة، ثم يلمح الدرج، لعبة الكبار الأثيرة التي تنهّر أمّه عنها طوال الوقت.

يتلفت وحيد حوله في حذر، لا يجد أحداً، الكل منشغل عنه.. إنها فرصته ليمارس لعبة جديدة.. يتسلق الدرابزين الخشبي، يقبض عليه بيديه وقدميه،

وبينظر تلك اللحظة المشيرة التي سيترك يديه فيها لينزلق فوق العارضة الخشبية للدرازين.

الأمر ليس بالسهولة المتوقعة، المفروض أن يترك يديه ويتثبت بقدميه، ولكنه لم يستوعب هذه النقطة بعد، يباعد بين يديه وقدميه. يختل توازنه، يحاول أن يتثبت بيديه فوق الدرازين الخشبي، ولكنه يفشل.

يسقط وحيد متذحرجاً فوق حواف الدرج القاسية، إنها ليست المرة الأولى التي يسقط فيها من فوق الدرج، ولكنها السقطة الخامسة.

حافة الدرج لم ترأف بعموده الفقري الأخضر. سحقت له فقرة وحيدة، كانت كفيلة بكل شيء.

لم يسمعه أي من أفراد أسرته المنشغلين جمِيعاً بنهايٍ أفريقياً، بين مصر وفريق لا ذكره.

صوت التلفاز المرتفع، وضجيج الانفعال، غطى على صوت الصراخ الضعيف والأنين فلم يسمعه غيري.

وأنا استسلمت لخمولي وقنوطني، وتركت أخي الصغير يعاني وتسرب من جسده العافية والحيوية، وحيداً كاسمه ملقى كدمية مهشمة أسفل الدرج، حتى أتت أمي المفجوعة من الخارج لتشاهد الكارثة.

الكذب والخداع كانوا وسليتي للنجاة.

ملامح الحزن والأسى على وجهي، الصدمة محفورة في ملامحي، أقف  
بينهم أمام أمي كحمل وديع، لو تنبه لهرع لنجدة أخيه.

اللهم كان عذرًا مقبولاً عند أمي التي فقدت أحلامها الخاصة بطفليها  
المفضل آخر العنقود.

سامحتني ولكنها لم تسامح أبي وإخوتي الذين تركوا وحيدا المصاب  
ليشاهدوا مباراة كرة قدم لعينة.

وبعدها تغيرت أمي هي الأخرى، وظلت ترتدى ثوب الحداد إلى الأبد.

لحظة اهتمام مني كانت من الممكن أن تبدل كثيراً من الأمور، وتتوفر أموالاً  
طائلة احترقت بين أيدي الأطباء.

أنا السبب في معاناة أسرتي.

وفي أن يظل أخي يعاني ما بقي له من العمر فوق مقعد متحرك. يحرك  
ذراعيه بصعوبة ويعجز عن تحريك ساقيه ويحتاج لمن يعينه حتى في ذهابه  
لقضاء حاجته.

وهل اتعظت من الحادثة، هل زايلني الكسل، هل انتهجهت الطريق السليم،  
هل تبدل في روحي المنكسرة أي شيء؟!

بالطبع لا.. إن همّي الفاترة لا تغيرها أحزان العالم ولا آلامه بل تعمّقها.

وللأسف لم تكن هذه هي الحادثة الوحيدة ولا الأخيرة.

الحريق كان فاجعي الكبرى.

هل تذكرون حريق أغسطس منذ عام كامل؟! لقد كتبت عنه الصحف لعدة أيام . هل تذكرون ضحاياه؟! هل تذكرون عقب السيجارة المشتعل الذي بدأ الأمر؟! هل تذكرون من ألقاه ثم لم يبادر بمساعدة جيرانه الواقعين في محنة، عندما صار الأمر جحيمًا واحتفلت بسببه ثلاثة منازل.

هذه هي صورته المعلقة على الحائط.

إنه لا يشبهني فقط بل هو أنا ومنذ عام كامل.

إنه أنا. أنا !!

إن سميحة تلعني طوال الوقت دون أن تعرفني.. ألا تعرفون سميحة؟ بالطبع لا تعرفونها، إنها جاري.. ولن تجسروا الآن على معرفتها.

هي أصلًا لم تعد تختلط بأحد منذ تشوهت.. نعم تشوهت.. فالحريق الذي يلتهم ثلاثة منازل لن يكون رئيًّا أيضًا بقاطنيها.

أعرف أنها تلعني في كل صباح ومساء وربما في كوايسها التي لم تقطع لحظة واحدة.

سمية التي كانت تشبه الفاكهة الناضجة، والتي كان القمر يغازلها في كل مساء، لابد أنها تموت ألف مرة، وتمنى لو أنها تفحمت مع من تفحم من إخواتها الآخرين. خاصة عندما تطالع وجهها وجسدها المشوه في المرأة.

لقد انتهت حياتها وذوى جمالها، وسط الزهرة البرتقالية القاسية. ذاب جمالها مع جسدها مع حقها في أن يكون لها حياة طبيعية.

ذاب بسبب وغد حقير لم يكلف نفسه عناء إطفاء عقب سيجارته لأنه سعيد بتمثيل دور الضحية.

هل عرفتم خطئتي؟!

أنا عرفتها منذ زمن، وحان وقت الحساب.

## - الدماء على الحائط -

ليل اليوم الأول يمضي ومعه ساعات ثمينة كان من الممكن أن أمضيها في التعب ودعاء الله القادر على نجذتي وغفران ذنبي، ولكنني أضعتها هباءً كعادتي وكأنني خلقت من صخر مصمت والدماء التي تجري في عروقي من هلام.. فمازالت أمارس دور الضحية وأستمتع به.

ثلاثة أيام.. اثنان وسبعون ساعة.. وقت لا يكفي لأي شيء نافع من وجهة نظري، ولكنه يكفي لمزيد من الخمول والاستسلام.

ماذا تفعل في أيامك الأخيرة، وأنت تعرف يقيناً أن الخيط الذي يربطك بالحياة على وشك التمزق، وأن شمعة عمرك التي كانت ساطعة، تتحضر وتذوي، وأن الموت يتربص بك.

أولوياتك ستختلف بالتأكيد. ستضع مئات الخطط، ستطلب الصفح من كل من أسأت لهم ومن ظننت أنكأسأت لهم.. ستفض عنك غبار الكسل وتقرر أن تكون خاتمتلك مشرفة.

هذا بالفعل ما يقوم به كل من يملك فطرة سليمة، أنت ستفعل ذلك. لن تستسلم لهمتك الواهية، الدماء التي في عروقك ستتحول إلى أدرينالين يحررك على التغير، إن نهايتك قريبة ولو لم يحركك هذا السبب، فأنت نسخة بشرية مشوهة. بل أنت ميت منذ زمن طوبل، وأنا كنت مشوهاً من الداخل، سناج اليأس يعيق روحي، وربما أكثر من سميرة نفسها.

الدماء التي تجري في عروقي أصبحت كالحبر، وأكثر ثقلًا وقتماه من تلك الدماء التي تسيل على الحائط أمامي والتي توقفت عن محاولة إزالتها منذ زمن.. يا للسخرية، حتى شياطين الشيخ ياسين تقوم بعملها بكل ضمير ومستمرة في إثارة ذعري.

إن شياطين الشيخ ياسين لا تمزح، فقلبي يكاد يتوقف من الرعب بالفعل، فالحائط ذو الطلاء الباهت، يبدو كجرح مفتوح يلطخ من حولي كل شيء بالدماء، مصحوبًا بتلك الخبرشات الحادة التي تأتي من خلف الجدران، ولا شيء ينجح في إزالة هذه الدماء أو يمحو آثارها.

شعر جسدي يقف من الرعب، ما هذه الأصوات المخيفة، إنني أكره الفئران وصوتها الباعث على القشعريرة.

ألهذه الأصوات علاقة بالفئران حقاً، أم هي صوت مخالف الجني المكلف بعقابي؟

إنها أصوات مزعجة، وتشير جنوني.. ولكن الوقت ما زال أمامي.

لا شيء سيحدث قبل ثلاثة أيام.

فلتصرخ الفئران ولتغمر الدماء العالم كله. ما زال أمامي ثلاثة أيام كاملة.

الصراخ يرتفع، والخمسات تتزايد، والدماء تتلوى كتعابين مفترسة، وبعد لحظات كانت روحني قد بلغت حلقتي عندما بدأت الدماء تمارس لعبتها الأثيرة، وتحولت لكلمات.

- أنت القادم.

الدماء تشكل الجملة على الحائط فتسجمد الدماء في عروقي.

- أنت القادم.

أعرف أعرف.

لا داعٍ لتذكيري في كل لحظة.

- أنت القادم.

الأصوات المزعجة خلف الجدران لا تتوقف..

استخدم جهاز التحكم عن بعد لأشعل التلفزيون الملون ذو الأربعه عشر بوصة، الصوت الصادر منه سيمنحني بعض الونس وسيشوش على تلك الأصوات المزعجة التي تؤذني أذني عبر الحائط.

لماذا لا أغادر الغرفة !؟

الجواب معروف مسبقاً، لأنني مهما غادرتها عائد إليها ولمصيري، ولافائدة من نقل اللعنة لمكان آخر.

قاعة الإم بي سي، تعرض أفلام رعب مخيفة. إنه الاثنين. ليلة الربع كما يطلقون عليها.. الأفلام تبدو تافهة جدًا أمام الواقع الأسود الذي أحياه الآن..

إن القاتل ذو المنشار يمزق الضحية، هل تكون هذه نهايتي؟!  
المنشار المسن يخترق أحشاء الضحية عبر مقعد السيارة من الخلف،  
مزقاً في طريقه عمودها الفقري.

ثم ينتهي الفيلم.

إذن الشر ينتصر في النهاية !!

\*\*\*\*\*

اليوم الثاني.

لا نية لي للقيام بشيء.. إن روحي نفسها مجتمدة.. وأعصابي لم تعد تستجيب لشيء.. اللاعب الدماء على الحائط أصبحت سخيفة حتى إنني التقطت لها عدة صور بها ثني المحمول.

لو أردتم مطالعتها، يمكنكم طلبها من أخي بعد موتي.. لست بارداً، ولكنني اعتبرت نفسي ميتاً منذ عجزت عن تحقيق حلم واحد من أحلامي.

شاب في مثل عمري مازال يأخذ مصروفه من أمه.. الحياة يمنعني من طلب النقود من أبي، يكفيه ما يقاسيه طوال اليوم من أجل توفير لقمة العيش والدواء لي ولأخوتي.

غرفتي أصبحت معبة برائحة التبغ المحترق، لابد أن رئتي قد اكتسحت باللون الأسود، إن خمس علب في اليوم انتقام وليس تدخينًا. بعد موتي ست Farage أمي بكل علب السجائر التي طلبتها من البقال على الحساب. إنه الدين الأخير.. وتسديده لن يمثل لي مشكلة وقتها.

سهيلة تواصل رجمي بالأخبار السيئة والنصائح، وأنا معتكف في غرفتي لا أقوم بأي رد فعل يوحى بوجود كائن حي بالداخل. ربما لو ظهر حل ما لنفست الكسل عن جسدي وقاتل.. ربما.. لقد رفضت أن أتواصل مع الجميع، فقط تلك الحرباء سهيلة هي الوحيدة التي أحبب اتصالاتها لعلها تخبرني في لحظة ما، أن كل شيء قد انتهى. وأنني حر.

لم أعد أستجيب لأي اتصال يأتي من أي شخص من أفراد شلتي، فما الفائدة من تبادل كؤوس اليأس والقنوط؟

كل شيء ثابت منذ ساعات كلوحة في قبو مهجور، لولا أدخنة التبغ لتحول المكان لقبر مغلق. التغير الوحيد الذي يتم في الغرفة غير سحب الدخان التي صارت كالضباب، هو حركة الدماء التي لا تتوقف، فيها هي الدماء تسيل طامسة لجملة أنت القادم، لتشتت في بؤرة واحدة.

هناك شيء جديد سيحدث. بل هو يحدث الآن، فالكلمات تتشكل من جديد. ليست الجملة المعتادة المبتذلة، إنها جملة جديدة ومفهومها، جملة تشكل طوق النجاة. الحل يأتي إلى عبر الدماء.

هناك قوة ما تؤازني، وتطالبني بالتحرك السريع. إنها اللحظة الموعودة. والمهلة ثلاثة ساعات.

هل استجواب الله لدعائي؟! أم هي ألعاب الشياطين التي لا تنتهي.

ارتديت ملابسي على عجل، ووضعت بجيبي المطواة الحادة التي لم تعد تفارقني بعد أحداث الانفلات الأمني الكبير. نظرةأخيرة للحائط كي أتأكد من عدم كوني واهماً. أردد العبارة بصوت عال لتلتتصق بذاكرتي، إنها عقدي الجديد مع الشيطان.

"أُقتل الوسيطة تنجو".

لا يوجد أبسط من هذا.. !!

## - جريمة قتل -

كي تقتل لابد أن تكون بارد الأعصاب.. تضع خطة جيدة.. تختر الوقت المناسب والسلاح المناسب. ثم تترك خلفك وكل معتقداتك.

إنك ستقوم بالجريمة التي يهون أمامها هدم الكعبة، ولكنك منذ زمن لم تعد تتعلق بهذه المبادئ والمعتقدات.

أنت شخص نكرة، حجر من تلك الأحجار التي يدهسها حذاء الوقت، فلو تم محوك من المجرى الزمني لن تتسبب في تغير يذكر. وبرغم كل مساوئك وتفاهتك، فأنت تتمسك بهذه الحياة، وتنتظر مارد المصباح الذي سيحقق لك كل أمنياتك.

اليوم ظهر لك مارد المصباح في هيئة دماء تبقي من قلب الحائط، ومنحك الحل السحري، ولكنه يطلب منك أن تقوم بالفعل الإنساني الوحيد الذي تمقته.. أن تعمل.

وهذه المرة ستنفض الكسل، ستستعيد حماس المغامرات العاطفية، الشيء الوحيد الذي يجبرك على ترك رداء كسلك في منزلك.

تنهي من ارتداء ملابسك الداكنة، حتى تستطيع الاختفاء والامتناع بالظلم. فجرائم القتل لا تتم إلا في الظلام.

كل القتلة يعرفون هذه القاعدة البسيطة وأنا لن أختلف عنهم.. والشمس قد ماتت منذ ساعات.

هل أقوم بحلاقة ذقني؟!

لا داعي للمبالغة ولا لإضاعة الوقت.

تبقى المشكلة الأخيرة.

السلاح.

المطواة التي معي برغم كفاءتها وإجادتي لاستخدامها، إلا أنها أداة غير عملية فهي تحتاج لاتسخام مباشر مع الهدف، والهستيريا قد تجعلني لا أتم مهمتي، وقد أتركها في مسرح الجريمة، فتقودهم إلى..

لذا فإن المسدس هو السلاح المناسب للمهمة.

التدريب.

لا داعي للقلق من ناحيته لأن فترة التجنيد كانت كفيلة بإجادتي للأمر.

إذا فالحل عند شحنته.

\*\*\*\*\*

لا يوجد شيء في هذا العالم يمكن أخذه كشيء مسلم به.

وهذه المقوله تطبق على شحنة وبشدة. فشحنة هو الشخص الوحيد الذي يجب تواجده في كل شلة.. كتلة العضلات المتحركة التي تشير الرعب وتجلب الاحترام. ولأن الظواهر تخدع، فدعوني أحدثكم قليلاً عن شحنة.

شحنة طيب القلب، لا يغرنكم هيئته المخيفه، ربما هو سريع الانفعال وهذا ما يجعله يبدوا شريراً، كما أن ملامحه الغليظة تستجلب التفوف له. ولكنه برغم كل شيء يتمتع بقلب رقيق يختلف عن هيئته تماماً.

لقد تجاهلت اتصالاته طوال اليومين الماضيين، ولكنني أعرف أن مجرد ذهابي له سيمحوا كل جفوة..

يؤمن شحنة بكل الغرافات الموجودة في الدنيا، وإن كان لا يخشى أي كائن حي له وجود وكيان مادي.

يخشى أشباح الأماكن المهجورة، وينفر من الكلاب والقطط السوداء، يرتدي خرزة رزقاء وكف ذهبي على صدره اتقاءً للحسد، ولا بأس من إطلاق والدته للبخور في المنزل. صباح كل جمعة مع حرق عروس ورقية تأخذ معها شر العيون.

شحنة هو أحد أعمدة الشلة فهو من يوفر لنا المزاج، ورشاد من كان يدفع معظم الوقت ونحن كنا نساهم على فترات بعيدة. إن شحنة هو هدفي الآن. شحنة هو من سيوفر لي السلاح الذي أحتجاه.

\*\*\*\*\*

- اليوم الثلاثاء. وأنا لا أعمل يوم الثلاثاء.. إنه يوم نحس.

كانت هذه هي إجابة شحنة على طلي، ولكنني أحياناً عليه وذكرته بالخطر الذي يحيط بي وبه، وكيف أن هذا السلاح مجرد حماية، وخدمة من أخيه.

- الثلاثاء شؤم.. وأنصحك ألا تقوم فيه بأي عمل كي لا ينقلب إلى العكس، ثم لا أحد يقاتل الجن والعفاريت بالسلاح.

قالها ثم تلفت حوله بحثاً عن خطر وهمي.

ساعة وعشرين دقيقة أهدرت منذ خلط الدماء جملتها الأخيرة، الوقت لن يكفي لهذه المهاارات.. خبطت بقوة فوق المنضدة التي تفصل بيننا في ذلك المقهى الذي جمعنا.. لتسقط الأكواب مهشمة ساكبة كل سوائلها الملتهبة فوق أحذينها، ثم نعثه بالندالة والجبين، وكان هذا يفوق تحمله.

لكرة هائلة كادت تفتت بفكى. ألم أخبركم من قبل بعصبيته الشديدة ؟

ساعة ونصف تبخرت، حتى انتهت المشادة وتصافينا، وإنعاً في التصافي ذهب معى إلى صديق آخر قام بالمهمة ومنعني السلاح على سبيل الإعارة. فمن أين لي بشمنه !؟

و قبل أن أغادر نصحي ألا أتهور وأثق في السلاح، لأن هذه الأشياء لا تؤثر بها ما يؤثر في البشر. وأنه كان يتمنى خدمتي، ولكن الجن لا يتأثر بالكلمات.

غادرته ثم انطلقت بعدها لأقابل سهيلة التي حدثتها من تليفون عمومي، وحددت معها الموعد. فأنا لست بهذا القدر من الغباء الذي يجعلني أكون آخر رقم يتصل بها قبل مقتلها.

آخر مبلغ معي من المال أنفقته على سيارة الأجرة. التي أقلتني إلى المقطم، وجلست بعدها لأحصي الدقائق المتبقية على حضور سهيلة. إن المقطم هو المكان المناسب لما أرغب في فعله، إبني جاهز تماماً.

النية انعقدت، والمسدس المصنوع يدوياً ممتليء بالطلقات، وهذه المنطقة التي اخترتها مهجورة إلى حد ما.

كنت أتمنى الحصول على سلاح بكامل للصوت لا ضجيج له، ولكن من لا يملك النقود، لا يعتقد بأمنياته.

دقائق ثم ظهر الكشافان الساطعان. ثم توقفت السيارة الأجرة على مقرية من المكان، وترجلت منها سهيلة وعلى وجهها تبدو ملامح القلق، لأنواري أنا خلف تل كبير من القمامنة كريه الرائحة والتي ينبعث منه الدخان الأسود الناتج عن الاحتراق..

السيارة الأجرة لم تصرف.. تلك الخبيثة..

أصوب المسدس إلى صدرها يا حكام.. لابد أن تصيب الرصاصة الأولى الهدف، فقد لا يكون هناك مجال لرصاصة أخرى، بعدها سأعدو من هذا الطريق المختصر الذي يقود صوب الطريق الرئيسي وبعدها ليكن ما يكون.

المسدس يهتز في يدي.. قلبي لا يطأعني.. ما ذنب سهلة حتى تستحق هذا المصير؟

إنها تقترب وهي تتلفت حولها.

المكان الحالي من البشر يشير ريشتها، ولكنها تقدم صوبي رغم ذلك.

أصابعي متجمدة على الزناد.

الدخان الناتج من أسوأ طريقة للتخلص من القمامـة يتراقص أمام عينـي، ويتحول إلى عـد تنازلي يبدأ من الرـقم مائـة..

تسـعة وتسـعون.

ثـمانـية وتسـعون.

....

سبـعون..

سهـيلة تقتـرب أكـثر، لو خطـت سـهـيلة خطـوة أخـرى لـرأـتي..

دموي تهطل من الضغط العصبي والنفسـي.

سهيلة رأـتـي ورأـتـ المسـلسـ المـشـرـعـ فيـ يـديـ والمـوجـهـ لـجـسـدهـ.

تلاـقـتـ أـعـيـنـاـ لـلـحـظـاتـ .. كـهـرـيـاءـ الرـعـبـ تـسـرـيـ فـيـ جـسـدهـ.

عـيـنـاـ سـهـيـلـةـ تـسـعـ فـيـ ذـهـولـ وـيـبـدـوـ عـلـىـ وـجـهـهـ آـثـارـ الصـدـمـةـ.

سـهـيـلـةـ فـهـمـتـ مـاـ هـيـ مـقـبـلـةـ عـلـيـهـ ..

إـنـهاـ تـقـهـقـرـ فـيـ خـطـوـاتـ مـرـتـبـكـةـ . تـهـزـ رـأـسـهـاـ غـيرـ مـصـدـقـةـ.

الـوقـتـ يـمـرـ وـفـرـصـتـيـ تـضـاءـلـ . العـدـ التـنـازـلـيـ وـصـلـ لـلـرـقـمـ خـمـسـةـ.

خـمـسـةـ ..

أـرـبـعـةـ ..

ثـلـاثـةـ ..

اثـنـانـ ..

أـدـيـرـ الـمـسـلـسـ لـرـأـسـيـ ..

صـرـخـةـ عـاتـيـةـ مـنـ سـهـيـلـةـ.

تـلـ القـمـامـةـ يـشـتـعـلـ ..

..... لا ..

\*\*\*\*

سهيلة تندفع نحو سيارة الأجرة، والتي لا يبدو أن سائقها قد سمع الصرخة أو رأى ما حدث مع كاسيت السيارة المرتفع.

تدخل إلى المقعد الخلفي.. تضع وجهها بين كفيها لتنهمك في وصلة بكاء حار، والسايق ينظر نحوها عبر مرآة السيارة في تعجب، فلم ير ذلك الوجه المخيف الذي صنعه الدخان فوق تل القمامه.. إن بلفيجور لا يمزح حتماً.

ويسلاسة عجيبة خط الدخان جملة سرعان ما تلاشت في الهواء بعد انصراف السائق :

- الخامس يتلاشى في اليوم الثالث.

## اللغة الخامسة - الحسد

عرفها دانتي : حب الشخص الطبيعي لنفسه تحول لعاطفة آثمة تمنى زوال الخير عن الآخرين.. مرتبط بالشيطان ليفياثان Leviathan شيطان البحار.. واللون الأخضر..

أنا الحسد.. ولدت من منظف مداخن وبائعة محار.. أنا لا أعرف القراءة.. لذلك أتمنى لو تحرق الكتب جميعها.. إن رؤية الناس يأكلون تصيبني بالهزال.. آه لو تحل مجاعةً على العالم بأجمعه.. فيموت الناس كلهم وأعيش وحدي.. عندها سوف ترى كيف أصبح بدینة.. لكن هل يجب أن تجلس أنت وأنا أقف ؟ هيا للانتقام..



## - العين الشريرة -

يقول شحنة :

كنت أتمنى لو أن هناك وسيلة مادية، لمقاومة الحسد والعيون الحارة، والتي تكفي نظرة واحدة منها لإلحاق الأذى والضرر لمن يقع في نطاق مداها القاتل.

جذتي تخبرني أن اليهود في وقت الإحصاء السكاني كانوا يدفعون شيكلاً عن كل فرد من أفراد الأسرة، بديلاً عن كتابة أسمائهم كي لا يصاب أحدهم بالحسد خاصة لو كان تعداد الأسرة كبيراً، لقد أخبرتها صديقة جورجيت وهي عجوز كانت تقطن حارة اليهود وغادرتها قبل سنوات بعيدة عندما كانت جذتي في شرخ الشباب، وكان اليهود أصحاب ديانة فقط ولم يتحولوا لذلك الإخطبوط المتعصب المسمى الصهيونية .

صديقتها أخبرتها أيضاً أنه من الشائع أن يبصق اليونانيون باتجاه شخص يطري عليهم خوفاً من الحسد.

وأحياناً يتكرر البصق عدد مرات بشكل مقرز ! وهي وسيلة لا يمكن أن تنجح في مصر ذات الدماء الحارة، فالبصق قد يمنع الحسد، ولكنه لن يمنع من تبصق عليه من تهشيم وجهك وتحويله إلى عجة.

وتخبرني أيضاً أن ارتباط الحسد بالجفاف معروف منذ زمن الأجداد. فالعين الشريرة تصيب الضحية بالجفاف، الذي يتبعه كل شيء سيء من مرض

وموت وخلافه، والحسد لا يقتصر على البشر فقط، بل يمتد للحيوانات والنباتات.

الأسماك فقط هي المحصنة لأن الماء يغمرها.

وكانت تخبر النساء اللائي على وشك الوضع أن يرتدين التمائم الزرقاء (الخمسة وخميسة) وهي قلادة على شكل كف بها عين كبيرة في المنتصف وهي عين الإله حورس الفرعوني، وأيضاً (الماشاء الله) وهي قلادة من ذهب أو فضة كتب عليها بالعربية ما شاء الله لتخطف بصر الحاسد فيتم اتقاء شره.

هذا غير إطلاق البخور الجاوي، وصنع العروسة الورقية، وثقبها بإبرة حادة كل ثقب يمثل اسم لحادث متوقع.

كانت جدتي رحمة الله تنهنني بشدة لو اكتشفت أني لا أرتدي ثيابي الداخلية بالمقلوب، أو أن الحجاب المعلق في صدرني غير موجود، إنني منذ صغرى وأنا معرض للحسد، فقد ولدت وزني أربعة ونصف كيلو جرام، وعيناي الخضراوان التي حصلت عليها من خالي عبر العجينات كانتا مساراً آخر للحسد.

نهمي للرضاعة والذي أجبر أمي على إطعامي مبكراً جداً كان سبيلاً آخر للحسد. كما كانت جدتي تحرص على عدم ارتدائي لأي ملابس جديدة أو ملفتة وهي من أطلقت على اسم شحتة، كي تقيني من العين.

أخشي العيون.. وخاصة العيون الزرقاء، لأنها عيون غير أصلية، أنت عبر البحار، ومن نسل الأجانب، وهذه العيون شرها مستطير ولا يمكن مقاومته.

في السابق كنت أزور الشيخ ياسين مع جدتي، طلباً للبركة، ولأن جدتي كانت تشعر في بعض الأوقات بأن روح جدي قلقلة وغير مسترحة، فكانت تأتي للشيخ ياسين لطلب منه النصح والإرشاد.

وذات مرة طلبت تحضير روحه، ولكن الشيخ ياسين نهرها، وأخبرها أن الروح القلقة لا يجب إزعاجها أكثر، وقال لها إن هناك روحًا نجسة تسكن القبر الذي دُفن فيه جدي، إما أن تُنقل عظام الجد لمدفن آخر أو تُنقل الجثة النجسة من هذا القبر.

لم يكن الأمر بالسهولة المتوقعة، وهذه لعنة المقابر المشتركة، أنت لا تنتهي مقررة عائلتك فقط، بل مقبرة عائلة أخرى، وهذه الأمور لا تفاهمن فيها، فعائلتنا لم تواري أحداً التراب منذ زمن، فالجثة المقصودة تخص العائلة الأخرى، وبالتالي لا يمكنك أن تمس جثة لا تخصك، ناهيك عن حرمة الميت والقبر.

لا أعرف ماذا فعلت جدتي في هذه المعضلة تفصيلاً ! فكل تحركاتها اتسمت بالسرية والغموض، ولكنها عادت ذات مساء ووجها مبتسم، وساطع من الفرحة وأخبرتني أن روح جدي لابد وأنها استراحت أخيراً.

لا أعرف التفاصيل الكاملة لنيش القبر ولا أي الجثتين نقلتا خارج القبر ولا مصير الجثة المنقوله . والعجيب أن ما فعلته جدتي، جعل الكوايس تقطع عنها وتوقف جدي عن إزعاجها في النمام، وصار نومها أكثر هدوءاً، وإن لم تتوقف عن زيارة الشيخ ياسين تماماً .

هذه الزيارات المتكررة للشيخ ياسين، كانت سبباً لأعرف الشيخ ياسين وكراماته، وأصبح من مربيه طلباً للبركة وعدم زوال القوة، خاصة وأن جسدي الضخم، مسار لحسد الجميع .

\*\*\*\*\*

عندما أصيّب أخي الصغير بالمس، وأصبح يصاب بحالات صرعية عنيفة، لا يتوقف فيها جسده عن الارتفاع وفمه عن إفراغ الزيد، ومع الصراخ والألم الشنيع الذي كان يجعل وجهه يتقلص وكأنه في النزع الأخير، لم أجد يومها إلا الشيخ ياسين لينجذبني، صحيح أنه طلب مبلغاً فادحاً لأن الجن الذي مس أخي من قبيلة الجن الأزرق، وسيحتاج لمجهود مضاعف وأنواع معينة من البخور والزيوت والعقاقير، إلا أنني لم أفكّر مرتين، فالجن الذي مس أخي قادر أيضاً على مسي، وهذا ما لن أقبله أو أتحمله أيضاً .

جلسات العلاج امتدت لخمس جلسات كاملة، حضرت الأولى ولكنني لم أتحمل أن أحضر التاليات .

إن مشهد انقلاب عين أخي وتحولها للون الأحمر، وتساقط الزيد من بين شفتيه، مع ذلك الصوت الغليظ القادم من أعماق الجحيم الذي كان يجيب به على تساؤلات الشيخ ياسين، وسط البخور الكثيف، ومع حركة الموجودات من حولي، كاد أن يوقف قلبي، إن هذا ليس مضماري، العالم الذي تفصله عنا الطلاسم والتعاويذ هو عالم لا يمكن أن أطرق أبوابه، أنا لا أخشى الموت ولكني أخشاهم، أخشى سكان هذا العالم الذين يتعايشون على عظام الموتى وروث الحيوانات.

بعد شفاء أخي التام، ذهبت للشيخ ياسين لأنشكته ولأمنحه الدفعة الأخيرة من المبلغ، وفي هذا اليوم قابلت أمجد.

شيء ما كان يدفعني للتقارب منه برغم سنه الصغير، إنه مغدور، ومشاكـس وعنيف ولا يأبه بـكـبـر أو صـغـر منـأـمـاهـ، لهـذاـ رـاقـ لـيـ، أو هـكـذاـ خـيلـ لـيـ وـقـتهاـ، فـلـحظـاتـ التـعـارـفـ وـالتـقارـبـ بـيـنـنـاـ مشـوشـةـ فيـ ذـاـكـرـتـيـ.

تعرفت على أمجد وعلى نجيب في لقاء واحد، ثم عرفنا نجيب على خليل وخليل على رشاد وأمجد عرفنا على أمين، وأمين على زياد.

شلة غريبة متباعدة، لا تعرف ما الذي يجمعهم حقاً للوهلة الأولى، لو كنا أقارب لغفر لنا فارق السن وتباین الثقافات، ولكن يبدو أن الموت هو من جمعنا، خطأيانا هي التي لضمننا في خيط واحد.

ربما جمعتنا في وقت لاحق جلسات المزاج وتدخين الحشيش. ولكن البداية كانت مريبة، لقد كانت هناك قوى جهنمية تعدنا لنصبح مخلب فقط الذي سيقضي على الشيخ ياسين، ثم تستعملنا في وقت لاحق كقرابين بشرية، لذلك وفي وقت قياسي ارتبطنا جمیعاً، ولا أعرف كيف تحول أمجد الصغير لقائد للشلة، يحركنا كما يريد.

لم تكن عيون أمجد زرقاء ولكنها كانت مخيفة ككل شيء يخصه، شيء ما بداخلها كان يجبرك على عدم إطالة النظر إليها وطاعتها.

عندما قرر أمجد اقتحام غرفة الشيخ ياسين، كنت من أشد المعارضين له، وحاولت التملص بأكثر من طريقة، ولكنه استعمل سحره، فقط طلب لقائي وعندما نظرت لعينيه لم أستطع المقاومة.

إن عينيه شريرتان.

## - قلب حاقد -

شيء ما شرير يسكن عين أمجد ويجبرني على طاعته، أنا الذي أقدس الشيخ ياسين أكثر من أبي، أنا الذي اعتبر منزله منطقة محمرة، أنا الذي أرتدي ثيابي الداخلية مقلوبة إتقاءً للحسد والعين، مطلوب مني اقتحام عرين الشيخ ياسين.

الشيخ ياسين الذي استحضر الجن أمامي، وحاوره، ثم هزمه وأخرجه من جسد أخي.

فلتحترق سماح ولتحترق أمجد ولتحترق الصداقة.

لو أنني كنت أكثر حزماً وصرامة، وأنا أواجه أمجد الذي يماثل أخي الصغير في العمر، لما تورطت في هذا المستنقع الشائك.

لا أعرف كيف اقترفت هذه الجريمة الشنعاء، لا أعرف كيف طاوعت أمجد لحظتها، فقط كان هناك شعور طاغٍ بيت حولنا ويسقط على عقولنا بأن ما نقوم به مقدس، ربما كان نوعاً من السحر، بل هو السحر ذاته. لم يكن أمجد ساحراً ولكنه كان ممسوساً، لقد استغلته تلك الشيطانة التي تجسست له في شكل سماح، والتي أحمد الله أنه هو الوحيد الذي كان قادرًا على رؤيتها.

في النهاية وقعت الكارثة، واحتراق منزل الشيخ ياسين، والشيخ ياسين نفسه كما علمت في وقت لاحق، ثم بدأ الانتقام.

الجميع يختفون .. يتلاشون .. وسهيلة تلك المحبولة التي اقتحمت حياتنا دون استئذان، تخبرني أنهم في مكان ما أحياه ولكنهم يُعدبون.  
سهيلة هذه نذير شُؤم هي الأخرى.

لا أعرف كيف ظهرت في حياتنا فجأة هكذا، إنها موبية بما يكفي لأبعد عنها، لا يمكن لفتاة عادية أن تقوم بما تقوم به سهيلة بهذه الأريحية. زياد نفسه قبل أن يختفي حاول أن يقتلها، هي أخبرتني بذلك وهي تصرخ لأنها تعتبرني شريكًا معه في الجريمة لأنني منحته السلاح الذي حاول قتلها به.  
تقول إن أمجد يرى كل شيء، وهو من أخبرها عن زياد وعن السلاح، وهو من أخبرها بالمصيبة التالية.

أنا القادم :

- فالخامس يتلاشى في اليوم الثالث.  
هكذا أخبرتني وهي تمني لي كل شر، إنها شُؤم شُؤم.  
لو كانت جدتي حية للجأت إليها، إن لديها الخبرة ولديها المعرفة، ولو لم تكن تعرف الحل وكانت سترى من يعرف الحل، ولكني الآن وحيد، لو أخبرت أحدًا من معارفي أو من يتعاملون معي لسخروا من ذلك الشور الذي له عقل العصافير.

كل الناس تخشى ما أخشى بدرجات متفاوتة، ولكنهم ينكرون.

لم يتبقَ أمامي إلا أمين وسهيلة، رسام خجول وفتاة شؤم، أين يمكن أن أختر  
على من يساعدني.

هل ألجأ لشيخ المسجد ليحصنني من العيون؟! هل أسافر إلى بلد بها بحر  
وأقضى الأيام الثلاثة على ظهر مركب؟!

لا أعرف حقاً كيف ستأتي النهاية، هل يجب أن أعترف أنا الآخر  
بخطيئتي؟! هل يفيد الاعتراف بعد أن صدر الحكم. بالطبع لا شيء  
سيتغير، وسيمضي نهر الحياة جارفاً ما تبقى لي من ساعات معه.  
إن خطئتي هي الحسد.

لماذا هذا الذهول. نعم الحسد ماذا توقعتم إذن؟!  
ربما أنا لا أملك تلك العين الحارة التي تصيب من تراه بالأذى، ولكنني  
أملك القلب الذي يكره ويحقد ويحسد.

لن أخفِي عليكم تفاصيل القصة، فإخفاء الأمر لم يعد يجدي، إنني قاتل  
وبيادي غارقان في الدماء، لا تعجبوا وتنسخ عيونكم، ألا تعلمون أن  
الحسد قاتل.

هذا ما يعرفه كل من يحيطون بي أو يتعاملون معي، ولا يفصحون عنه، إنها  
قواعد العالم الذي نعمل به، لا أحد في عالم تجارة المخدرات يشي  
بالآخر، كما أن القتل يجلب المزيد من الاحترام.

أنا لست أحد أباطرة هذا العالم، أو معلميه ولكنني أدير الدولاب الرئيسي للمعلم (حسونة العترة)، وأعتبر أحد أياديه اليمني، فالليد اليمني للمقربين وموزعي الصنف، أما اليسرى فهي اليد الباطشة، اليد المختصة بالعقاب، إنها اليد التي تحمل الموت، وأنا لم أكن أنوي أن أنتهي لجماعة اليد اليسرى، فأنا أوزع المخدرات ولا أقوم بعمليات القتل ولكن الحقد يعمي والحسد يفتح هويس الدماء.

من يدير الدولاب يعرف أسرار العمل بالكامل وبالتالي سيصير في يوم ما معلمًا يشار له بالبيان، وله صبيانه وأتباعه، وكى تحافظ على مكانتك في هذا العالم، يجب أن تكون قاسيًا، وغليظًا، أكثر من كونك قويًا، ولكن قلبي لم يكن بالصلابة المطلوبة مما جعل نجم (سماحة الدوجري) يعلوا ويظهر عند المعلم (حسونة العترة).

وسماحة الدوجري كان صعيديًا، وسيمًا، غليظ القلب، يعامل الجميع بصلف وتجرير وكأنه يثار من الدنيا كلها، انتقامًا على مغادرته بلدته هاربًا من الثأر.

كنت أكره ملامحه الوسيمة، وعوده الصلب المتوتر، ونشاطه الزائد، لقد حضر إلى هذا المكان وفي نيته أن يصير معلمًا وأن يسحق كل من يقف في طريقه.

إن لديه نظرة، تجبر الجميع على احترامه والخوف منه.

إنه يملك ما لا أملك وما يؤهله لأن يستولي على إدارة الدولاب في وقت قياسي، وهذا ما كاد يتم بالفعل. فخلال شهر واحد من التحاقه بخدمة المعلم حسونة أزاحني من فوق عرشي، ورويداً رويداً أصبحت الأعمال التي كان يكلفني بها المعلم تنتقل إليه، إنه أكثر قسوة وغلظة كما أنه لا يتشاءم من العمل يوم الثلاثاء.

في عالمنا من يرتفع درجة لا يجب أن ينزل عنها، لأن نزوله لن يكون نزواً سهلاً.

بل سقوطاً.. انهياراً كاملاً. لو أزاحك فلن تنال الاحترام يوماً.

لا أعرف اللحظة التي قررت فيها إزاحتة من طريقي، ربما عندما أهانني أمام صبياني، ولم يتحرك المعلم حسونة دفاعاً عنِّي.

كيف يكره القلب؟!

كيف يتحول في لحظة واحدة ويستحيل حافقاً وأسود.  
لا أعرف.

كان من الممكن أن أتخلص منه وأقله برصاصة أو بطعنة ليخلوا لي الجو وأنواع الاحترام من جديد، ولكنني كنت أنوي أن أجعل منه عبرة كي لا يجرؤ أحد على تكرارها، وليسفني غليلي يجب عليه أن يتأنم حتى يتمنى الموت بنفسه.

يجب أن ينال عقاب الخائن.

المعلم حسونة لا يرحم من يخونه، ولا يتزدد مرتين في الفتى به، ولديه طريقة طريفة لمعاقبة الخائن.

الجير الحي.

طريقة بشعة للموت خاصة عندما يسكب الماء على الجسد العاري، ثم يرش بمسحوق الجير الحي.

آلام بشعة تفوق آلام الاحتراق.. عذاب مخيف لم يقم به إلا النازيون.  
إنه عقاب أسطوري رهيب، لذا لا يجرؤ أحد على خيانة المعلم حسونة.

لقد كان (سماحة الدوجري) أقسى مني وأمهر مني في كل ما أنسد إليه، كان التلميذ النابغة، الذي فاق جميع التلاميذ الآخرين.

لقد أشعل بداخلي شعلة الحقد المقدس، وحوّل الحسد قلبي لمضفة سوداء تفوح بالعطن.

إنه يختلف عني في كل شيء، وسيم، ذكي، له سرعة الغزال وخبث التغلب.. إنه الحظ السيء حين يقابلك.. إنه ما تمنيت أن تكونه ولم تستطع.

ساعدني أمين شرطة فاسد في أحباب خطتي، وفي إحدى العمليات الكبرى، هجم رجال الشرطة وقبضوا على نصف رجال المعلم حسونة وأصيّب المعلم

حسونة نفسه برصاصة في كتفه، مما جعله بركاناً ثائراً على وشك الانفجار وإحراق كل شيء.

المصادفات التي جمعت أمين الشرطة وسماحة كانت مريبة، وتم رصدها عن طريق عيون المعلم، وجاءت الصفقة لتأكيد الشائعات، هناك عصفورة تنقل الأخبار.

ليلتها عقد المعلم المحاكمة على الملا، وحضرها كل رجاله وأنا أولهم بالطبع.

لم أكن قد رأيت تنفيذ هذا العقاب من قبل، وربما معظم من حضر اليوم.

كنا جميعاً نسمع به.. نخشاه.. نتقي شره.

ولكن اليوم كان اليوم الموعود.

في البداية قام المعلم حسونة بشرح سبب التجمع، والذي لم يكن يخفى على أحد.

صرخ سماحة، أنكر وأقسم، وترجى، وطلب الرحمة، ولكن الغضب المستعر بقلب المعلم حسونة كان يجب أن يتهم بعض الضحايا.

ثم أصدر حكمه.

لقد نجحت خطتي تماماً.

فشم تجريد سماحة من ثيابه، إن هذا الوغد يمتلك جسدًا متناسقاً مكتمل العضلات، لا بد أن النساء تهيم به حباً. ثم تم تقييده من يديه وقدميه وإلقاء الجير الحي فوق جسده العاري، ثم سكب عطوة مساعدي سطلاً من الماء فوق الجسد

والجير الحي. وارتقت سحابه هائلة من الغبار الأبيض القاتل، غمرت كل شيء  
ثم سمعنا الصراخ.

أي جزء من جسده ذاب أولاً.

هل ظل يصرخ لألف عام.

هل كان يستحق العقاب؟!

لا أعرف.. المهم أنني في النهاية لمأشعر بالراحة المرجوة، وظل شبحه يطاردني  
في المنام، ليل نهار، حتى أفقدني منه الحجاب الذي منحه لي الشيخ ياسين.

لقد اعتقدت أن جريمتي الكاملة قد تمت، وذاب كل أثر لها بقلب الجير الحي.

ولكن الخطايا لا تمحي كما يبدو ولا تمر دون عقاب. وهما الذنب يطاردني،  
ويطلب القصاص.

لم أكن أكره سماحة لأنه تفوق علي، بل كنت أحسده لأنه يمتلك كل ما  
ينقصني، الحسد تحول إلى حقد ثم إلى جريمة بشعة.

أنا أستحق العقاب، إن حبل المشنقة لن يشير في جسدي أكثر من الرجفة  
التي تسببها رياح أمشير الباردة.

أنا مستعد تماماً للعقاب، ولكن فليعاقبني بشري مثلني، لا مخلوقاًقادماً من  
أعمق الجحيم.

## - كلب أسود -

يبدو أن الأيام الثلاثة المتبقية لي في هذه الحياة لن تمر على خير، فتلك الشياطين التي أغضبناها بمقتل الشيخ ياسين لا تبدو أنها ستتركني لأموت في صمت ودون عذاب كافٍ. والدليل على هذا، هو ذلك الكلب الأسود المخيف الذي يتبعني في كل مكان.

لا باب يصده ولا حائط يمنعه، أنا لا أحب الكلاب، وخاصة السوداء منها، لأنها دائمًا ما تكون شياطين متجسدة في هيئة كلاب كما أخبرتني جدتي. والكلب الذي لا تلامس قوائمه الأرض والذي يتلاشى الزيد المتتساقط من شدقته في العدم هو كلب غير طبيعي. بل هو شيطان.. جن متتحول، إن أعصابي على وشك الانهيار، فهذه الأجواء تدمر روحي.

إن هذا الكلب المخيف، يظهر لي في كل مكان، لا أحد غيري يراه، ولكن الكلاب الأخرى تشعر بوجوده، فتضطع ذيلها بين فخذيها وتنطلق متسرعة وهي تعوي.

وأنا لا يمكن أن ألازم غرفتي كما فعل زياد، إنني لست ملك نفسي مثله، إن ورائي مسئولية كبيرة ودولابًا أشرف عليه، ومع سفر المعلم حسونة لأداء العمرة لابد أن أتابع كل دولاب العمل الأخرى، وأحصل الإيراد وأسلمه له عند عودته.

كم أنت مسكيٍن يا شحنة حتى والموت متربص بك، لا تستطيع الهرب من مسئولياتك تجاه المعلم حسونة. فالجير الحي لن يرأف بمسانتك، والتهاون في العمل يفوق الخيانة عند المعلم حسونة.

\*\*\*\*

قبل الفجر انتهيت من آخر أعمالِي وانتهتِي معِي يومَ كامِل، سلاحي لا يفارقني، ورجالِي حولِي، وانطلقتُ أخترق الشوارع القرية من المنزل، وأنا أحمد الله أن ذلك الكلب لم يظهر بعد.

الموكب يتحرك ببطء شديد، مع ضيق الشارع وأعمال الحفر التي جعلته أشبه بالفخاخ.

أصرخ في عطوة مساعدِي :

- لتعرف في الصباح من المسئول عن هذه الأفعال وتجبره على إنهائها.  
إنني متواتر وأحتاج لإفراغ توبري.. الكل يتوقع أنني سأقوم بانقلاب على المعلم حسونة، فمنذ متى وأنا أتحرك بهذا الموكب.  
وأنا لا أجرؤ أن أخبرهم بحقيقة ذلك الكلب الجهنمي. ولا بحقيقة خوفي..  
فالمعلم لا يجب أن يخاف وإلا فقد احترام الجميع.

اخترقنا الشارع المظلم، ومن بعدها كل الأبواب والتوافد تغلق. لا أحد يجرؤ على تبع الموكب، فالكل يتوقع الشر. والشر كان متربصاً في كل ركن.

كل شيء كان يسير جيداً حتى ظهرت الكلاب.

هذه المرة لم يأتِ الكلب وحده، لقد أحضر معه قطيعاً آخر من الكلاب  
التي تشبهه تماماً.

يبدو أنها الليلة الموعودة.

الكلاب تقطع الطريق بشكل هرمي، كلب يليه كلبان يليه ثلاثة وهكذا. حتى  
نهاية الشارع والضياء.

العيون مشتعلة وتضوی بقلب الظلام.

أنظر لمن حولي فلا أشاهد إلا الظلام، أين ذهب رجالی؟!

أصرخ وحيداً بقلب الظلام والكلاب تنقدم وأنياها الحادة تستولي على  
كياني، ونظراتها الخرساء تجمدني في مكانی.  
وفي لحظة واحدة هجمت الكلاب.

أغمضت عيني في قوة، لقد طفح الكيل، لن أستطيع التحمل أكثر، ويجسد  
مرتجف وأقدام مرتعشة انتزعت شعوري بالمخالب وهي تنغرس في لحمي  
والأنياب وهي تمزقه.

الكلاب تقترب بسرعة مخيفة.. أقدامها لا تلامس الأرض.. عيونها تشتعل  
كالجحيم، تقترب مني فتسحب معها كل لمحه من الضياء، الظلام يطبق  
على روحي ونباح الكلاب يصير مدوياً كالآجراس.

الظلام اكتسح كل شيء في طريقه. الأناب تخترق جسدي، فتمزق لحم ذراعي. وصدرني. المخالب تقترن من قلبي.

وفي اللحظة التالية أحسست بصدمة قوية، وكان هناك من صعقني بتيار لا يقل عن ألف فولت. تجمد كل شيء للحظة. ألم حاد يعتصرني، هناك شيء ما يطبق على صدرني، ألم تنتهي الكلاب مني بعد. ثم شعرت بقبضة قوية تثبت رأسي إلى الأرض، وبشكل يجثم على أنفاسي، ثم سمعت صوت عطوة الغليظ :

- احملوه لا يجب أن يراه أحد في هذه الحالة !!

صرخت بقوة :

- أي حالة لماذا تحملونني كالشاه المذبوحة ؟

ولكن صوتي لم يغادر حلقي.

كل شيء حولي مشوش وغريب.

و قبل أن أغيب عن الوعي سمعت صوت أحد رجالى :

- لقد أصيّب بالصرع .. يجب أن نحضر له طبيباً.

وأظلم كل شيء.

## - هلاوس -

يوم آخر قد ذهب.

الغيبوبة التهمت يوماً كاملاً، وقربتي من الموت يوم آخر، وما تبقى لي هو يوم واحد فقط. يوم يفصلني عن الأبدية، وعن السر الأعظم، وعن المكان الذي يذهب إليه الآلاف كل يوم، ولا يعودون ليقصوا علينا ماذا وجدوا هناك.

أهو يوم موتي حقاً !!

وإذا كان.. هل سيكون سريعاً حاسماً أم بطيناً وممتدًا؟ !

أغادر غرفتي شاعراً بنوع ما من الانكسار، لا يجب على القادة أن يظهروا ضعفهم أمام رجالهم، القادة يجب أن يكونوا في منزلة أعلى من البشر، القائد الذي يشعر بالمرض ويفسد بالصرع أمام رجاله، لن ينال أي احترام منهم فيما بعد، خاصة وأن الصرع مرتبط في الأذهان بالجنون، فهو الطريق المعبد الذي يقود إليه.

ولكن لماذا أهتم؟ !

عندما تشرق شمس الغد، سأكون مشغولاً بقضايا أعمق وأخطر.

أتحرك بصعوبة. ماذا حدث لجسدي، أشعر وكأن شاحنة مرت فوق عظامي فهيرستني. أم هي أولى مراحل المس.

عطوة صرف جميع الرجال وبقي معي وحده، إن مصيره من مصيري،  
وانهائي يعني انتهاءه، فالصبي يتبع معلمه كما تتبع الحكومة الرئيس  
المنتهاية ولايته.

لم أشعر برغبة في الكلام، فشكنته وصرفته، وكلفته بكل الأعمال التي كتبت  
أقوم بها، فعندما سيعود المعلم حسونة يجب أن يجد كل شيء على ما يرام،  
فالسيرة الحسنة تبقى بعد الموت، وبعد موتي لن يذكر أحد نوبة الصرع،  
فقط سيذكرون أنه الموت.

كم أحسد هؤلاء الأصحاب الذين ...

لا ..

لن أرتكب الخطأ مرة أخرى.. لا حسد بعد اليوم.

فتحت كل التوافد، ثم أخذت أطلع للماراة المجتمعين عند عربة الفول.

الحياة تسير برغم كل شيء.

كل شيء طبيعي ماعدا ذلك القرد العملاق الذي يشير لي من نافذة  
الجيران بإشارة الذبح.

لابد وأنني أهذى.

فيجوار القرد ظهرت (حياة) فاتنة المنطقة الشابة وزوجة المعلم (رضا)  
والسبب الوحيد في عدم زواجي حتى الآن. كم أحسد ذلك العجوز عليها،

إنني أنتظر موته منذ عدة سنوات لأحظى بها، ولكن ذلك الوغد مازال  
متشبثاً بخيوط الحياة.

إنها ترتدي قميص النوم الأحمر الذي تمنيت دائمًا أن أراها به. ولكن ماذا  
تفعل تلك المجنونة مع القرد؟!

لماذا تمسح على رأسه بهذا الحنان؟

يا إلهي..

ماذا يحدث؟!

إنها تميل عليه وتقلبه في شفاهه الغليظة. أي جنون هذا؟!  
إنني أهذى، أهذى. وبرغم هذا أحسد القرد.. الذي اقتنص من أشجار  
الجنة قبلة.

قدماي ترتجفان، الرؤية تغيم.

إنني أسقط في الماء.

ولكن من أين أتى هذا الماء.. إنه شلال.

الماء يجربني وجسدي يصطدم بالصخور، أشعر بآلام عاتية.  
القرد يلتتهم رأس (حياة).

القرد يقفز إلى الماء ويطاردني.. أحاول أن أسبح.

القرد ينقض علىّ، يحاول التهام رأسي كما التهم رأس (حياة)، لا بل هو يحاول أن يقتلع عينيّ.

الرحمه، لن انظر إلى (حياة) مره أخرى.

القرد يلطماني بيده.

أسقط غير النافذة.

ولكن نافذتي لا تطأ على الشلال.

לְלָזֶם לְלָזֶם לְלָזֶם.

..... لا أريد أن أموت. لا

\* \* \*

استيقظت من غفوتي غارقاً في بحر من العرق والقيء.. الظلم عبر النافذة  
حالك والقمر يسطع في حياء.

لقد انتهى اليوم. وانتهت فرصتي في أن أصنع تغييرًا حقيقياً، يوقف اللعنة..  
لا فائدة من أي شيء.

ثم من هذا الذي يقف في الظلام ويشير لي أن أتبعه.

لَا لَنْ آتِمُ مَعَكَ.

۱۰

النار تشتعل في كل شيء حولي، وذلك الشيطان يقف أمامي مبتسمًا.

- إِنَّكَ لَيْ.. لَيْ..

- גַּעֲלָא גַּעֲלָא גַּעֲלָא גַּעֲלָא.

**وعلى الحائط لمحت الجملة المخيفة :**

السادس يتلاشى في اليوم الثانى.

ولم أعد أشعر بشيء.



## اللعنة السادسة - الغضب

عرفها دانتي : حب الشخص الطبيعي للعدالة تحول إلى عاطفة آثمة حاقدة وساعية للانتقام الأعمى .. مرتبطة بالشيطان أمون Amon وهو ملاك ضال قائد أحد ألوية شياطين إبليس .. الغضب مرتبط باللون الأحمر . أنا الغضب .. لم يكن لي أب أو أم .. قفزت من فم سبع عندما كان عمري لا يكاد يتجاوز ساعة واحدة ..

ومنذ ذلك الوقت وأنا أجري حول العالم بزوج السيوف هذه ، وأطعن نفسي عندما لا أجد من أقتله ..

لقد ولدت في الجحيم .. ولا أزال أراقبه .. لأن أحدكم سيكون أبي ..



## - الموسوم -

يقول أمين :

استيقظتاليوم على ألم شنيع يحتاج صدري، ألم مفاجئ عنيف، لم يكن يشبه أي ألم آخر شعرت به من قبل. حتى في ذروة أزمة الربو لم يكن الألم بهذه القسوة والحدة.

أضغط على أسنانى حتى أكاد أهشمها.. ثيابي نفسها أشعر بها تشتعل ولا أطيق ملامستها لجلدي. الألم الشنيع يعتصر صدري، وكأن هناك من يخترق الجلد والعظام بمثقب ملتهب. والمفزع أن هناك رائحة شواء تركم أنفي.

هل جلدي يحترق بالفعل؟! هل أمارس تلك العادة المخيفة؟!! هل أحترق ذاتياً؟!!!

صفعني الألم فنزعـت المنامة في سرعة، وألقيـت بها بطول ذراعـي، ومعها شـعرت بألم إضافـي عـنيـف، وكـأنـي نـزـعـت معـ المـنـامـة جـزـءـاً منـ جـلـدـي أوـ أنـ هـذـا ماـ حـدـثـ بالـفـعـلـ، فـهـنـاك قـطـعـ منـ جـلـدـي المـحـتـرـقـ مـلـتصـقـةـ بـالـأـجـزـاءـ المـحـتـرـقـةـ منـ المـنـامـةـ.

إن جلدي يحترق بالفعل، أي مخبول جرؤ على إتيان تلك الفعلة معي؟!  
من يكرهـنيـ إـلـىـ هـذـهـ الدـرـجـةـ؟!ـ وـأـينـ هوـ؟!ـ وـكـيفـ لـمـ أـشـعـرـ بـهـ؟!  
إنـ الـجـرـحـ طـازـجـ، فـمـنـ قـامـ بـهـ لـابـدـ وـأـنـ قـرـيبـ.

مسحت المكان ببصري ولكن لاشيء.. غرفتي كما هي لا إضافات فيها ولا نقصان.

كهرباء الألم تفتك بعملي، فانتفضت ووقفت أمام المرأة الكبيرة المعلقة على الجدار بجوار الباب، وحدة الألم في تصاعد.. ثم وقع بصري على موضع الألم، واتسعت عيناي في ذهول، فعلى صدرني ندبة ضخمة قبيحة الشكل، على شكل دائرة من الجلد المحترق بل المتفحّم، وبقلبها نقش أسود بارز خط بحروف عربية كبيرة وواضحة :

- أنت التالي.. !

وعندما رددت هذه العبارة بصوت عالٍ وبطريقة لا إرادية، كسا كل شيء حولي ضوء أحمر متألق، سطع كضوء برق لحظي، قبل أن ينحسر من فضاء الغرفة، ويتركز حول حواف المرأة قبل أن يتلاشى تماماً. ليجتاحتني بعدها رعب عاتٍ. مما جعل طوفان من الأسئلة يتفجر بداخل عقلي.

يا إلهي.. هل حان الوقت.. هل اقتصوا شحتة..؟! هل سأموت حقاً؟!  
نظرت لصدرني غير مصدق، وعيناي تكادان أن تغادران محجريهما.. لقد وسمت بخاتم الموت.

الأمر حقيقي إذاً!

وبحسب المحتالية الشيطانية، أماي اليوم وغداً على أقصى تقدير قبل أن تنتزع مخالب الموت روحي ولأغادر قائمة الأحياء.

حاولت أن ألمس موضع الحرق بيديّ، فسررت في جسدي صاعقة حادة من الألم. جعلت جسدي ينفضض في عنف.. مع دوار حاد ورغبة عارمة في القيء.

لابد وأن أرى طبيباً حالاً.. ولكن أي طبيب سيقبلني في هذه الحالة، دون أن يطرح الأسئلة ويستدعي الشرطة. وأنا لن أضيع وقتي الثمين في تحقيقات الشرطة وسخافتهم، لابد إذن من حل فأنا أكاد أفقد الوعي من شدة الألم.

فتحت درج (الكومود) المجاور للفراش، وأخرجت منه علبة دواء مسكن كان الطبيب قد كتبه لي عندما شعرت بالألم في أسناني الشهر الماضي، حبتان مرتا المذاق، مع حبتين آخرتان من المضاد الحيوي.

ستمر دقائق ثمينة قبل أن يبدأ مفعول هذه الأدوية.

الأمور تزداد سوءاً، فال الألم عنيف، ومكان الحرق مشوه للغاية، وعقلني يكاد ينفجر من التفكير.

إن كانت هذه هي البداية، فماذا سيحدث لي لاحقاً؟!

\*\*\*\*

مرت ساعة كاملة وأنا في غرفتي، أقطعها ذهاباً وإياباً كلث جريح، عقلي يشتعل من التفكير وقلبي منقبض من هول ما سيحدث. والمسكنات التي تناولت منها أربع حبات تكافح كي تسيطر على موجات الألم.

إن الأمر بأكمله مخيف.. فأنا لا أعرف المصير الحقيقي الذي تخبيه لي الشياطين، وأملي ألا يطول عمري حتى هذا الوقت. وبرغم كوننا سبعة أشخاص يتعرضون لنفس المشكلة، إلا أن هناك نقصاً حاداً في المعلومات بيننا، لماذا جبن كل منا على الاعتراف بخطئته، لماذا لم نتحد ونصبح يدًا واحدة أمام هذا الخطر الجهنمي؟! لماذا تركنا تلك اللعنة تفرد بنا واحداً بعد الآخر؟!

حقيقة أن عقلي غير مستوعب تماماً لتلك النقلة العنيفة في مجريات اليوم، ولكن ما يحدث يبين وبشدة أن الشياطين موجودة ولديها قدرة هائلة على الإيذاء.

إن الدبة الغائرة في صدري خير دليل على ذلك، هذا لو تجاوزنا عن حالات الاختفاء التي طالت جميع أصدقائي.

طوق النجاة الوحيد يكمن في قدرتي على مقاومة شهوتي الكجرى، ولكن ما هي؟!

ما هي شهوة مدرس رسم في مدرسة ابتدائية؟! لا أعتقد أن الرسم شهوة يعقوب عليها بالموت. هل هو التدخين؟! ماذا عن الإهمال؟!

ما هو الشيء الجديد الذي اقتحم حياتي؟! ربما هو العشق.

هل ستكون سهيلة مبرراً جيداً لموتي؟!

لا أحد يعني بموضع البرزخ أو الجحيم، فالجحيم لن يوجد إلا يوم القيمة بعد أن يحاسب الخطاة والزناة والطغاة.

إنه الموت؟!

هذا هو المصير الذي ينتظرنـي.

ولكن ما يسبق الموت هو ما يقض مضجعي، كم مرة سيقومون بوسمي وبحرق جسدي بالنار.

هل ستتهـي حياتي تحت إطارات حافلة.. أم سيكون انفجار غاز أم سقوط من على أم....

إن العقل البشري مخيف عندما يستسلم للخيالات.

احتاجتني مشاعر مقبضه فقبضت على كوب ماء فارغ بجوار الفراش وألقيته إلى الحائط ليتحول إلى شظايا.

إنـي غاضب.. الموت ليس مخيفاً لهذه الدرجة.. طريقة الموت هي المخيفة.. وأنا لن أستسلم.. فماذا هناك بعد الحياة ليقاتل المرء من أجلها!

لابد من حل.

لا يمكن أن أقاوم وحدي. لا يمكن أن أرتكب الخطأ مرتين.

لقد سمعت عن ذلك الساحر الأفريقي من رشاد، ورغم أنه كان يسخر من نبوءاته، إلا أن الأمور توحى بأنه لم يكن هذا النصاب الذي أوحى إلينا به رشاد وأن لديه بعض العلم.

إن عنوانه على الإنترنت، وهم يقولون عنه أنه بارع، فهو لا يستخدم السحر فقط، بل يستخدم النصوص المقدسة أيضًا، إنه بارع... كما يقولون. وسأستعين به دون شك.

طق طااااق.

طرقات عنيفة لفتح أذني ووترتي، لابد وأنه أخي السخيف. لا يمكن أن يتركوني لحظة دون إزعاج.. لو كان هو ساحطم عنقه ول يكن القتل هو خطئتي.

أَتَوْجَهُ نَحْوَ الْبَابِ ثُمَّ أَسْنَدَ ظَهْرِي إِلَيْهِ. أَحَاوَلَ الْحَدِيثَ بِصَوْتٍ طَبِيعِيٍّ لِكُنَّ  
الْأَلْمَ الْمُتَصَاعِدَ مِنْ صَدْرِي كَاسِحَ.

## - ماذا تريد أيها السخيف ؟

الصوت الدافع يشع عبر مسام الباب ليداعب مشاعري، فأشعر به يحيط بكامل الغرفة :

- أنا سهيلة اسمح لي بالدخول.. أرجوك.. أنا بحاجة للحديث معك.

- سهيلة.. !!

قلتها في لهفة فخنق قلبي في قوة، وتغلب شوقي على كل إحساس بالألم..  
ال الألم الذي أخذ في التراجع بالفعل.. وكان ذكر اسمها كان هو الدواء  
والبلسم الشافي..

وفي تلك اللحظة التي فصلتني عن فتح الباب.. حلمت بمستقبل كامل  
معها.. عرس في أحد الفنادق.. شهر عسل نقضيه على شاطئ البحر..  
سيارة حديثة أتنقل بها عبر شركاتي وهي بجواري.. سبحت في عالم الأحلام  
الساحر وكدت أن أنجرف معه.. قبل أن يعود لي تفكيري السليم. وتحتل  
صورة أمي عقلي بالكامل.

كيف سمحت لها أمي بالدخول !؟

لابد وأنها ستسلخ ما تبقى من جلدي بعد انصرافها.. إن سهيلة لا توحى  
بالكثير.. ولكنها فتاة.. وهذا يكفي لبناء قصة مخيفة عن سلسلة  
الانحرافات التالية.

الفتاة التي تأتي لمنزلك دون أن تكون زوجتك، لن تكون فتاة جيدة بأي  
حال من الأحوال، ولن تكون الأم صالحة لو أنها لم تفكر بنفس الطريقة.

استجمعت قوتي، وانتقيت قميصاً حريمياً واسعاً لن يتسبب في أي احتكاك مع جلدي المحترق وارتديته بسرعة، ثم فتحت الباب متوقعاً أن أراها لأشعر بأنني لست الوحيد في هذا الكون.

ولم أجد أحداً..

المكان أمام الباب كان خالياً.. والذى في الصالة غير منتبه له لي تعد مائدة الإفطار، هل كنت واهماً؟!

صفعة من الألم تجبرني على غلق الباب من جديد..

صفقت الباب ثم استدرت متوجهاً صوب الدوّلاب، أحتج لجوارب نظيف كي أغادر..

الساحر الأفريقي هو الحل.. أو يعرف ما هو الحل للنجاة من هذا الفخ الشيطاني.

ماذا كان اسمه؟!

(ريحان).

نعم هو (ريحان).

أحضرت الجوارب وعندما همممت بارتدائها، خيل إليّ أنني لمحت بطرف عيني وجهها يطل عبر المرأة.

استدرت بجذعي في نصف دورة، وحدقت في المرأة بذهول، وهالني ما رأيت.

كانت سهلة هناك.. تنظر لي عبر المرأة.. وعلى وجهها إمارات خوف مروع.

لم يستوعب عقلي الأمر لأول وهلة فالتفت إلى الجهة المقابلة للمرأة متوقعاً وجودها.. دون أن أعرف كيف دخلت إلى الغرفة وكيف لم أشعر بها، ولكن لا شيء.. المكان خالٍ. والصورة عبر المرأة ليست انعكاساً لجسد حقيقي بداخل الغرفة.

إنها هناك.

خلف المرأة.. بل هي بداخل المرأة.

أي جنون هذا.. !!

ـ تجمدت أمام المرأة للحظات.. لا يمكن أن يكون ما أراه حقيقياً.. إنها سهيلة دون شك.. ولكن كيف عبرت إلى هناك.. هل يوجد بالفعل عالم آخر خلف المرأة؟.

المشهد يفوق كل تخيلاتي، وينافي كل منطق، ورغم ذلك أبصره، وأوقن من وجوده. إنها سهيلة بكل تأكيد - إذا لم تتلف شبكتي أو أصاب بالهلاوس - تقع هناك عبر المرأة كسمكة باهتة بداخل حوض زجاجي يخلو من الماء.

المشهد كله يديري الرؤوس. لذلك لا يمكن أن يكون حقيقياً. أما الأمر الذي أثار ذهولي أكثر من وجود سهيلة أو وجود طيفها بداخل المرأة، هو ما يوجد وراءها، ذلك العالم المخيف الذي يمتد إلى مala نهاية عبر طبقات متتالية من الظلام.

لا أعرف كيف أصف الأمر، ولكن الظلام خلفها كان متدرجًا إلى ما لانهاية، مع وجود وجوه ضبابية معدبة تماوج عبر الظلام، ووجوه مخيفة لزبانية تنهك في تعذيب أصحاب هذه الوجوه المتألمة.. والمشهد كله يظهر كلقطات متتابعة من فيلم رعب قديم، تم التقاطها بكاميرا عتيقة تستخدم تقنية اللونين الأبيض والأسود.

صورة سلبية للجحيم ولكنها برغم كل شيء مخيفة.. جحيم خالص من اللونين الأبيض والأسود.

إنها تحدي جديد لفنان مثلي، ربما لو جاءتني هذه الأفكار أو الهلاوس في وقت مختلف، لأصبحت (جويا) العربي، ولفقد جمهوري رغبته في النوم لمجرد أن طالع أعمالي.

المشهد كله كان مروعًا للدرجة غير معقوله، ورسخ بداخلي ذلك الرأي الذي تبنيته والذي يقول أن أفلام الرعب الأبيض والأسود أكثر إفراعاً من الملونة.

نلت مني صرخة لا تخرج من فم مراهقة اكتشفت أن اليد التي تداعب قدميها أثناء نومها هي أهداب فأر.

ارتجمت..

احتبس أنفاسي للحظات.. ثم تراجعت مبتعداً عن المرأة.. إنها المرة الأولى التي أتمنى فيها لو لم أر وجه سهيلة في حياتي فقط.

وجه سهيلة الذي لم يغادر أحلامي منذ رأيتها للمرة الأولى. وجه سهيلة الذي يطالعني عبر المرأة وهو يحمل أعنف المشاعر وأكثرها حدة..

الرابع.

كيف يسقط المرء منا في الحب؟!

سؤال يحتاج لعشر مجلدات على الأقل؟! خاصة وأن الحب الحقيقي لا يأتي إلا في الوقت غير المناسب، وربما أيضاً للشخص غير المناسب، إنه

المعضلة الكبرى التي تمنح الحياة نكها أو تحرمها منها.. ودينه أن يختار أصعب الأوقات وأكثرها تعاسة ليظهر.

أعترف أن سهيلة ليست فاتنة ولا تمتلك ذلك الجمال الملفت الذي يجعل الرجال يتلقاًطرون عليها، ولكن لها وجهًا مريحاً ورائحة عذبة، وروحاً متتمدة تستفزني.. في عينيها ذلك الشعور بالقلق الذي يشعل مشاعري. إنها اللوحة الحية التي لن أجرب يوماً على تقليلها بفراشاتي.

سهيلة الآن محتجزة في عالم غريب، عالم مخيف، عالم يتمتع بفيزياء خاصة وقواعد فوق الطبيعية.

محتجزة وتعاني.

محتجزة وتطلب مني أن أسمح لها بالدخول إلى غرفتي.

تقنياً هي بداخل الغرفة ولكنها أيضاً ليست داخلها، فهل حقاً سآخالف حدسني وأسمح لها. إن عبارة بكمال إرادتي الحرة، تتحذى بعداً منخيها ومقلقاً. قد لا تكون هذه سهيلة بالفعل، وقد تكون مخلب قط لاجتذابي نحو طريق الهالاك.

كم من أحمق خالف حدسه وفتح للموت بابه..

إن كتب التاريخ تعج بقصص الحمقى.. حتى لتعتقد أن التاريخ البشري قصة ممتدة للحمامة التي لا علاج لها.

ولكني لم أكن أحمق لهذه الدرجة. ففي اللحظة التي قررت فيها دعوة سهيلة لدخول غرفتي عبر المرأة، قمت بأغرب تصرف قد يقوم به عاشق على مر التاريخ يرى حبيبته في محبة وتستنجد به.

لقد ساحت أحد الكراسي، وأدرت ظهره للمرأة ثم جلست عليه وأشعلت لفافه تبع، وأخذت أغني وأدمدم.

سلوك غير مبرر ولا مفهوم، ولكنه بدئ لي وقتها منطقياً إلى أقصى حد.

لماذا؟!

بلا سبب.

إنني على وشك الموت، فأي شيء آخر سأخسره. ثم إن سهيلة لم تكن من السبعة المبشرين بالموت.

لذا فوجودها في هذا المكان المخيف مريب.

إن أكثر صفة تمتاز بها الشياطين هي التقمص واتخاذ هيئة البشر والحيوانات، فلماذا يكون الأمر مختلفاً؟

عشر لفافات تبع استهلكتها، مئات من الأغاني والألحان ردتها، وضعت سدادات الأذن الشمعية، أشعلت جهاز الإستريو بصوت مرتفع، وكل ذلك كي لا أسمع صوتها.

السؤال هنا لماذا لم أترك لها الغرفة وأغادر؟!

والجواب بسيط أن باب الغرفة اختفى، الغرفة نفسها تلاشت ولم يبق إلا المقعد الذي أجلس فوقه وسط ستار كثيف من اللون الأحمر.

خاطر سخيف يطارد عقلي، وكأنني أجلس بقلب بطيخة.. هذه الكثافة من اللون الأحمر مفزعة.

ويرغم كل هذا تمالكت أعصابي وأعملت عقلي في الأمر.. فلا داع لأن أتهور أو أنجرف. فأنا ذلك الأحمق الذي يحذرون الجميع منه، ويطالعونهم بآلا يشروا غضبه لأن ردود فعله قد تفوق بكثير ما هو متوقع مما يجعل كل خطوة يخطوها تتسبب في كارثة.

اتق شر الحليم إذا غضب.. لأن غضبه عاتٍ.. غضب غير مروض.. غضب مستعر لا قيد عليه.

الغشيم يكون أكثر خطورة في المشاجرات من الشخص المحترف.. لأنه لا يعرف نهاية لغضبه أو اندفاعه.

وأنا لا أريد أن أغضب أو أتهور.. لأن الوضع سيكون مؤذياً.. لي بالطبع.. إن آخر مرة فقدت فيها أعصابي بسبب في تحطم ذراع ذلك الطفل الذي لم يتجاوز التاسعة والذي نسي علبة الألوان ثم لم يتوقف عن مضايقة زملائه.

بعض الأطفال يستحقون القتل.. ولكن لم يكن هذا رأي مديرة المدرسة التي استفزها الأمر، وخفت أن يصل إلى الوزارة، دون أن تكون قد منحتي عقاباً كافياً.

شهرٌ خصم من الراتب وآخر إيقافٌ عن العمل.

أعرف جيداً أن غضبي يومها لم يكن من أجل علبة الألوان ولا من أجل شقاوته ومضايقته لزملائه.. بل هذا الأمر هو القشة التي أضيقت لما فوق ظهر البعير فقصمته.

إن مهنتي.. مهنة غير حقيقة.. لا يعترف بها الآباء.. ولا التقى.. لا تضيف درجات إلى المجموع الكلي ولا تقصه.. ولا يأتي لها المريدون ليتلقوها الدروس الخصوصية.. إنها مجرد وقت ضائع في اليوم الدراسي.. مهنة لا قيمة لها ولا تدر أي نقود.. لن يضاف لهذا كله استهزاء الطلبة بها.. لذا كان العقاب أسطورياً وهشمته ذراع ذلك السخيف..

من حق مدرس الرسم أن يكون قاسياً كأي مدرس آخر.. فلنتوقف هنا.. إن تذكر هذا الموضوع يصيني بالغشيان. كما أن هذا ليس موضوعنا الآن.

المهم أنني أخذت أشغل عقلي بآلاف الموضوعات، محاولاً التغلب على صوتها المستحوذ العذب.

.....

توسلاتها لا تنتهي.

نحیبها لا پتوقف.

أَنِّي نَهَا يَتَعَالَى لِي مُزْقَ نِيَاطَ قَلْبِي.

ولكنني أواصل دندنتي وغنائي وأردد دون توقف وبكلة النغمات :

- الأمر سينتهي، الآن.. سينتهي.

ساعة كاملة ظللت فيها أقاوم تلك السيطرة العقلية المخيفة، حتى كادت روحى أن ترهق، وفي اللحظة التي كدت أن أستسلم فيها. دوت الطرقات من جديد.

طق طق طااااق.

ليظهر الباب من قلب العدم، وتتجسد الغرفة من حولي ويتبلاشى الضوء الأحمر الشقيل، وكأن الطرقات أعادت للباب خصائصه الطبيعية ومحى ذلك السحر الذي سيطر على كل شيء حولي، فاندفعت كالغريق لافتتح الباب.

انفتح الباب بسلامة مدمراً كل توقعاتي بعصيانه.. وعلى عتبة الباب كانت تقف سهيلة بعيون منتفخة وهيئة زرية، وخلفها والدتي تحتجني بنظرات من نار.. إنها لا تسمح بمثل هذه الأشياء أبداً.. فكيف أقنعتها سهيلة.

نقلت بصري بين سهيلة وبين أمي، وبحركة تلقائية جذبت سهيلة من ذراعها وأغلقت الباب في وجه أمي، وفي عقلي تخيلت صورة أمي، والدخان يخرج من أذنيها، ولكن في هذه اللحظة كان غضبها آخر شيء أفكّر فيه.  
لأن بداخل الغرفة أصبح هناك اثنان سهيلة.

سهيلة بشحمة ولحمها وقلقها.. وسهيلة أخرى تعذب خلف المرأة  
فياله من وضع مقيت.

## - الذي حضر -

الوضع المخيف لم يتغير قط، فقط أصبح هناك لغز حقيقي أحج الصراع  
بداخل عقلي.

من هي سهلة الحقيقة ومن هي الزائفة؟!

أهي التي تتبع خلف المرأة تتسل، أم تلك الزهرة التي فقدت كل عبيرها  
ونضارتها والتي تشاركتني غرفة نومي.

الاثنتان تحملان نفس الملامح، ونفس القلق ونفس الإجهاد ولا يبدو أن أيّاً  
منهما تستمتع بوقتها هذه الأيام.

إن لعبة الأبواب المغلقة تغيير قواعدها تماماً، الأبواب الآن شفافة وما  
خلفها معلوم إلى حد ما.. فقط على أن أختار. بين موت ومموت.

لابد أن البعض منكم الآن متعجب، ويتساءل كيف أواجه كل هذا الضغط  
العصبي والأحداث فوق الطبيعية، بهذا الكم المرrib من البرود. ولهم أقول:

- لا تتعجبوا إنها طبيعتي.. فبرودي وهدوء أعصابي.. هو ميزة اكتسبتها  
عبر الجينات.. ورسختها سنوات من الروتين والملل والقهر.. وهاهي الميزة  
تبذر قدرة هائلة مني على التكيف، ومواجهة أصعب المواقف.

بعض الأصدقاء وفي محيط العائلة يطلقون علي لوح الثلج، لأن انفعالي  
دائماً يكون بعد فوات الأوان أو لا يكون أبداً.

معظمنا تعرض لحادث سيارة أو أكثر في حياته ولكن كم منكم من خرج من السيارة المهشمة ليوقف سيارة أخرى دون النظر لباقي الضحايا أو لطبيعة ما حصل. متوجهاً صوب عمله وكأن شيئاً لم يكن.

الصدمة عندي تأتي متأخرة جداً.

لذا فعند غضبي.. لا أتصح أبداً منكم أن يعترض طريقي. لأنني لا أكون أنا.. بل شيطاناً فقد كل ما يمت للبشرية بصلة.

أجلست سهيلة على المقعد الوحيد الموجود في الغرفة، ثم أخذنا نتبادل النظارات. قبل أن تنهمر دموعها وينطلق لسانها في الحديث دون توقف.

سهيلة رأت الموت بعينيها.. الموت القريب.. القريب جداً والذي كان يطل من فوهة المسدس الباردة التي حملها زياد.

سهيلة لم تعد مستمتعة بما يحدث ولا بكونها وسيطة..

سهيلة خائفة وتبعي الحماية..

سهيلة تموت من منظر سهيلة الأخرى التي تحاول اقتناصها عبر المرأة.

سهيلة تمنعني خريطة ساذجة يبدو أنها رسمتها بنفسها. تقود نحو مقبرة ما.. وتخبرني أن هناك يكمن جزءاً من حل اللغز. وأن أمجد من ساعدها في رسمها في إحدى رواها المشئومة.

وأثناء انشغالي بتفحص الخريطة البدائية، قامت سهيلة بأكبر حماقة ممكن أن تقوم بها من في مثل موقفها. لقد لمست سطح المرأة بطرف أناملها.. وفي لحظة واحدة وقعت الكارثة الكبرى.

أصابتها تشنجات عنيفة، وكأنها لمست سلك كهرباء عالي الفولت. مع كمية هائلة من الريد أخذت تساقط من فمها، صاحبتها كمية هائلة من الصرخات جعلت كل جيراننا بقلب شقتنا في لمح البصر.

و قبل أن تستوعب ما يحدث .. انتصب سهيلة على قدميها واقفة وانقلبت عينها بشكل مخيف .. وتحسّر صوتها في قوة .. وقبل أن تقفز من النافذة قالت كلمتها المخيفة :

- أنت التالي.

جمدتني الصدمة في مكاني للحظات، بعد أن رأيت كيف استولت شياطين المرأة على جسد سهيلة، وكيف تحول شكلها، وانقلبت عينها، فصارت حمراء متوججة .. قبل أن أندفع صوب النافذة متوقعاً أن أرى جسدها التحليل متوسداً الأرض مهشماً غارقاً في الدماء .. ولكن ما رأيته كان مخيفاً أكثر.

فالشارع كان خالياً من أي جثث، ولا أثر لسهيلة. لقد مُست واستحوذت عليها الشياطين. وفي لحظة غضب عاتية .. حملت المقعد وهشمته المرأة .. غير عالمٍ أن ما قمت به كان خطأً فادحاً .. لأنني قطعت الصلة التي تربط الشيطانة بعالمها. أو الكيان كما تحب أن تطلق عليه سهيلة.

سهيلة أصبحت هي الكيان.

\*\*\*\*

"الشيخ ريحان قتل".

ومن قتله فتاة تحمل كل مواصفات سهيلة، إن الشيطانة تصر على استكمال اللعنة وإغلاق كافة الطرق في وجهي مهما تكفل الأمر. إنها لم تعد تحفل بسرية الأمر ولا عقباته، لذا لم يعد هناك إلا الطريق الآخر المرسوم عبر الخريطة.

السؤال هنا : هل أذهب الآن أم أنتظر للصبح.. إن الزيارة الليلية للمقابر شيء غير مرivity.. بل هو منحني لو صدقتم الرأي.. فقط هو الوقت الذي يجربني على المخاطرة.

الآن أنا وحدي..

وربما أنا الأخير..

سهيلة استحوذت عليها شيطانة.. وأصدقائي قد فارقوا الحياة أو في طريقهم.. والموت متربص بي.. والحل يكمن بقلب مقبرة مجهرة.. لا أعرف كيف سأحمل الجرأة على نسها، وصدري يؤلمني من أثر الحرق، وأمي غاضبة مني..

أي أن الموت هو أجمل الخيارات المتاحة .

\*\*\*\*

قبل خروجي من المنزل، عرجت على المطبخ وحصلت منه على سكين حادة واريتها بين طيات ثيابي بالإضافة لکشاف يتم شحنه يدوياً.. وبعض الشموع ونسخة مصغرة من القرآن الكريم. وطوال الطريق لم أتوقف لحظة عن ترديد الأدعية.

وعلى مشارف تلك المقابر توقفت.

لم تكن تلك المقابر من نوع المقابر الخالية من البشر، بل هي ذلك النوع الحديث الذي تحول إلى سكن يقطنه عشرات الأسر، لا يمكن أن اخترق هذه الحشود دون أن يلاحظوني أو يستوّقوني.

راجعت الخريطة عدة مرات وأنا أجلس متوارياً خلف شاهد قبر متهدّم، وأصوات لهو الأطفال يصل إلى أذني ويشعرني ببعض الونس.

هناك طريق خلفي يمكن أن أسلكه لكي أصل للمقبرة المنشودة، ولكن ما العمل لو وجدتها مسكونة بالبشر هي الأخرى.. ماذا سأفعل وقتها؟

عبرت من خلف سور المقابر إلى حيث الظلام وأکواں القمامنة المتخلفة عن قاطنیها، الرائحة قاتلة.. ولكنني استخدمت منديلي وبخطوات سريعة عبرت المنطقة المحتوية على القمامنة، ثم سلكت طريقاً بين بعض الأطلال المتهدمة وفي النهاية دخلت إلى المقابر من الجهة الخلفية، وفي مساحة خالية تماماً وجدت المقبرة، ولا يوجد أثر لکائن حي بالقرب منها.

يبدو أنهم عانوا عندما حاولوا سكناها، وفي النهاية تركوها.

الآن أقترب من باب المقبرة، والذي يبدو أنه فتح منذ وقت قريب.. لن أعاني إذن في فتحه، آثار الأترة من حوله توضح ذلك.

أرفع القطعة الرخام التي تسد المدخل وأنظر نحو الظلام ودرجات السلم الهاابطة المتآكلة، قدماي لا تطاواني على الهبوط، ولكني أضغط على نفسي وأهبط..

فكرة الكشاف ذاتي الشحن سخيفة لأنني سأشتمر في الضغط المستمر عليه ليظل مضاءً.

أهبط الدرجات المتآكلة في تردد ورائحة الموت تصفع أنفي.. الظلام دامس والتواتر يجعل جسدي يرتجف كذيل عقرب تم قطعه.. أغمض عيني ثم أترك المصباح لأشعل لفافة تبغ.. أعيد الضغط على المصباح ثم أواصل الهبوط.

رائحة التبغ تطرد من أنفي رائحة الموت والجثث المتحللة إلى حدٍ ما.

أتوجه تلك الأجساد الملقوقة في أكفانها والمرصوصة بجوار الجدران، وأنووجه صوب الجدار الذي توضحه الخريطة.

حمدت الله على كون المكان خالٍ، فلن أضطر لتحريك رفات أي جثة من موضعها.. أشعّلت بعض الشموع بعد أن يئست من المصباح ذاتي

الشحن.. ثم أخذت في الحفر بالسكين الذي أحضرته معي في نفس النقطة المحددة على الخريطة بخطين متلاقيين.

دقات قلبي تتعالى وذلك الشريان النابض في رأسي لا يوحى بأن الأمور ستمر على خير.

الحفرة تتسع والوقت يمضي وأنفاسي تتلاحق.

من يصدق ما أفعله الآن !!

السكين يصطدم بجسم معدني، مما شجعني على الحفر بسرعة أكبر.. لحظات ثم ظهر الصندوق.. لم يكن صندوقاً بالمعنى المتعارف عليه، بل هي علية معدنية من ذلك النوع الذي تأتي فيه الشيكولاتة في المناسبات أصابها بعض الصدأ.

أحرر العلبة المعدنية من بين تراب المقابر الذي لوث يدي ووجهي وأبصق ما كدت أبتلعه منه.. وما إن قبضت على الصندوق، حتى دوت الصرخة وانطفأت كل الشموع.

احتضنت العلبة المعدنية بيد وباليد الأخرى قبضت على السكين وأخذت أتلقت في الظلام.

الذعر تملك مني وقلبي يوشك على التوقف.

أبحث عن الكشاف فلا أجده.

أشعلت قداحتي بصعوبة، وعلى هدى الضوء المتسرب منها بدأت في  
صعود الدرج عندما شعرت بالقبضـة المخلبية تنغرس في ظهري.  
لقد استيقظ الموتى.

دفعت القبـضة بيدي دون أن أعرف نوع العدو الذي يواجهني ثم عدوت  
خارج المقبرة..

جلست على الأرضية المترية ألهـث ويداي ميتان على العلبة المعدنية التي  
لا أعرف محتوياتها. ثم زحفت على الأرض بصعوبة حتى جعلت ظهري  
لشاهد قبر، ثم - وبجهود مضاعـف - فتحت العلبة المغلقة، وكدت أتقـأ  
من محتوياتها.

جثة فأر محـطة.. ورحم أنشـي مختلط بدماء طمس، عـظمة ضلع طفل..  
بعض الأوراق المكتوبـة بسائل أحـمر غير الدم، وخـنجر يدوـي الصنع له يـد  
خشـبية ونصـله غارـق في الدـماء.

نظرت لكل هذه الأشيـاء بـحـيرة.. ما هي الخطـوة التـالية؟!  
لم أـعـرف ماذا أـفعـل غير حـرق هذه الأشيـاء.

وضـعت العـلـبة أـمامـي ثم رـفـعت ضـغـط الغـاز بـداخـل الـقـدـاحـة، ثـم أـشـعلـتها  
فـانـطـلقـ عمـودـ منـ اللـهـبـ المـركـزـ ماـنـ لـامـسـ الأـورـاقـ.. حـتـى سـرتـ النـارـ فيـ  
كـلـ مـحـتـويـاتـ العـلـبةـ بـسـرـعةـ رـهـيـةـ وأـتـتـ عـلـيـهاـ فـيـ لـحظـاتـ ليـبدأـ الـهـولـ.

ففي نفس اللحظة التي خبت فيها النيران.. لمحت ذلك الشيطان الذي انتصب أمامي كالمصيبة، مجسداً أعقد كوابيسى وأكثراها بشاعة.

لا يمكن أن يكون هناك شيء مرعب أكثر.

العيون المشتعلة.. الجسد الحرشفي.. المخالف والأنياب.. القدم المشقوقة كقدم الماعز، وتلك الأدخنة التي تظهر من حوله مع رائحة الكبريت التي عبقت الجو.

الشيطان كما ينبغي له أن يكون ومن خلفه ظهرت سهلة وقد لطخت ملابسها الدماء.. وشحب وجهها فصار كوجه الموتى.

توقف عقلي للحظات وكدت أفقد الوعي.. ثم أخذت أصرخ.

هذا ليس عدلاً ليس عدلاً.. مازال أمامي يوم آخر.. لن يسلبني أحد يومي الأخير حتى ولو كان الشيطان.

هل حدثكم عن الحماقة؟!

هل حدثكم عن الغضب؟!

هل حدثكم عن ذلك الغر الساذج التي يدخل معركة، يعرف دون شك أنه سيخسرها؟!

إذن علمتم من أنا.

السكين في يدي، وبكل غضب الدنيا هاجمت سهيلة.. لم أستطع برغم كل شيء أن أهاجم الشيطان. ولم تمنعني سهيلة.

السكين في يدي.. أندفع كالمحجون صوب سهيلة ثم أطعنها في قلبها بكل ما في جسدي من قوة.. الدماء تتفجر من موضع الإصابة لتغمر كل شيء، وأنا أقف مذهولاً أتطلع إلى يدي وإلى السكين الذي غرس في صدر سهيلة.

يا إلهي.. ماذا فعلت !؟

صرخةأخيرة من سهيلة تهتف باسمي بعد أن انتهى الاستحواذ عليها بالموت، قبل أن يسقط جسدها ليفترش الأرض، في مشهد حطم قلبي وأشعل غضبي..

الشيطان أيضًا صرخ في غضب.. عيونه تشتعل ومن فمه تصاعد بخار ملتهب لفح وجهي.. قبل أن تمزق محالبه لحم صدري في نفس موقع الحرق ليمنعني ألم مرير.

لم ألتفت للألم ولا إصابتي الفادحة.. ولا للشيطان الذي يستعد لانقضاضه جديدة.. فقط وقفت أمواج بغضب هادر، وأنا أتطلع لجسد سهيلة المكوم على الأرض.. كنت أستمد منها طاقة غاضبة لو لمست قلب الأرض لصهرته ولو لامست مياه البحار ليخرتها.. لا يوجد ألم مثل ألم القلب.. صدقوني.. لا يوجد ألم أقسى من أن تفقد من تحب.

وفي لحظة تحولت لليث غاضب.. وانقضضت بسكيني على قلب الشيطان.. الذي يفوقني حجمًا وقوّةً وغضبًا..

وكانت هذه هي حركتي الأخيرة، ففي اللحظة التالية لم أشعر إلا بالنيران التي اشتعلت حولي في كل شيء، ثم شعرت بألم هائل في كل خلية من خلايا جسدي. وأظلمت الدنيا للحظات، وعندما عاد الضوء.. وجدت أصدقائي جميعاً أمامي، ورأيت الشياطين التي تعكف على تعذيبهم. والجحيم المستعر الذي يلتهم كل شيء.

لم يكن الموت إذن.

وأمام عيني تجسد ذلك الشيطان الغاضب من قلب العدم وهو ينفث من منخاريه ذلك البخار الملتهب.. ومن عينيه الغاضبيتين عرفت أنه حضر من أجلي.

من أجلي فقط.

## اللعنة السابعة - الغرور

عَرِفَهَا دَانِتِي : الْحُبُّ التَّرْجِسِيُّ لِلشَّخْصِ وَالذِّي يَخَالِطُهُ كُرْهُ الْآخَرِينَ وَاحْتِقَارُهُمْ .. كَبُرِيُّ الْخَطَايَا السَّبْعُ وَأَعْظَمُهَا، مُرْتَبَطَةُ بِلُوْسِيفِر Lucifer وَهُوَ النَّسْخَةُ الْمُسِيْحِيَّةُ مِنْ إِبْلِيسِ عِنْدَمَا كَانَ مَلَكًا .. مُرْتَبَطَةُ بِاللُّونِ الْبَنْفَسِجِيِّ ..

أَنَا الْغَرُورُ .. إِنِّي أَزْدِرِي أَنْ يَكُونَ لِي أَبْوَانٌ .. فَأَنَا أُشَبِّهُ بِبِرْغُوثَ أَوْفِيدَ وَبِمَكْنَتِي أَزْحَفَ دَاخِلَ أَيِّ نَاحِيَّةٍ مِنْ جَسْمِ الْفَتَاهِ .. أَحْيَانًا .. بِصُورَةِ شِعْرٍ مُسْتَعَارٍ .. أَتَرْبِعُ فَوْقَ جَيْنِهَا .. ثُمَّ بِشَكْلِ قَلَادَةٍ .. أَتَدْلِيُّ حَوْلَ عَنْقِهَا .. وَبَعْدَهَا كَالْمَرْوُحةِ مِنَ الرِّيشِ .. أَلْثَمُ شَفَتِيهَا .. وَأَخِيرًا أَتَحُولُ إِلَى دُخَانٍ مُشَكَّلٍ فَأَفْعُلُ مَا أُشَاءُ .. وَلَكِنَّ .. أَفَ .. مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ هُنَا !! لَنْ أُضِيفَ كَلِمَةً أُخْرَى مَا لَمْ تُعْطِرْ أَرْضَ وَتُكْسِي بِأَقْمَشَةٍ مَزْرَكَشَةً ..



## - يقطة -

"لقد استيقظ المريض أمجد".

كان هذا هو صوت الممرضة البارد، والذي صفع سمعي بجفائه، ووoshi بطبيعة الممرضة الملول غير المبالغية، خاصة عندما بدأت أفيق وأشعر بالعالم الحقيقي يتجسد من حولي من جديد. وبدا وكأنني أعود من نوم عميق لا يفوقه عمقاً إلا نوم أصحاب الكهف.

لم تكن العودة هيئة بأي حال من الأحوال، وظهر الأمر وكأن روحي التي غادرت جسدي قد ضاقت به، ولا ترغب في العودة إليه مجدداً. فقط هناك من يحاول حشرها حشراً في جسدي دون جدو.

رؤيه العالم الواقعي كانت صادمة، بل أشد وقعاً على أعصابي من صدمة استيقاظي في ذلك الجحيم الجهنمي، الذي قضيت فيه الأسابيع الأخيرة المنصرمة أعاني وأتعذب وأرى أصدقائي يتلقون في قبضة الشياطين واحداً تلو الآخر.

الفرحة قاتلة كما يقولون.

جسدي يؤلمني وكأن قطاراً بكمال عرباته مر فوقه عدة مرات.. عقلي يتجرج وكأن بداخله كرة دوارة لا تتوقف عن هرسه طوال الوقت، عيناي جاحظتان منهمكتان في النهام كل التفاصيل المعتادة من حولي بنهم أعمى يرى الدنيا للمرة الأولى..

الدهشة تفوقت على الألم وبجدارة فاحتواني الذهول بالكامل، وإن ظل الألم ينشب مخالبه الحادة في روحي وجسدي كليث تمكّن من فريسته التي فقدت كل مقاومة حتى ظنت أن الزمن قد تجمد إلى الأبد. فعودتي لعالم الأحياء كانت مفاجأة لي لم أتوقعها تحدث أبداً.

فاستمرارية التعذيب والمعاناة والألم، جعلت الأمل بداخلني يذوب ويتبخر، بل ويلاشي من عالمي كله. خاصة بعد أن عاصرت تلك المشاهد المروعة التي دارت أمام عيني بداخل ذلك الجحيم الصناعي الجهنمي، والذي أنشأته تلك الشيطانة الملعونة لإرضاء سادتها من الشياطين لدعمها في صراعها مع ذلك المخلوق الشيطاني الذي استحضره الشيخ ياسين، والذي لا يمت للشياطين التي نعرفها بصلة.

هل تفاجأتم؟!

بالتأكيد.. فأنا نفسي تفاجأت.. بل صدمت بهذه المعلومة الرهيبة.. والتي لم ترد من قبل في أي كتاب تاريخ أو خوراق، وكان هناك من حرص وبشدة على إخفاء كل أثر لهم، لهدف ما في نفسه، وحتى يذوبوا في عوالم النسيان.

هناك مخلوقات شيطانية، في ما وراء هذا الكون لا نعرف عنها شيئاً. وهي تتربص بنا. ولو لا أن للكون قواعد صارمة في العبور والانتقال، لما كان هناك بشري في مأمن منها. لذا فإنني أكررها.. لأنني نفسي أصدقها بصعوبة.. إنها

نوع من الشياطين لا تمت لجنس الشياطين التي نعرفها بصلة.. ولا تخضع لقواعدـه.

إنها أشد وحشية وقوـة، من أي شياطين سمعت عنها من قبل، لأن لديها القدرة على إخضـاع الشياطين أنفسـها، واحتـلال أجسـادها النـارية.. بل إن هناك نوع بدائي منها.. يستمـتع بالتهمـاجـ الجن والـشـياطـين.

وـعن طـريق السيـطرـة على هـذه المـخلـوقـات الـوحـشـية، يـسـتطـيع السـاحـر أن يـخـضع أي جـن لإـرادـته..

الـتعـامل مع هـذه الكـائـنـات الجـهـنـمية ليس سـهـلاً أو هـيـناً كـما يـبـدوـ، فـهـوـ يـحتاج لـتضـحـية عـظـيمـة ولـطـقوـس تـصل لـحد الـكـفـر.. بل هي الـكـفـر ذاتـهـ، وـإـلـى دـمـاء كـثـيرـة تـرـاقـ، وـإـلـى تـنـازـلاتـ لا مـشـيلـ لها تـخـرـجـ السـاحـر بـجـدارـةـ من عـباءـةـ إـلـاـنسـانـية.. وـالـمـخـيفـ أنـ هـنـاكـ منـ لا يـتـورـعـونـ عنـ قـضـاءـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ يومـاًـ فيـ هـذـا الجـحـيمـ الطـقـسيـ منـ أـجـلـ أنـ يـصـلـواـ لـمـأـرـبـهـمـ..

ثـلـاثـةـ عـشـرـ يومـاًـ، كـفـيـلةـ بـأنـ تـهـشـمـ رـوـحـ السـاحـرـ وـتـصـيـبـهـ بـالـجـنـونـ لوـ لمـ يـكـنـ بـالـكـفـاءـةـ المـطـلـوـبةـ.

إنـ هـذـهـ المـخـلـوقـاتـ لـعـنةـ أـبـدـيـةـ، وـلـوـ لـأـنـهاـ تـقطـنـ فـيـ الـبـعـدـ السـابـعـ لـلـأـرـضـ، وـلـاـ تـمـلـكـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ العـبـورـ لـعـالـمـ الـبـشـرـ دونـ وـسـيـطـ، وـعـنـ طـرـيقـ طـقـوسـ وـكـلـمـاتـ خـاصـةـ، عـبـرـ درـبـ رـهـيـبـ منـ درـوـبـ السـحـرـ الأـسـودـ، لـاستـعـبـدـتـ الـبـشـرـ مـنـذـ زـمـنـ سـحـيقـ.

إن الشياطين التي نعرفها، تبدو بجوارها كالحملان الوديعة.. ألم أخبركم أنها المخلوقات التي يخشاها الجن والشياطين.. !

إن الجهل بهذه العوالم، جعلنا نضع كل ما هو مجهول في سلة واحدة، فلا نفرق بين الشر والشر الفائق المطلق.

الشيخ ياسين، سلك هذا الدرب المشئوم للمرة الثانية، والفترة الأخيرة التي انشغل فيها ولم يعد يغادر غرفته، كان يجهز فيها لاستبعاد مخلوق آخر من تلك المخلوقات الجهنمية، سيستدعيه لمساعدته من أشد مناطق الكون ظلمة ووحشة، من بعد السابع للأرض.

لأنه علم عن طريق بردية قديمة، أن هناك دربًا خاصًا من سحر الظلام قادر على إعادة شبابه إليه وربما منحه الخلود أيضًا.. إن جسده يتداعي ولا سبيل آخر لإيقاف زحف الزمن عليه.. .

خاص الشيخ ياسين في الأمر، دون أن يضع أي اعتبارات لقدراته التي وهنت مع زحف الشيب والتراجع على وجهه.. خاص في الأمر لأنه يشق أنه قادر على كل شيء وأي شيء.. إنه الغرور البشري الذي لا سقف له، والذي قادنا من البداية لنخوض في هذه الدروب المظلمة..

سلك الشيخ يا سين دربه المظلم، وأراق دم ذلك الرضيع، الذي نتج عن علاقة آثمة كطفل سفاح، وأنهى الثلاثة عشر يوماً، ولكنه مات قبل أن

يُكمل تعويذته، ويؤدي الطقس الأخير، بعد أن أهدى الأرض هدية ملعونة قد تتسبب خلال مدى قصير في خراب لا أول له ولا آخر.

وهذا الأمر لم يتوقف تأثيره عند الشيخ ياسين، بل امتد إلى مدى أوسع وأخطر، فقد أضعف قدرة (سماح) تلك الشيطانة التي استعبدتها جدي والتي حاولت الإيقاع بي في وقت سابق، وجعلها لا تستطيع أن تكمل ما خططت له عبر السنوات، فلم تستطع أن تتم تعويذتها لتحرر وتعود لعالمها.. وفشلت في أن تكمل تصحيتها وتزهق الأرواح السبعة.

لم يكن لي فضل في إنقاذ أصدقائي إذن، المخلوق الشيطاني كان هو المسئول ولكني كنت يده التي نفذت الأمر..

المخيف فيما حدث أن الشيخ ياسين استحضر المخلوق الشيطاني إلى العالم ومات دون أن يحكم سيطرته عليه ودون أن ينقل العهد لساحر آخر قادر على إكمال الأمر، مما أفسد خطط تلك الشيطانة، ومنح للકائن فرصة نادرة للانتقام.. وهذا هو الكائن الشيطاني يبعث بتلك الشيطانة ويفسد لها كل تحطيم تحاول به العودة إلى عالمها الذي منعت عنه..

إنها تجاذف في كل مرة تحاول فيها، أن تستولي على جسد أحد الضحايا من أجل إتمام تعويذة العودة، يعاونها بعض شياطين الجن لتحقيق مأربها، دون أن تجرؤ ولو مرة واحدة على إخبارهم بحقيقة هذا المخلوق.

أعرف أن الأمر جنوني ولكنه حقيقي.. فأثناء غيبوتي، وبطريقة ما، عبرت روحي البرزخ الفاصل بين الأبعاد وعرفت كل هذا، هناك صلة ما نشأت بيني وبين تلك الشيطانة دعمها الحب الذي كنت أكنه لها في قلبي، إن للمساعر الصادقة قوة خاصة، من يملك علمها يملك سلاحًا لا مثيل له، وهي كانت تملك هذا العلم.

إن قدرات البشر غير المستخدمة تؤهلهم ليكونوا الجنس الأقوى في هذا الكون ولكن للأسف الغرور والجهل يعمي عيونهم.

سمحت لي هذه الصلة بأن أحبط بكثير من هذه الأمور التي كنت أجهلها، والتي تمكنت لو ظلت على جهلي الكبير بها، ولا أخفىكم عملاً أن ما لمسته بداخلها تجاه ذلك المخلوق، أورثني خوفاً يكفي كل سكان الأرض ليجعلهم يغادروا هذا الكوكب البائس في أسرع وقت.

فقوة هذه المخلوقات ووحشيتها لا مثيل لها، خاصة وأن الشمس المباشرة تضاعف قوتها، فيصير المخلوق منهم بقوة مئات الشياطين أو أكثر..

لقد عبّث الشيخ ياسين، في أسرار ما كان لبشرى أن يحيط بها علماً، لولا مساعدة الملعون الآخر صديقه الشيخ تهامي الحو، والذي بمساعدة عبّرا كل الحواجز، وكسرّا أختاماً قديمة قدم الزمن، ما كان لهم أن يقربوها. وهذا هي ذي النتيجة.. !!

## - انتقال -

لم أكن أتخيل يوماً أن مجرد رؤية غرفة عادية كثيبة الطلاء، وبشر عاديين يمارسون عليهم في روتين ولا مبالغة، قد يمنعني ذلك الشعور المذهب بالراحة، كل تفصيلة صغيرة كانت تعيد تضميء جزء من روحي التي تمزقت، حتى أن طعم الدواء المر في حلقي كانت له نكهة الحياة.

الدهشة لم تكن نابعة من وجودي بداخل مستشفى القصر العيني متصلةً بكل تلك الأجهزة المخيفة التي لا تكف عن الهدير، والتي تعتبر الدليل الوحيد على وجودي على قيد الحياة، ولكن بسبب وجود ذلك الشخص الغريب الذي يجلس في أريحية على ذلك المقعد المجاور للفراش، وكأنه امتلك المكان، وعيناه المخيفتان مسلطتان على وجهي ككشافان ساطعان، تحصي علىّ أنفاسي.

كان أغرب شخص من الممكن أن تلتقي به في حياتك.. فهو يمتلك جسداً ممشوقاً قوياً تشعر فيه بصلابة المعدن، لا تلك الصلابة التي تموح بالحياة في عضلات البشر العاديين.. رأس أصلع لامع وكأنه تم دهانه بملمع ثابت.. عينان يتغير لونهما طوال الوقت ما بين الزيتوني والأرجواني والأزرق ثم توقف للحظات عند اللون البنفسجي.. عينان باردتان خاليتان من أي دفء أو أحاسيس آدمية، و تصيب من يرکز فيهما بالدوار..

بشرة مشدودة كسطح طبل أملس مع لمسة غير طبيعية لا تعكس أي مشاعر أو انفعال، تجعله يبدو كتمثال شمعي بارد.. يرتدي رداءً من قطعة واحدة تتصل مباشرة بالحذاء في انسياوية عجيبة، ويغلف كل هذا غموض بلا حدود.

إن المعرفة مؤلمة، وكذلك الجهل، ولو تساويا في الألم فإن الجهل يتفوق بكونه غير مريح ويعيث على القلق.

لذا كان السؤال الذي ظلل يتردد بداخلي كصدىً مستمر.. من هذا الشخص المريض؟!

دقائق قليلة مرت عليّ قبل أن ألم بكل ما فاتني، وأجمع قطع البازل التي تتكون منها ذاكراتي، لأونق تماماً أني لا أعرف هذا الشخص العجيب، وأونق أيضاً أن وجوده بجواري ليس طبيعياً أبداً، فلا يوجد بشر طبيعيون يمتلكون هذه الهيئة الباردة وكان وجهه وجه جثة لشخص مات منذ زمن.

تبادلت معه النظارات للحظات قصار فشعرت بغصة في حلقي، وشعرت بعدم راحة.. وتمنيت لو يغادر.

إن الأرواح جنود مجندة، ورؤيه هذا الشخص آذت روحي بعنف.

الشيء الذي جعلني أرتجف، وأتمنى لو تبتلعني الأرض أو يسقط عليّ شهاب من السماء ليخرني، هو تلك اللحظة التي عبرت الممرضة من

خلاله لتنقيس لي حراري.. نعم العبارة صحيحة.. لقد عبرت من خلاله، كأنه طيف غير موجود أو صورة هولغرافية شفافة.

إذن فعيناي لا تخدعني.. لقد حاولت أن أقنع نفسي منذ أول لحظة سقط عليه بصري.. أنها لعبة المخدر والظلال. ولكني لم أكن واهماً.. كنت فقط مخطئاً في ظني.

عبرته الممرضة دون أن تشعر بوجوده ودون أن تراه، وعندما هممت بالتحدث إليها، دوى صوته الحازم في عقلي مقتضياً ثقيلاً دون أن يصل إلى أذني :

- لا تلفت الانتباه.

سرى في جسدي تيار كهربى من الرعب، جعل كل جسدي يرتجف، حتى أن الممرضة تساءلت متعجبة وهي تقرأ مؤشر ميزان الحرارة، الذي يخبرها بكون حراري في المعدل الطبيعي :

- هل أحضر لك بطانية إضافية؟!

شكرتها بصوت خافت واهن لا أعرف إن كانت سمعته أم لا، وعيوني مثبتة على وجه ذلك الشخص المخيف الذي لا يراه سواي، فجمعت أشياءها ورحلت عن الغرفة وأغلقت الباب خلفها.

وَمَا أَنْ خَادَرْتُ الْغَرْفَةَ حَتَّى انتَفَضْتُ مِنْ رَقْدِي وَكَانَمَا لَسْعَنِي عَقْرَبُ سَامِ،  
وَأَخْذَتْ بِيَدِي أَسْتَكْشَفُ كُلَّ أَجْزَاءِ جَسْدِي لِأَتَأْكُدُ مِنْ حَقْيَقَةِ اسْتِيقَاظِي،  
وَأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْدُ مَجْرِدَ حَلْمٍ آخَرَ، أَوْ طَرِيقَةً جَدِيدَةً لِلتَّعْذِيبِ فِي ذَلِكِ  
الْجَحِيمِ الْجَهَنْمِيِّ.

قرصت نفسي عدة مرات فشعرت بالألم..

يراه غيري.. بل وأسمع صوته يتعدد بداخل عقلي.  
إنني يقظ بالفعل.. يقظ إلى درجة أني أرى مخلوقاً شفافاً بارد الملامح لا

يقطع لدرجة استيعابي أن وجوده لن يعني إلا المزيد والمزيد من الألم.

وكانما قرأ ذلك الشخص ما يدور في عقلي فقال بنفس الصوت العقلي  
الكليب الذي حفّز روحى كي تغادر جسدي :

الكَيْبُ الَّذِي حَفَّزَ رُوحِيَّ كَيْ تَغَادِرَ جَسْدِيَّ :

– لن يراني أحد غيرك.. تمالك نفسك فيينا حديث طويلاً.. ولابد أن تكون بكامل تركيزك لسمعيه.

ثم أدار كامل وجهه في المكان وعيشه المتقلبان ثابتستان كمامتيين معلقتين في تجويف وجهه واستطرد بصوته العقلية الكثيبة، والذي لم يصل لأذني :

- وهذا المكان لن يصلح لإتمام الحوار.

ثم نهض كتمثال معدني ينفض عن عاتقيه غبار القرون، وتحرك نحو الحائط.. فبدا وكأن الحائط هو من يقترب منه، وقال كلمة واحدة جمدت

الدماء في عروقى :

اتبعني -

وكانما جسدي يمتلك إرادة ذاتية خاصة به، وجدت نفسي أزبح الغطاء وأخلع كل الإبر والخراتيم التي تصب سوائل الحياة في جسدي، ثم أتبعه بخطوات واهنة ثابتة نحو الحائط الذي اخترقه ببساطة وتبعه جسدي وأنا أتابع ما يحدث معي بذهول وكأنه يحدث لشخص آخر.

\*\*\*\*

كان الانتقال سلساً ومريحاً، فقط أغشى الضياء عيني للحظات قليلة، وعندما صفت الرؤيا كان ما رأيته مدھشاً.. لم يصطدم جسدي بالجدار الصلب، ولم أعبر خلاله إلى الممر المجاور للغرفة كما توقعت، بل عبرت من خلاله إلى عالم مذهل من الضياء والكائنات، وكان الجدار صورة وهمية لبوابة تقود عبر الأبعاد.

المكان كله عارة عن فضاء هائل زجاجي تتماوج فيه كائنات نورانية شفافة تتحرك في انسيابية عجيبة، منهكمة في أداء أشياء لا أدرى كنها بنفس حماس النحل الشغافل في الخلية.

لم يستوعب عقلي ما يراه للمرة الأولى، وتقلصت حدقتي من تدفقات الضياء التي توحى بعمل عظيم يُعجز لا أحيط به ولا أدركه، الأمر كله عجيب كأنني بقلب عالم رقمي ثلاثي الأبعاد مخلوقاته من مادة جيلاتينية حية ومتالقة تسبح في فضائها الخاص.. ومن خلال هذا العالم أشاهد العالم

الطبيعي الذي غادرته منذ لحظات، وكأنه صورة منعكسة على سطح بحيرة، وكأني بداخل فقاعة زجاجية بقلب الماء.

عقلاني المنهك لم يستوعب ما يحدث ولكنه لم يتوقف عنده، فقط عيني الفضوليتان كانتا تتطلعان لما يدور حولهما بذهول وانبهار.

- لأين يأخذني هذا الغريب !

تقدمني ذلك الشخص المخيف والذي تبدلت هيئته على الفور ليصبح جيلاتنياً مثل باقي المخلوقات المتواجدة في فضاء المكان، وتبعه وأنا أتابع بفضول تلك الهالة البنفسجية المتألقة التي أحاطت بجسدي كشمس متألقة، والتي ذكرتني بها لات كيرليان التي تحيط بالأجسام ويمكن رصدها بسهولة عن طريق أجهزة خاصة، وعن طريقها يمكن تحديد حالة الشخص النفسية حسب شكلها ولونها. وإن كنت أعتقد أن هذه الهالة تختلف وأنها نوع ما من وسائل الحماية، رداء من نوع خاص، يمكنني من الولوج لهذا العالم الغريب دون أن أصاب بالأذى.

نوع ما من أردية القضاء.. يحمي جسدي من التغيرات الكثيرة التي تحيط به في ذلك العالم الجديد.

احترق ذلك الشخص الغريب المكان دون أن يلتفت لي، وبخطوات طائر صغير يتعلم أولى حركات الطيران عبرت فضاء المكان. ثم حدث العبور الحقيقي.

## - الذين لا اسم لهم -

يقولون إن أشد ملوك الجن طرًا، هو ملك الجن الذي يسكن أرض المغرب، هو وقبيله لا حد لقوتهم أو جبروتهم.. لذلك ينتشر هناك السحرة كملح الأرض، ويمارسون كل فنون السحر دون مواربة.. فمنهم من يمارس السحر الأسود والكابالا، ومنهم من يمارس السحر الأبيض، ومنهم من يمارس الفنون المحرمة والآلاف يعملون في مهن مختلفة تخدم هذا الحقل.

إن المغرب هي أرض السحر في عصرنا هذا، والمغاربة أنفسهم يؤمنون بالجن لدرجة الهلع، فيطلقون عليهم لقب (هدوك) أي الذين لا اسم لهم. وبالنسبة لهم، فالجن كائنات تستوطن عوالم الخفاء الممتدة في كل مكان من حولنا.. و هم غير مرئيين بعيون البشر في الأحوال العادية لكن مع ذلك يمكن رؤيتهم - حسب المعتقد العامي - ليلاً خلال الفترة المتراوحة بين الساعة الحادية عشرة ليلاً والواحدة صباحاً عدا ليلة الجمعة التي هي لحظات ابتهاج عام يستغلها الجن للتسكع في عالمنا حتى صباح السبت.

ومن أجل حلولهم في عالمنا المرئي يضطر الجن إلى تقمص أشكال الحيوانات والحشرات فيتجسدون على شكل حمار، كلب، قطة، صرصور، فأر ولذلك يحذر المغاربة أن يقتلوه أو يلحقوا الأذى ليلاً بأي حيوان أو حشرة خصوصاً إذا كان كلباً أو قطأً أسود.

فللجن هناك مكانة عظمى، والتعامل معهم حدث شائع وهناك مئات التحقيقات الصحفية عنهم وعن العاملين معهم على الشبكة العنكبوتية لمن يريد مطالعتها، ومنها بعض المعلومات المذكورة هنا.

تعتبر عشيرة الفقها في المغرب هم أباطرة هذا العالم، فهم يصررون ملوك الجان لخدمتهم، ويأسرون القلوب ويسكون الأجساد ويعلنون حروباً مفتوحة جنودها "خدام الخواتيم".

منهم فقها يطيرون، وفقها يختفون في رمش العين، وتتنوع جنسياتهم، فمنهم حاخامات يهود، إسبان ويونانيون، أفارققة وخليجيون، وهم يسيطرون على العالم السفلي، في البيضاء والرياط ومرakens والصويرة..

الفرق بينهم وبين "الشوافات" و"الفقها" العاديين، أن هؤلاء يملكون مفاتيح أخطر باب يفصل بين مملكتي الإنس والجان :  
السحر الأسود.

أعمالهم تتجاوز قراءة الطالع واستطلاع الفال، إلى القيام بأعمال خارقة لا يصدقها عقل.

أعمال السحر التي يقوم بها هؤلاء "الفقها" تبدأ من "المحبة" وهي "الخدمة" التي يُرجى من ورائها جلب الحبيب وإثارته رغمًا عنه، وهذا النوع من السحر الأسود يشمل كذلك حل المشاكل العاطفية بين الأزواج من

خلال ما يعرف بـ"التهييج" وهو عمل يقوم على أساس تقويب المسافة بين الزوجين، لدرجة يستحيل معها أن ينظر أحدهما إلى غير الآخر.

قائمة "الخدمة" التي يشملها هذا النوع من السحر الأسود تشمل أيضًا معالجة الأمراض الجنسية والعمق إلى جانب طرد الجن المتلبس بأجساد الضحايا من الرجال والنساء كما يمكن لـ"الفقيه" أن يصرف قدراته الخاصة من أجل إزالة عقاب بشخص أو أسرة، وهو ما يتم عن طريق "التفاف" الذي يستهدف التعجيز الجنسي، أو "التراجم"، وهو حينما يسخر الساحر الجني الذي يكون "خدি�ماً" عنده لرحم بيت بالحجارة المتقيدة والنيران.

ولسحر الفودو نصيب كبير هناك أيضًا، يعتمد سحرة "الفودو" على الدمى لاعتقادهم بقدرتها على التأثير في الشخص الذي يرغب الزبون في سحره عن طريقها. يبدأ الأمر بإحداث المقصود بعمل السحر كما يعتقدون، ثم يبدأ الساحر في وخز مكان القلب بإبرة حادة ما يؤدي إلى إحداث آلام فظيعة للشخص المسحور على الفور.

وفي المغرب تقام أغرب محاكمات في التاريخ، أبطالها ملوك الجن وخاصة ملك الجن شمهروش، حيث يعتقد البعض بجدوى الاحتکام إلى الجن لحل ما يعانون منه من مشكلات، وفي المغرب يوجد في عمق جبال أطلس مقام لملك من ملوك الجن يتواجد عليه من ينشدون سماع حكمه.. وهو ضريح في "سيدي شمهروش"، ويقول الحاج أحمد، أحد القيمين على الضريح في

أحد تصريحاته لإحدى الصحف : نحن نتبرك بهذا المقام لأنه مقدس، وهنا توجد أكبر محكمة للجن".

أناس كثرا يتحلقون حول المكان، جلهم نساء، منهم من افترش الأرض ومنهم من جلس إلى طاولات مهترئة بالمقهى الوحيد بالمكان، وبين الفينة والأخرى تطلق الغربان التي تحوم بالمكان أصواتاً تنقبض لها الأوصال. وكان الأمر ينقصها هي الأخرى.

يعتقد زائرو المقام أن "سيدي شمهروش" وهو ملك ملوك الجن بحسب الموروث الشعبي المغربي، يقوم بنفسه بالبت في القضايا العالقة بين الإنسان والجن. ويضيف الحاج أحمد: "سيدي شمهروش جن حي وليس بالميت، وكما أن هناك محكمة للإنس، فهناك محكمة للجن".

أرى عيونكم تستنكرون هذا الإقحام للمغرب وجنه وشياطينها في الأحداث، ولكنني أعرف أنكم ستشكرونني في وقت لاحق على هذه المقدمة الطويلة نسبياً، لأن هذا المكان الذي أخبرتكم قصته هو المكان الذي وجدت نفسي فيه في وقت لاحق.. بعد أن عبرت خلف ذلك الشخص الغريب الذي لم أعرف بعد قصته.

القمر غائب والظلام دامس والضريح يبدو كنذير سوء، وأمامي عاد ذلك الشخص الغريب إلى هيئته الأولى الباردة الشفافة.

نعميب الغربان لا ينقطع، والغربان في القصص المماثلة تجسيد للشياطين.

السؤال هنا : لماذا هذا المكان ؟!

من يهتم بتاريخ الجن والسحر سيرجده المغاربة غارقين في ذلك العالم المخيف حتى الأذنين، الدولة تحارب الأمر والشرطة لا يمر يوم دون أن تقوم بالقبض على العديد من السحرة النصابين، هؤلاء السحرة هم الإفراز الطبيعي لسيطرة تلك الخرافات على عقول الناس هناك، لن نقول البسطاء، لأن المتعلمين والصفوة يلجهنون إليهم أيضاً، فقط النصابين والمبتدين يسقطون في يد الشرطة، أما الكبار فهم بمعزل عن كل هذا العبث، لهم مكانتهم وسلطتهم.

والصفوة من الكبار الملمين بتاريخ المكان يعرفون أن هناك سرًا قديمًا رهيباً، يختبيء في عمق جبال أطلس، سرًا لم يعد هناك من يتحدث عنه.

من يعلمون عن هذا السر لا يتعدون أصحاب اليد الواحدة.. والمعرفة لا تتعذر الصدور.. ولن تتعداها.

تجسدنا نفسه لم يكن طبيعياً، لقد تجسدت أنا وذلك الغريب في مستوى غير أرضي.. يمكن أن نسميه بُعد آخر ومن الممكن أن نطلق عليه لفظ الممر.

لحظات من عدم الفهم لاحقتني، وفي لحظة ما لم أكن أدرى أي شيء عن المكان، وفي اللحظة التالية أصبحت أعرف كل شيء، ليس كل شيء ولكن التاريخ الذي يعرفه العامة والدارسين.

نحن الآن بأعمق سلسلة جبال أطلس الهائلة، التي تمتد من المغرب إلى الجزائر ثم إلى تونس وتنتهي منحدرة نحو المحيط الأطلسي.

يعزي البعض تسميتها أطلس كما في الميثولوجيا الإغريقية إلى أحد الآلهة الوثنية أطلس والذي يحمل قبة السماء على عاتقيه كعقاب أبدى من سادة الأوليمب. ولكن بعيداً عن هذا الجو الوثني يشير أيضاً أحد الباحثين المهتمين بالميثولوجيا الأمازيغية "حفيط خضيري" أن كلمة أطلس كلمة محضة ذات علاقة مع الظواهر الطبيعية وهي كلمة مركبة بالنطق الأمازيغي "antel+as" أي مقبرة الشمس، وقد يدّعى كان البشر يبعدون الشمس ويعتقدون أنها تعود إلى المغرب كموطن يدعى مملكة الموت أو أرض الله.

ويذهب الدكتور "أحمد الهاشمي" أستاذ الطبوبيمية بجامعة ابن زهر بال المغرب إلى احتمال أن يكون أطلس أصله "أدلاس" الذي يجمع في صورة "تيدلاس" التي تتجز في صورة "تيلاس" أي الظلمات، وذلك بالمقارنة الصوتية بين الدال واللام وإدغامهما؛ فيكون معنى صيغة "أدلاس" المظلم، وهذا ما يفسر تسمية الجغرافيين العرب القدماء للمحيط الأطلسي ببحر الظلمات.

"توقف عن صب المعلومات في رأسي توقف، من أنت وماذا تريدين مني؟".

خرجت هذه العبارة من بين شفتي بصعوبة، بعد أن شعرت أن عقلي سينصهر، إن ما يحدث لي كثير جداً، لا يمكن أن أخرج من جحيم إلى آخر دون أن أعترض، ثم ما شأني أنا بجبال أطلس وجنها وشياطينها وسرها المظلم.

## تردد الصوت المقبض في عقلی :

- إن المعرفة حمل ثقيل ولا بد من تهيئتك قبل أن تخوض في بحارها الملاطمة، من يعرف ليس كمن عرف.

قاطعته صارخاً :

- اقتلني إذن كان هذا غرضك في النهاية.. اقتلني ودعني أستريح .. لا أريد  
أن أعرف أي شيء .. لا أريد.

عاد الصوت أكثر تجھماً ليصدم حواسی :

- كل شيء بدأ من هنا.. وكل شيء يجب أن ينتهي هنا.

هطلت دموعي علي وجهي كالمطر وقلت :

- اقتلني، اذن.. عجل، بنيها بيتي.. أو أطلق سراحه، وامنحني الحياة.

الصوت الكئيب يجلىد (وحى) :

- من قال أننا من سمنحك الحياة.. أنت المختار.. أنت من سيمنح الحياة للجميع.. أنت من سيعيد التوازن.. لقد اختارتك الأقدار.. لمنع الظلم من أن يبعث من جديد.

الآن أصبح عقلي كالهلام، كل حديث الغريب لا يصفوا على معلومة واحدة مفهومه، كلامه يبدو كنبوات العرافين، يحاول أن يمنعني مكانة ليست لي، يحاول أن يقنعني بكوني المنقذ لا الضحية، الغيوم كثيفة، وعقلي يذوب والشخص الغريب لا تعبر ملامحه الباردة عن شيء.

أعتقد أن قلبي سيتوقف.

وسينتهي كل شيء الآن.

سأنهيه بيدي.

ولكن فقط فليحط الظلم بي لأمترج بليله المدلهم.

\*\*\*\*

- توقف أيها الأحمق.. توقف..

الصوت يصفع عقلي.. صاعقة مؤلمة تجتاح جسدي.. وجه الشخص الغريب يتبدل إلى وجه كائن نوراني شديد البهاء ولكن قسماته تعبر عن غضب عاتٍ.

- توقف أيها الأحمق توقف.. أنت هنا في عرين ملك الجن.. وهنا تتحقق  
الأمنيات السيئة.. اطلب الحياة.. لا تطلب الموت.

عقلي كصندولق مغلق، لا أفهم ما يحدث من حولي ولكني أنصت لصوت  
الغريب، لا أعرف ما أريد.. فأستجيب لما يريد.

- الحياة.. الحياة.. الحياة..

صاعقة مؤلمة أخرى.. ثم عاد لي وعي.. وشعرت بفزع ثم بغضب عاتٍ من  
نفسي.. كيف استسلمت لذلك الجانب المظلم من روحي.. كيف  
استسلمت لنداء الموت.. كيف توحدت مع الظلام.

الصوت المقضي من جديد :

- الآن أنصت جيداً لتعرف ما يدور حولك، الآن أنصت جيداً.. فالمعروفة  
نصف النصر.. سآخذك معي في رحلة عبر التاريخ والزمن، والشيء الوحيد  
الذي أطلبه منك ألا تقاطع.

قطعته هذه المرة وأنا أنوي أن تكون الأخيرة، لذلك لم يغصب :

- ما هذا المكان؟!

دوى صوته الثقيل في عقلي :

- هذا المكان هو كهف الأمنيات، أنصت جيداً، ولن أبخل عليك  
بالمعرفة.. ففي قلب هذا الكهف ولد الظلام والشر..

## - كهف الأمنيات -

وضع الشخص الغريب يده على رأسي فشعرت بملمسها البارد للحظات، قبل أن ترتفع درجة حرارتها لدرجة غير محتملة فهزّت رأسي، عندما لم أشعر براحة، فدوى صوت الغريب في رأسي دون أن يمر بأذني كالعادة :

– لا تقاوم ودعني أريك كل شيء.

لم أكن أنوي المقاومة، أو القيام بأي رد فعل، وكدليل على استسلامي، أغمضت عيني، وتركت جسدي ليسترخي، فانخفضت درجة حرارة قبضته، وفي اللحظة التالية كنت هناك.. في اللحظات الأولى لميلاد الظلام.

الآن أنا والغريب طيفان يسبحان في فضاء الكون المدلهم الخالي من الجوم..

ألم تولد السجوم بعد ؟ أم أنها تخجل من الإعلان عن نفسها كي لا تبدد جلال المشهد !؟!

نقترب حشيشاً من تلك الكرة الزرقاء المتألقة المسماة الأرض، والمعلقة في قلب الفضاء السرمدي. كماسة هائلة تحتضن القمر.

أشعر بدرجة هائلة من التحرر، الكون كله يضمني بذراعيه. بل أنا الكون الذي يحتضن كل الأشياء.

أين الطريق إلى السماء ؟!

عيناي تمسحان كل شيء كرادار هائل، ولكنهما تظلان معلقتان بتلك الكرة الساحرة التي تزداد في الحجم والتألق في كل لحظة.

من هذا المكان لن تعرف اتجاه السماء الأولى التي تفصلنا عنها مسيرة خمسمائة عام كما ذكر في الكتب الدينية..

فهنا لن تعرف الاتجاهات الصحيحة.. لن تعرف أين يوجد الأعلى وأين يوجد الأسفل، فالظلام دامس لا يجرحه إلا بريق كرتنا الأرضية.

المشهد مبهر، وكلما اقتنينا من الأرض أكثر كلما تبدل المشهد وأصبحت الأحزمة الضوئية أكثر وضوحاً.

عيناي منبهتان وكأننا نتحدث عن زحل بحلقاته المتألقة.

كوكب الأرض يظهر أمام عيني في صورة لم أعهد لها من قبل حتى في أشد صور ناسا وضوحاً، وكأنه منشور زجاجي يقسم الضوء من حوله إلى سبعة ألوان.

كل لون يعبر عن عالم كامل بكافة ما به من مخلوقاته وكائنات.

هذا سر جديد يفتح لي الكون عنه.. يهمس به في أذني.. يداعب به معتقداتي وأحلامي.

لا يوجد سبعة كواكب كالأرض.. ولكن توجد سبعة أراضي، تحتل نفس الموقع والمكان ولكن في أبعاد ذات ذبذبات مختلفة.

صوت علوى يهمس.

لست وحدك أيتها الكائن المغفور من يقطن هذا الكون، هناك مخلوقات أخرى تحيا بجوارك، لصيقه بك، ولكن رحمة الخالق هي ما تجعل بينها وبينك حجاب، لأنك أقل قوة مما يصوّره لك غرورك.

السموات سبع والأرض مثلهن.. الأساطير تحدثت عن الأرضي السابع، والكتب السماوية ذكرتهن صراحة، حكايات الشعوب والأساطير لم تخلو منها. وأنا الآن أراهم وأوقن بوجودهم..

لقد عرفت جزءاً من السر.. دائمًا ما يبحث الإنسان في اتجاه خاطئ.

صوت الشخص الغريب يتعدد هذه المرة بداخل عقلي ولكن دون أن أشعر بأي مشاعر مقبضه.. إنه حيادي تماماً هذه المرة :

صمت للحظات ثم عاد واستطرد :

- في هذا الزمن الذي لم ترصده كتب التاريخ، وفي تلك الفترة التي سبقت ظهور البشر أغرت الدماء الأرض، كل الدلائل تشير إلى حرب رهيبة سُفك فيها من الدماء ما يكفي لصنع محيط آخر بجانب المحيط العملاق، الذي تسريح بداخله القارة الوحيدة التي تشكل اليابسة على كوكب الأرض.

قبائل الجن المقاتلة منهمكة في حربها الضروس، من أجل إثبات قوتها، وفرض سيطرتها على عالم الجن بالكامل.. حرب رهيبة يستخدمون فيها كل

أنواع الأسلحة من سيف ورماح ومنجنيق كأسلحة عادية، وأسلحة التي تعتمد على السحر من تسخيرهم للرعد والبرق والرياح، وسيطربتهم على الحشرات والحيوانات والطيور، حرب جهنمية لا رحمة فيها ولا هوادة.

اشتركت في الحرب كل قبائل الجن، سواء من يعيش على البر أو في البحر أو من يطيرون.

استمرت الحرب لفترة طويلة من الزمن، غرفت فيها الأرض بالدماء، ومع الوقت مالت كفة أحد الملوك على الآخر، وهنا بدأ الأمر يأخذ منحىً مخيفاً.

أحد المردة وهو في نفس الوقت ملك جيش الجن الأحمر المفترس، شعر ببواخر الهزيمة بعد مقتل قائد جيشه وفناء ميمنته، فقرر أن يكسر العهد، وأن ينتزع النصر من بين فكى الهزيمة، فلا عهد في الحروب.

اجتمع هو وكهنته وسحره مملكته وقرروا إما النصر أو يهدمو المعبد على رؤوس الجميع.. واتخذوا القرار الرهيب.. وقرروا فتح الفجوة التي ستمنحهم السلاح الخارق الذي سيستطيعون عبره.. إنهاء الحرب وإعلان نصرهم..

الدماء بالخارج تصبّغ كل شيء، حتى أن النهر القريب تحولت مياهه لللون الأحمر القاني.. وبالداخل يقوم الجنود بذبح ألف أسير لإتمام التعويذة..

لم أستطع المقاومة فقاطعت تدفق الأفكار متسائلاً :

- ينذرون.. الجن ينذرون.. أليسوا مخلوقات نارية.

الغريب مستاء بقطع حدسيه ولكنني يجيب عليها :

- نعم ينذرون.. أنت خلقت من الطين.. وتنزف.. ليست العبرة في المادة الأولية.. العبرة بالشكل النهائي.. الجن يأكلون ويشربون ويخرجون، ربما يختلف طعامهم عن طعامكم ولكنهم يأكلون مثلكم، و تسري الدماء في عروقهم وأجسادهم الأكثر مرونة وشفافية، أنت فقط تذكر لأنك لم تُحط بالأمر علماً. كل المهتمين بهذه الأمور في عالمك يدركون هذه الحقائق.. أنصت ولا تقاطعني حتى أنهى وسأجيب عن أسألك دفعة واحدة .

حاولت أن أستوعب هذه المعلومة الجديدة، واستعدت من ذاكرتي صورة جنبي المصباح وجني الخاتم وجني الزجاجة وجني القمقم، لا يمكن أن يكون لهؤلاء المردة عروقاً تسيل فيها الدماء.

نفضت الفكرة عن رأسي ثم تابعت.

- يدرك ملك الجن الأحمر أن هزيمنته أمام غريميه لن تعني مجرد الاستسلام والعيش في الذل كعبد بعد أن كان ملكاً، إن للملوك معاملة خاصة الموت بجوارها نعيم دائم.

وهو لا يمكن أن يسمح بأن يُسجن في كهف الأمنيات.

الزمن لا يتحرك هناك.

عذاب أبدي غير محتمل.

كما أن نفسه لا تصور له الهزيمة.. ربما كان جنوده ضعفاء.. ولكنه ليس كذلك.. إنه الملك..

الغورو الممترج بالخوف أقنעה أنه يستطيع أن يسيطر على هذه المخلوقات القاتلة بعلوته وسحره، ولكن بعض الكهنة شككوا في الأمر.. إن قصة مدينة الجن التي فنت في يوم وليلة على يد هذه المخلوقات المتتوحشة لازالت ماثلة أمام أعينهم..

ولكنه لم يكن ليسمح بفتح باب النقاش في مثل هذا الوقت العرج..  
لقد اعتبر نقاش الكهنة خيانة عظمى.. وها هو رمادهم الملتهب يدل على أنهم نالوا ما يستحقون.

وها هو يقف كجبل عملاق في قلب المعبد.. عيناه الحمراوتان تتألقان ببريق مخيف.. والدماء الغاضبة تغلي في عروقه.. فبرغم الهزيمة التي تلوح في الأفق.. إلا أنه قادر على هزيمة الجميع..

تطلع الملك حوله في جذل.. إن كل الأمور تسير كما هو مخطط لها، إنه قادر على فعلها، ومن عينيه انتقل شعور مخيف إلى أجسام الكهنة

والسحرة.. فأخذوا يرتجفون وهم يتبعون، مئات الجنود وهم منهمكون في سفك دماء الأسرى من الجن الأزرق.

الدماء المتدفقة أخذت تسير عبر مجارٍ خاصة صنعها كبير السحرة بأن لامس بطن الأرض بطرف عصاه حتى انتهت إلى المذبح، لتصب بقلب إناء صخري هائل الحجم.

وعندما انتهوا من تصفيية دماء آخر الأسرى، بدؤوا المرحلة الثانية.

فالتعويذة تحتاج لوقت محدد كي تستطع الكلمات أن تأتي بمحضها، ولكن الوقت ليس ملكهم، فلا بد لهم من هزيمته..

وما لا يصلح بالسحر، يصلح بالعلم.. العلم سيختصر الزمن.. والوسيلة متوفرة ولكنها خطيرة.

ويرغم أن استخدام تلك الوسيلة مجازفة وقد تسبب في مقتل الجميع، إلا أن سيفون الجنود المسلطة على أعناق الكهنة، جعلتهم يبدون على الفور. ساعة الوقت الرملية تلتهم الدقائق وال ساعات والأيام. وتلتهم من أعمارهم سنوات ثمينة.

ثلاثة عشر شمساً ولدت ثم ماتت في دقائق معدودة، وعشرون سنوات كاملة فقدتها كل من حضر التجربة.. ولكن الملك ما زال شاباً ولن يهتم بهذه الفترة البسيطة التي سيفقدتها من عمره.. المهم أن يتحقق له النصر.

إنه مازال مقتنياً أنه قادر على فعلها.. أو هكذا هيأ له غروره.  
.. وفي النهاية تحقق الأمر.

وخرجت تلك المخلوقات المتوحشة من عالمها المغلق، وزادتها الشمس  
المباشرة قوة وشراسة.

وحدثت المجذرة..

وبادت الآلاف من قبائل الجن والنباتات والحيوانات، ومخلوقات الماء  
والبر والجو.

الجحيم فتح إحدى بواباته على الأرض..  
وكان أول من التهمه هو الملك وجنوده وكهنته وسحرته.  
وتوقفت الحرب..

وكنا نحن من بعدها المتطرف نتابع ما يحدث..

الجن سيهزم لا محالة.. لقد فسحوا بوابة الجحيم وعبر عبرها ألف مخلوق،  
قضى منهم في الحروب مائة وتبقى منهم السواد الأعظم، ثم بدءوا في  
السيطرة على ملوك الجن بأن احتلوا أجسادهم.

سيطروا عليهم جمياً إلا ملك الأرض الوسطى، أقواهم والذي استطاع أن  
يوقف زحفهم، وإن لم يهزهم.

وقرنا نحن مساعدته.

ولكي يهزم تلك المخلوقات الشيطانية التي أثارت الفزع في قلوب الجن..  
كان لابد من الخديعة، ولا بد من جرهم إلى كهف الأمنيات، تلك اللعنة  
التي تركها خلفه ملك الظلام كما كانوا يطلقون عليه، وهو أحد أقوى الملوك  
في تاريخ الجن والذي بلغ من القوة شأنًا رهيباً جعل كل القبائل تنظر له  
على كونه نصف إله.. بل إن بعضهم توجهوا له بالعبادة بالفعل..  
هذا الملك لم يهزمه أي شيء على وجه الكون، ولم يردعه مكان أو مسافة،  
ولكن هزمه الزمن.

و قبل أن يموت قرر أن يصنع جحيمه الخاص على سطح الأرض، فصنع  
كهف الأمنيات، وعن طريق السحر الأسود استطاع أن يرغم الجميع على  
دخوله، وهناك يختار كل منهم وسيلة لموته وساعة محددة يتحققها الكهف.  
لقد قرر أنه عندما يموت.. سيموت معه نسل الجن بالكامل من كافة أنواعه  
وقبائله..

ولكن قبل أن يموت يجب أن يعاقبهم لأنهم خذلوه ولم يمنحوه الخلود  
والأندية..

ما لم يعرفه الساحر أن التعويذة تكسر بموته..  
لذلك مات الآلاف قبل أن تكسـر اللعنة، ومن نحوـا من هذا الفخ  
الشـيطاني، قرروا أن يصبحـ هذا الكـهف وسـيلة جـهنـمية للـعقـاب.

فأنت بداخله تتعدب حتى تخثار ساعة موتك، وتظل تتبع الدقائق التي تتسرب من بين يديك ثم تموت بوسيلة بشعة يختارها لك الكهف.  
الآن أصبح الكهف هو الأمل.  
كهف الأمنيات التي لا تتحقق.

\*\*\*\*\*

بلغونا استطعنا أن نعاون الجن على الإيقاع بهذه المخلوقات الشيطانية، واستطعنا أن نسجّنهم في أعماق الكهف.. ولكن لأسباب لا نعرفها ظلوا جمِيعاً هناك.. في حالة عجيبة لم يعرفها الكهف من قبل.  
لا أمواتاً ولا أحياءً.

حتى الزمن توقف بالنسبة لهم..

فقط هم هناك ينتظرون اللحظة التي يتحررون منها.. ليتقموا.

ما تلى ذلك هو سر كوني عظيم لا أستطيع أن أخبرك به، ولكن بقت نقطة أخيرة يجب أن تعرفها لتكتمل عنك الصورة. وهي إجابة السؤال الذي يحيرك منذ البداية.. ما علاقتك بكل هذه الأمور؟!

- إن نسل جدك يعود لآلاف السنين.. يعود لنسل ساحر عظيم الشأن اختفى دون أثر في عصره بعد أن هيأ لمن بعده علمًا عظيمًا استطاعوا بواسطته أن يكملوا مسيرته..

فكل سبعة أجيال يظهر في نسلكم ساحر، وجدك كان السابع لأب فقد ستة من أبنائه، لذلك نال ذلك الشرف، ولكن للأسف استطاع أن يصل بعلمه إلى تلك التعويذة التي تمكّنه من استبعاد الجن وذلك عن طريق تلك المخلوقات الشيطانية التي كادت تُعْنِي الجن في العصور الغابرة.

فالمعتاد أن الجن يقيم معاهدة مع الساحر، هذه المعاهدة تضمن للساحر أن يطيعه الجني أو الشيطان الذي سيطر عليه في بعض الأمور دون الأخرى، لأن طبيعة الجن والأرواح الشريرة هي الكذب وهذا النوع من السيطرة لم يكن ليشبع رغبات جدك.

وعندما استعان بصديقه الشيخ تهامي وقاموا باستحضار أحد أشر مردة الجن، كانوا يريدان السيطرة الكاملة، فعاقبا الجني بالكي بالحديد والنار والرصاص المصهور، فأضمر لهم هذا الجني الشر، وأنه كان يريد الانتقام منهما ومن جنسهما، فباح لهما بسر هذه المخلوقات وطريقة الاستحضار، متوقعاً أن يجعن الشيخ ياسين وصديقه أو يموتاً كما حدث مع المئات من قبل فيتحرر من قبضتهما، ولكنهما للأسف نجحا في استحضار المخلوق الشيطاني، وقاما باستبعاد تلك الشيطانة، التي منحنهما القوة والقدرة على الانتقال فجأة الشيخ ياسين العالم كله، وترك في كل مكان زاره علامه لا تحظّها العين، ضريح يعتقد زائروه أن جسده بداخله، يؤمه المئات الذي آمنوا بقدراته طلباً للبركة.

شيء واحد فقط كان يقض مضجع جدك وهو العدو الذي لم يهزم أبداً،  
الزمن.

جاب جدك العالم ثلاث مرات، مسح قاع البحار والمحيطات، استكشف  
آلاف الكهوف، استخرج من باطن الأرض مئات من الكنوز، قتل كهنةً  
ورجال دين وعدب نساءً ورجالاً وأطفالاً، حتى وصل للتعوينة التي ستمنحه  
الخلود، ولكنه حصل عليها متأخراً جداً.

بعد أن هدم الزمن من صروح قوته الكبير، ولكن غروره هيأ له أنه سيستطيع  
أن ينهي الأمر، وبالفعل وبمساعدة صديقه استطاع أن يتم الأمر واستحضر  
مخلوقاً آخر.

مخلوقاً قديماً..

مخلوقاً يعرف أنه ليس وحيداً في هذا العالم، وأن هناك من جنسه المئات  
يتظرون أن يفك أسرهم من قبضة كهف الأمنيات.

ومات جدك وترك هذا المخلوق خلفه ليعيش في الأرض فساداً.

ورأى حكمائنا أننا لا يجب أن نترك الأمر ليتفاقم ويجب أن ينتهي قبل أن  
يبدأ لأن الأرض الآن تغص بالبشر والضحايا هذه المرة سيكونون  
بالمليارات، خاصة لو قررت هذه المخلوقات احتلال أجساد قادة الدول  
وقرروا أن يشعروا حرباً نووية، ستحرق الكوكب وتغبيه في أبعاده السبعة.

لذا يجب القضاء على هذا المخلوق الشيطاني قبل أن يتفاهم الأمر،  
والجدير بالذكر أن هذا المخلوق الآن ليس حراً تماماً.. هناك شيء ما  
يأكله.. هناك خيط يربطه بك وبهذه الشيطانة التي استعبدتها جدك من قبل  
وأنت ترید التحرر.. أنتم أطراف المعادلة.. لو قضى عليكم، لامتلك حریته  
ولأطلق أقرانه الذين يحملون بداخلهم حقد القرون.. و ساعتها لن تكون  
هناك قوة كافية في الكون لردعهم.

انصهر عقلي عدة مرات ومرات، وأعيد تشكيله ألف مرة مع هذا القدر  
المفزع من المعلومات، وبداخلني تسلل يأس قاتل.. وعرفت أن النهاية قريبة  
جداً.. وأن ما رأيته في جحيم تلك الشيطانة.. كان نزهة مقابل ما سأراه في  
الأيام المقبلة.

## - لقاء فوق العادة -

انتهى الشخص الغريب من قصته، فسحب يده من فوق جيئتي، ومعها شعرت بأن روحي تُسحب وتسحق للحظات قبل أن أستعيد توازني وأحساسني بكل شيء، مع شعور عارم بعدم الراحة يغتال كل لحظة ثقة شعرت بها في حياتي.

المعرفة نصف النصر ونصف الهزيمة أيضًا.. فكل المعلومات التي منحها لي الشخص الغريب أشعرتني بشيء واحد فقط.

الضياع.

لا يمكن أن تتحول مغامرة بعض المراهقين لكل هذا الهول. ما ذنبي أنا أن جدي ساحر زنيم يعقد معاهدات مع الشياطين؟ لا يمكن أن أكون قد اقترفت ذنبًا بهذه البشاعة ليكون كل ما يحدث هو عقابه !

- لا تستسلم لوهنك.. فأنت أقوى مما تعتقد في نفسك.

دوى صوت ذلك الغريب بداخل عقلي ولكنني تجاهلتة.. كنت أتمنى لو أني أملك من القوة ما يكفي لكي أكسر عنقه ليصمت إلى الأبد، ثم أبدأ الركض حتى أصل لنهاية العالم وأختبئ هناك.

- لا أحد يهرب من قدره.

صرخت في غضب :

- ولماذا أنا !؟

الإجابة المستفزة :

- لأنك أنت .. هذا قدرك.

غابتني الدموع فانطلقت أبكي، حتى جفت كل منابع الدموع في جسدي، وإلى أن هدا روعي.

صمت ذلك الشخص الغريب جعلني أتأمل كل شيء من جديد.. حفأ الدموع نعمة أخرى لا نقدرها حقها.. إن تأثيرها كالسحر وربما لو لم تخلق الدموع لانهار البشر من الضغوط ، التي لا وسيلة مثالية للتنتفيس عنها إلا البكاء.

جافت وجهي من أثر الدموع ثم تلعلت حولي، مازلتني في الحالة الطيفية أو الشبحية بقلب جبال أطلس في المغرب، حيث يقع كهف الأمنيات والذي يحتوي بداخله على قرابة ألف من الكائنات الشيطانية الحاقدة، التي يخشى السحرة مجرد ذكر وجودهم، وفي خلفية المشهد هناك شيطانة من الجن تطاردنا، ويطاردنا جميعاً مخلوق شيطاني جهنمي، جبت فطرته على الدمار والإيذاء، وبجواري مخلوق عجيب من بعد آخر لا أعرف إن كان صادقاً في مساعدته لي، أم هو جزء من تلك المؤامرة الكونية التي تحاك من أجل فناء البشر.

الشيء الوحيد والمؤكدة.. أني خائف.. خائف إلى أقصى درجة.

ساد الصمت بينما لدقائق معدودة قبل أن أقطعه متسائلاً :

- إذن ما هي الخطوة التالية؟!

- الانتظار.

- الانتظار.. انتظار ماذا؟!

- سماح.. أو من تعتقد أن اسمها كذلك.

- هل جنت.. إنها أحقر مخلوق في الكون على هلاكي !

- التوايا تتبدل من لحظة لأخرى !

- هل قررت التضحية بي؟!

- كف عن حماقاتك.. إنها قادمة وستخبرك بكل شيء.

رد الفعل التالي كان مفاجئاً حتى لي أنا شخصياً، فما أن انتهت من جملته حتى انفضت كلية غاضب وهاجمته في عنف.

المفاجأة التالية كانت لي.

فعندما هاجمت الشخص الغريب توقعت أن تناول منه قبضتي، إن جسده يبدو أقوى وأوفر صحة، ولكنني على الأقل كنت سأصييه بعض الأذى.

المفاجأة التي تحدثت عنها، هي أن قبضتي قد طاشت لأنها لم تجد ما تصطدم به. ليس لأنه تحرك ولكن لأن قبضتي عبرت من خلال جسده.  
إنه ليس هنا.

إنه صورة خادعة.

إنه..

- توقف عن حماقاتك.. إنك تفكك بعقل محدود.. ليست كل قوانين عالرك تنطبق على العالم الأخرى.. دع عنك ضيق الأفق والغضب والهمجية.. فالساعات القادمة حاسمة.

لم تهدئ كلماته من ثوري وغضبي ولم تمنعني السلوى.. إنني أشعر بكوني وحيداً في مقابل كل شرور العالم، حتى إني لا أستطيع أن أمنح أي شخص الأمان.

إن الأمر يتتجاوز كل قدراتي.

- لابد أن تبدأ في بناء جسور الثقة بيننا.. لو أردت إيذاءك لكان من اللحظة الأولى وأنت واقع بين براثن الغيوبة..

قالها ثم اقترب مني بهدوء للامس كفه رأسي قبل أن يستطرد :

- الخوف ليس شيئاً تخجل منه.. فلكل منا مخاوفه.. يجب أن تؤمن بنفسك أولاً.. كي تؤمن بالآخرين.. الخطر المحدق بنا جميعاً يلزمنا بأن

نحكم العقل.. إنني هنا لمساعدتك.. هيئتي هذه هيئة مصطنعة لأنك لن تتحمل أن ترى هيئتي الحقيقية، كما أن وجودنا هنا في هذه المنطقة من جبال أطلس ليس بشكل عشوائي، إننا في نقطة كونية محايدة، هذه النقطة تسمح لي ولكل ولسماح باللقاء دون وجود أخطار.. كل منا يحتل بعدهاً خاصًا.. كل منا لا يستطيع إيذاء الآخرين.. أنت أيضاً لست هنا بجسدي.. ولكن عقلك المحدود لا يمكن أن يستوعب الأمر.

إننا جميعًا هنا ولسنا هنا ولكن العلم هو من يحكم المسألة وليس السحر.. فدع عنك انفعالاتك.. وقبل الأمر.. نحن نريد مساعدتك.. لأننا بهذه الطريقة سنساعد أنفسنا.

لا أعتقد أن حديثه هو ما ألقى السكينة في روحي.. إنها لمسته..

ولكن كيف أشعر بلمستك وأنت غير موجود؟!

- أنا أخاطب عقلك بعلم متقدم عندي.. فدع عنك قناعاتك واستعد.. فسماح ستصل بين لحظة وأخرى.

أعرف جيدًا هذا الأسلوب، لقد قرأت كتابًا كثيرة وروايات أكثر، إنه يستخدم اسم سماح ليجعل الأمر أكثر تقبلاً وحميمية.. إنه واهم.

إن اسم سماح لن يجعلني أكثر هدوءًا.. فهذه الملعونة هي من بدأت الأمر وهي من جعلتني أفقد أحد أصابعي.

نظرت ليدي فوجدت أصابعي مكتملة.. يبدو بالفعل أن كلام الشخص الغريب حقيقي و ..

قطع استغرافي ذلك الصوت الذي كرهته والذي لا يختلف عن نعيب اليوم والغريان :

- هل كنت تبحث عن هذا؟!

وفي اللحظة التالية وجدت إصبعي المبتور في يدي فصرخت في غضب وعندما هممت بالانقضاض عليها دوى صوت الشخص الغريب في حسم :

- توقفا عن العبث.

وفي الدقائق التالية دار أغرب حديث في الكون.

\*\*\*\*\*

فجأة، غمرت السكينة روحني، وتلاشت وحشتي، وشعرت بتغيير هائل في كياني، لم يعد هناك غضب، لم يعد هناك نرق.. هناك قناة اتصال فائقة تنشأ بيننا، هناك دفقات من الدفء تلامس أرواحنا.. لقد توحدنا.

لا أعرف كيف أفسر الأمر حقاً، ولكن كل الضغائن اختفت بمجرد أن بدأ الاتصال، وكأن عقولنا توحدت وخلايانا اندمجت فصرنا كياناً واحداً.

شعور واحد فقط ظل مسيطرًا عليّ لفترة رهيبة.

الانهار.

ما أروع هذا الاتصال.

الحقيقة أن ما دار خلال الساعة التالية كان مدهشاً، فتخيل معي الموقف بالكامل.

ثلاثة مخلوقات من عوالم مختلفة يجتمعون بالقرب من فخ كوني رهيب يتباحدثون في الوسيلة التي عن طريقها سينقذون العالم وأنفسهم.

الشيطانة لم تكن كتلة من الشر الخالص.. بل هي كائن حي.. يحيا ويتنفس ويتبادل المشاعر.

اللعنة على ثقافة الاختلاف.. كل من ليس يشبهنا سيء وشرير.

حدishi معها بدل هذه الصورة المخيفة.

الجان مخلوقات اجتماعية كأي مخلوقات أخرى.. تشعر وتتألم وتشور وتغضب وتحب وتكره.. ليس ذنبها أن هيئتها التي تراها هي كاملة ينفر منها العقل البشري.

الشيطانة تحولت بعد لحظات لجية وسماح تحولت إلى نائلة بنت ملك الجن الأحمر.. أو إحدى بناته التي لا يعرف عنها شيئاً كعادة الملوك متعددي العلاقات..

الجن مجتمع فيه الصلاح والفساد ولا أحد بداخله معصوم.

نائلة.. تتحدث بمشاعر هائلة متوهجة كاسحة، إنها ضحية وليس  
الجلاد.. خمسون عاماً من الاستعباد.. خمسون عاماً بعيدة عن وطنها..  
خمسون عاماً بعيدة عن طفلها لا تعرف عنه شيئاً ولا يعرف عنها شيئاً.. إنها  
شيطانة من عالم الجن ولكنها أنتي رغم كل هذا.

لقد أختطفت من عالمها وظلت تحت التهديد والعقاب لخمسين عاماً  
كاملة.. تحلم في كل يوم بالتحرر واللحظة التي ستغادر فيها عالم البشر  
بكل شروره.

إنها تُقسم أن الشر الذي عاصرته في قلوب البشر يفوق أي شر آخر. وأنها  
كانت مجبرة على الإيذاء. وأن خوفها من المخلوق الشيطاني هو ما جعلها  
تلجاً إلى سادة الظلام في عالمها.

إنها مخلوقة ضعيفة ب رغم كل شيء.

حمدت الله أنها لم تتجسد بهيئتها الحقيقية وإلا لما صدقتها لحظة.

الغريب لم يفصح عن شيء.. هو فقط مخلوق من بعد آخر يريد إنقاذ  
عالمه من دمار محتمل.

خلاصة اللقاء أن هناك وسيلة للقضاء على المخلوق.. وهذه الوسيلة  
موجودة بقلب كهف الأمنيات.. إنها نفس التعويذة التي أستخدمت للسيطرة

على المخلوقات الشيطانية منذآلاف السنين، وهي مدونة على رق من جلد البشر، وهو محفوظ بداخل الكهف.

الجميل هنا أن الوحيد القادر على الدخول إلى الكهف.. هو أنا..

لماذا؟!

لأن هذا قدرى..

أو لأنني أحمق بما يكفي.

## - الرق -

الجبال على مدى البصر، سيف من الصخر يخترق المدى، وينتهي عند ساحل المحيط الأطلسي، وأنا بينهم كنملة صغيرة تعتقد أنها قادرة على فعل المستحيل.

توبقال.. أعلى قمم جبال أطلس..

توبقال.. حيث يتظاهر الظلام اللحظة المناسبة ليسود..

توبقال.. حيث البرد والصقيع يغمران كل شيء..

توبقال.. حيث قدر لي أن أكون.

الثلوج فوق قمة الجبل تمنح المشهد رهبة إضافية.. كتل الملابس الثقيلة التي أحاط بها جسدي تجاهد كي تبقيه دافئاً، والرياح لا ترأف بضفي.. وتکاد تجمد الدماء في عروقي.

أتحرك بصعوبة عبر الممر الصخري المهمش، وجسدي يشن من البرد متوقعاً انهياراً جليداً يدفنني في مكانني في أي لحظة. لا أعرف كيف وافقت على الخوض في الأمر. أين ذهب خوفي وروعي؟! أين ذهب غضبي؟!

هل سيطروا على إرادتي بسحر ما، أم أنهم حفروا غروري ونرقني.

إن الغرور هو الفاجعة الكبرى التي بدأت كل هذا الهول.

الغرور هو كلمة السر الآثمة التي توشك على إحراق العالم.

لا أعرف حقيقة ما حدث لأن هناك جزءاً غائماً في عقلي.. ولكن الشعور الذي تملكني بعد انتهاء اللقاء، أني أستطيع..

لا شيء يمكن أن يهزمني أو يقهري.. والجميل في الأمر أن الخطر المباشر انتهى.. فاللعنة توقفت بتحالفي مع نائلة.. نائلة بنت ملك الجن الأحمر.. حفيدة ملك الجن المهزوم.

هل لهذا معنى؟!

الآن علىَّ أن أحضر الرق.

وأتمّ التعويذة بمساعدتهم.. فأنا من تربطني صلة الدم بالشيخ ياسين.. وأنا من أستطيع القضاء على المخلوق الشيطاني..

اللقاء تمّ على مستوىٍ حارق وبعلوم ذلك الكائن.. وهو اتصال عقلي أكثر منه لقاءً حقيقياً.

لذا تجدوني أقوم بأعجب الأشياء بل وأشدّها غرابة، أستخرج جواز سفر، نعم، فالسفر إلى المغرب يتطلب ذلك.

الإجراءات تتمّ بسلامة مخيفة.. أحصل على التأشيرة بسهولة تامة.. أقطع الطريق نحو جبال أطلس والعشرات يساعدونني بأريحية.. لا يمكن أن

يحظى ملك متوج بمقدار ما حصلت عليه من دعم ونفوذ واستقبال جيد في طريق رحلتي.

بلدة إملشيل بلدة الأساطير، بلدة الحب الصائع.. لقد وصلت في لحظة مميزة، وهي تلك اللحظة التي أخْسِم فيها موسم الخطوبة السنوي في إملشيل، القرية الواقعة في جنوب شرق المغرب، حيث يتم إقامة عرس تقليدي جماعي لثلاثين من العرسان والعرائس الذين ينحدرون من مختلف قبائل المنطقة.

إملشيل التي لا يمل سكانها تذكر ضيوفهم المغاربة والأجانب المتلقاطرين من القارات الخمس، بأسطورة الحب الصائع التي تؤطر احتفالاتهم المتواصلة حتى اليوم.

وهي تتحدث أن فنِي من قبيلة "آيت إبراهيم" ارتبط في زمن غابر بقصة حب جارفة مع فتاة من قبيلة "آيت عزة". العداوة المستحكمة بين القبائلتين تحرم الحبيبين من الاجتماع تحت سقف بيت واحد، فيفران الى جبل مجاور، ويدرفن دموع اليأس التي تفجرت بها بحيرتان شهيرتان في المنطقة تحملان اسم العريس (أيسلي) والعروس (تسليت). ومنذ ذلك الوقت تحرص هذه القبائل على الاحتفال بزيجاتها تكفيراً عن تجنيها على الحبيبين الخائبين.

الاستقبال أسطوري.

الجميع يخبروني أنهم يتظرونني منذ قرون.

أنا المنتظر.

الأدلة رافقوني حتى موقع معين في الجبل المختار ثم تركوني.. لأنني الوحيد المسروح له بالعبور إلى هذا المكان..

وحيد ولكنني غير خائف، وهي ميزة مذهلة.

خريطة المكان زرعت في تلافيف عقلي، ولكن إمكانياتي الجسدية هي العائق الوحيد..

أعبر الممر إلى ساحة متسعة معبدة ومستوية لا ثلوج فيها.

وعند النقطة المحددة أتوقف، أنزع حقيبة الظهر الثقيلة وأخرج منها الهدهد.

لا أعرف لماذا تم اختيار هذا الطائر بالذات.. ولكنني أنفذ التعليمات.. إن للهدهد مكانة مميزة من عصر سليمان الحكيم.

الطائر يتملص من يدي ثم يطير باتجاه الساحة الممهدة.. وفي نقطة محددة يهبط ويبدأ بمنقاره الطويل في الحفر.

أعرف من قراءتي أن الهدهد يستخدم كأضحية للتقارب للشيطان.. فهل هذا ما نقوم به بالفعل؟.

الهدد مستمر في عمله ولا يبدو أنه يشعر بذلك البرد القارص الذي يعصف بجسدي.

صوت النقر يوتنبي ولكنني مستمر في المتابعة.

نقرةأخيرة ثم صوت فوران.

نافورة دماء تتفجر من موقع النقر.. ومعها لسان من اللهب يصعد للسماء قبل أن يتلاشى.

الهدد يسقط ميتاً وتغمر الدماء جثته وتجرفها إلى الظلام.

الدماء تغمر كل شيء ثم تسير في مسارات محددة أخلفتها القرون ولكنها ما زالت صالحة لستم مهمتها.

نجمة خماسية مقلوبة تتشكل في الفراغ.

صوت عالي كأنه قصف الرعد يدوي فيهتز الجبل لأسقط أرضاً متشبّهاً في نتوء بارز. وكأنما أصابه زلزال.

النجمة الخماسية تتحرك وتحول لصخرة عملاقة تخرج من قلب الأرض.. تهتز الصخرة في عنف قبل أن تمور وتتفتت ليظهر المدخل.

صوت ما في عقلي يحثي على التقدم فأستجيب..

البرودة تتلاشى من حولي بمجرد عبورى إلى الساحة مع دفء محبب يغزو  
أطرافي، الأرض الصخرية تشرب الدماء في جشع.. المدخل يتألق بضياء  
باهر.

الآن أنا أتوقف أمام المدخل.

أنزع الثياب الثقيلة التي تكبل حركتي، أخرج من حقيبتي الخنجر المطلسم..  
نفس الخنجر الذي قتلت به التيس من قبل.. نعم أنا قادر على فعلها.. أنا قادر  
على قهر العالم كله لو أردت..

أقف منتصباً مواجهاً المدخل.

أصرخ بكلمات قديمة لا أعرف من أين أتيت بها.

- إيموک.. بلزاموک.. تريهام.. سوجاش.

لسان هائل من البرق يشق السماء.

- إيموک.. بلزاموک.. تريهام.. سوجاش.

لسان آخر من البرق يضيء السماء.

- إيموک.. بلزاموک.. تريهام.. سوجاش.

الخنجر يتألق في يدي بضوء أحمر باهر والضوء يخرج منه ليعانق البرق.

أصرخ بصوتٍ وحشٍ بدائي :

- لقد أتيت.. لقد لبيت النداء.

وبحزم وقوه.. أدرت الخنجر المطلسم ليواجه صدري.. ثم أغدقته في عنف..  
الألم مريع..  
أنفاسي تنقطع..  
أشعر بالقبضه القوية..  
لقد نجح الأمر..  
- إيموك.. بلزاموك.. تريهام.. سوجاش.

# نهاية ما ..

- يا حارس الكهف .. أنصت لي .. لقد ليت النداء .. فأتم عهدي ..
- يا حارس الكهف أنصت لي لقد قدمت نفسي كأضحية .. فمتى تلاشى الحجب .. لقد ليت النداء .. فأتم عهدي ..
- يا حارس الكهف أنصت لي أنا الفرع الممتد للجذور .. أنا الدماء المتصلة عبر الآباد .. يا حارس الكهف عاد الخطر من جديد .. عاد .. فأوفي بعهدي ..



## - مخلوقات من دم ولحم -

فجأة اختفى من حوله كل شيء يعرفه، وكأنما أصابه شهاب حارق فتixer أو تلاشى في العدم فلم يعد له أثر.. حتى الفريسة التي أغرفت دمائها الزرقاء صدره لم يعد لها وجود.. وكأنها لم تكن هي الأخرى.

لم يكن ليهتم لو اختفت الفريسة فقط.. فالأشياء تختفي من عالمه طوال الوقت دون أن يشير ذلك بداخله أي قلق، وعلى كل فقد كان مذاقهها سيئاً وبالطبع ليس أسوأ مما يحدث له الآن..

انطلق من بين شفتيه الغليظتين عواء حاد مختلط بعويل وعدم فهم، فإن يختفي كل شيء من حوله بهذه الطريقة المباغطة أوقعه في حيرة لحظية.

تحرك ذيله الحرشفي الشفاف في عصبية بقلب ذلك الظلام الدامس الذي يحيط به، وعقله يحاول استيعاب ما يحدث لجسمه من تغيرات مروعة وكان هناك من يسحق خلاياه خلية خلية.

شعر ببرودة شديدة تجتاح كيانه وبريح عاتية تضرب وجهه فتساءل في قلق:

– لماذا صار الطقس من حوله بهذه البرودة؟ ومن أين تأتي هذه الرياح؟!

نفث من بين منخاريه بخاراً كبريتياً ملتهباً تلاشى في العدم، ثم شعر بأن الكون من حوله يرتج، وبألف صاعقة تضرب أعماقه بقوة.. حاول أن يتثبت بأي شيء عندما بدأت الرياح العاتية تسحبه نحو المجهول.

شعر بألم مروع يحتاج خلاياء ويقاد يزهق روحه.. دون أن يشعر بدعمبني  
جنسه عن طريق صلتهم الروحية..

هاج وماج وصرخ وحاول أن يتماسك دون أدنى فائدة.. إن تلك القبضة  
المروعة تكبّله.. إنه لم يعد قادرًا على الحركة.. أو اتخاذ أي ردود أفعال  
إرادية.. إن جسده يؤلمه وهو شعور غير معتاد بالنسبة له..

حاول أن يستخدم قدرته المتفوقة على الإفلات ولكنه شعر بعجز لا  
يوصف.. إن جسده لا يطيعه.. جسده الذي كان طوع بنائه منذ لحظات.

ماذا يحدث له ومن من يطلب العون؟!

صرخ في قوة..

طلب العون من خليلته..

نادي الشيطان الأكبر..

أرسل استغاثة عقلية واسعة المدى لعل أحد بنبي جنسه يكون بالقرب  
فيستجيب لاستغاثته..

ولكن لا فائدة.. الاتصال انقطع بينه وبين الجميع.. وظل السؤال يتربّد في  
عقله دون هواة :

- ماذا يحدث حقاً؟ -

لابد وأنه لعن.. أو أن هذه الفريسة كانت مسمومة.. !!

غضب عاتٍ يحتاج كيانه.. عقله يكاد يحترق من التفكير.. يزوم بوحشية.  
ومن أعمق أعماق عقله أخذت ذكرى قديمة تلح في رأسه.. إنها قصة  
قديمة سمعها ذات مرة.. ثم واراها بداخل عقله..

بل هي أسطورة مخيفة..

هل حقاً أصابته اللعنة؟!

لا يمكن أن يكون هو من دون باقي جنسه..

لا يمكن أن يسقط في يد تلك المخلوقات كثيفة المادة المخلوقة من لحم  
ودم.

لقد سمع عنهم.. عن قسوتهم.. عن حقارتهم..

إنهم جنس متواحش.. يستخدم الفنون المحظورة لاختطافهم واستعبادهم.

لقد سمع كل القصص عنمن يذهبون..

ولكن لم يعد أحد منهم ليقص ما حدث له هناك.

الألم عاتٍ.. ولكنه لم يمنعه من التفكير.

سيحاول بقدراته المتعددة أن يفلت من هذه القبضة الشريرة.. إنه لم يعتد  
الاستسلام قط.

طوال عمره الذي يمتد لقرون طويلة لم يستسلم أو يتوهّن قط. ولكن ما يحدث له مخيف لو كان ما يفكّر فيه حقيقة..

هل توجد حقّاً مخلوقات بهذا الشر تعيش في مكان آخر من الكون؟!  
الأبخرة تتصاعد من فمه، بشرته الرقيقة تؤلمه، ولكن الألم في قرنيه هو الأصعب.

الظلام من حوله كثيف، ولكنه لا يأبه، فقط ما يريده هو الفرار من مخالب هذه القبضة المؤلمة.. التي تحاول انتزاعه انتزاعاً من عالمه.  
لا يمكن أن تنتهي حياته على هذا النحو.

أصدر خواراً مخيفاً وردد كلمات قديمة لا يعرفها عالمنا.  
كلمات محظورة..

استغاث بالشيطان الأكبر مجدداً..  
حاول أن يتواصل مرة أخرى مع عالمه وخليلته، ثم فشل مجدداً.  
لقد انقطعت تلك الصلة الروحية التي تربطه معبني جنسه.  
للحظات ساد صمت ثقيل و هدأت حدة الألم ثم سمع الصوت المفزع.  
صوت غليظ كريه يتحدث بلغة مخيفة.  
صوت له رائحة الموت والضياع.

لا لم يكن صوتاً واحداً بل صوتيين مختلفين.. المفاجأة جعلته لا يميز من اللحظة الأولى ولكنه الآن يميز جيداً.

صوت أسود مقبض يخاطب آلهتهم الوثنية ويستجدي الشيطان الأكبر.

وصوت بارد قاسٍ يردد الكلمات القديمة.

حاول أن يضمّ أذنيه ولكن الصوت المخيف كان يخترق أذنيه رغمًا عنه ويزلزل كيانه ويطالبه بالطاعة.

الكلمات تتردد عبر الآباد فتجرح روحه بمخالبها وتنتزع من جسده قوته.  
الكلمات تسسيطر عليه.

سمع الشغاء ففتح عينيه وكل خلية في جسده ترتجف.  
أي هول هذا الذي يراه.

الكائنان المخيفان ذوا شعر الوجه الكثيف يرددان الكلمات دون توقف،  
وكان حياتهما تتوقف على هذه الكلمات. وأمامهما كائن آخر صغير ذو  
قرون وحوافر يكاد يمزق الأرض بحوافره من الغضب.

هو لا يعرف أن لهذه الكائنات أسماءً.. ففي عالمه لا توجد أسماء. ولو  
علم لما استفاد شيئاً. ولكننا نعرف من هما.

فها هما الشيخ ياسين والشيخ تهامي يجلسان بقلب نجمة خماسية مرسومة بالطباشير على أرض الغرفة بالكامل، وملائكة بالطلاسم المكتوبة بسائل أحمر لا تستبعد أن يكون الدم.. بل هو الدم فأيديهما ملطخة بالمزيد منه، وبجوارهما ملقى دون اهتمام جسد رضيع مشخن بالجراح فارقه الحياة، وعلى وجهه المصوغ باللون الأحمر نظرة ألم مروعة. وبالقرب منهم تيس أسود اللون مخيف الشكل ضخم الحجم له أربعة قرون، لا يكف عن ركل الأرض بحواره في عصبية شديدة..

الكائن واقع في حيرة شديدة، عقله لا يستوعب ما يراه، لذلك كان وقع المفاجأة مخيّفاً، ولكن عندما وقعت عيناه المحتقنان على الشيخ ياسين والشيخ تهامي وعيونهما البيضاء الممسوحة ارتجف في رعب.

لم يكن يتصور أن المخلوقات كثيفة المادة التي سمع حكاياتهم مراراً من القدماء يمكن أن يكونوا بهذه الشناعة.. إن روحه تكاد تزهق من فرط بشاعتهم، لو كانت إرادته حرّة لفّقاً عينيه ليُنهي هذه المأساة.

كلمات جديدة تتردد لتصفع أذنيه بلغة يجهلها تماماً، ولا يعرف كيف يفهمها..

إنها السريانية القديمة.. لغة آدم عليه السلام.

كلمات مخيفة تهبط على روحه كالسياط.

صدمة عقلية عاتية تجتاح رأسه حتى يكاد يشعر بقرينه يذوبان، وعندما يردد الصوت الآخر الكلمات بلغته يستوعب الأمر فيرتجف أكثر..

الكلمات تطالبه بالإذعان والدخول في جسد ذلك الكائن المكبل بالسلاسل.

إنه يعرف الآن فقط أنه قادر على احتلال جسد هذا الكائن ذي الحوافر والسيطرة عليه، ولكن لماذا سيسجن نفسه في هذا السجن كثيف المادة، لماذا سيطير ؟

والإجابة نعرفها جميعاً.. وهو ذلك الألم المرعوب الذي تصيبه به الكلمات المحظورة.

الكائن ذو الحوافر يزوم ويختور.. إنه خائف هو الآخر، لا يجد وكأنه يتمنى لجنس هذه المخلوقات الوحشية على الرغم من كونه كثيف المادة مثلهم.

الصوت المخيف يتعدد من جديد، وكأنه ينبغى من كل مكان حوله، فيعصف به.. يتمنى لو يستعيد قدرته على التحكم في أعضائه فيفترس هذين الوحشين المخيفين ذوي شعر الوجه الكثيف، ولكن كل أفكاره تتلاشى عندما تعود الأصوات لتردد الكلمات المحظورة.. الكلمات التي بات يفهمها دون جهد.. الكلمات التي تمنحه عذاباً يفوق عذاب لحظات الاحتضار التي يتشارك فيها بنو جنسه عندما يعاني منها أحدهم.. الكلمات السوداء.

الكلمات تتردد دون هوادة..  
الكلمات تتردد في إصرار..  
أدخل إلى مستقرك الأبدى.. ارضخ لسيطرة اللحم والدم.  
ألم عاتٍ يصعّه.  
أدخل إلى مستقرك الأبدى.. ارضخ لسيطرة اللحم والدم.  
إنه يحاول المقاومة..  
أدخل إلى مستقرك الأبدى.. ارضخ لسيطرة اللحم والدم.  
إرادته تخور..  
عزيمته تفتر..  
إنه الآن بداخل جسد المخلوق ذي الحوافر..  
بداخل سجنه الأبدى المكون من لحم ودم..  
ولكنه لن يستسلم..  
لن يستسلم أبداً.  
أدخل إلى مستقرك الأبدى.. ارضخ لسيطرة اللحم والدم.  
الألم عنيف لا يستطيع أن يقاومه..  
ارضخ لسيطرة اللحم والدم.  
وفي النهاية يستجيب.. ويستسلم.  
ويرضخ لسلطة اللحم والدم.

## - عزيف -

احترق الخجر المطلسم صدري فشعرت بألم عنيف وحاد في مكان الطعنة، وعاد ليوعي المنسحب وإحساسه بما حولي، واجتاحت جسدي رجفة عظيمة وكأنني بمركز أحد الزلازل المروعة والتي أعادت تشكيل اليابسة.

وبسرعة البرق انتقلت الرجفة إلى الجبل الغافي منذ مئات القرون لتسوّر صخوره وينقض عنه كسله وجليده، ليحدث انفجاراً هائلاً كقصف الرعد أطاح بالصخور والثلوج في كل مكان، ومن خلفي تألق المدخل بضوء أحمر دموي أعطى المكان رهبةً وهيبةً.

جحيم هائل من الصخور والجليد يتفجر من حولي، لم تجرؤ ذرة رماد منه على لمسي، فظهر المشهد وكأنني نواة مركبة للجحيم القائم.

لحظات ثم شعرت بالدوار خاصة مع كمية الدماء التي أفقدتها طوال الوقت وأحاول بقوتي الواهنة أن أوقفها.. ولكنني لم أستسلم، زحفت بكل ما أوتيت من قوة كي أعبر إلى داخل الكهف.

رائحة الكراهة والحدق المطمئن من قرون تكاد تطيح بأنفي من بشاعتها، بل وتزهق روحي.. صوت هادئ كالنسيم يتردد في عقلي ويخبرني بخطوتي التالية، فأذناع حقيبتي الثقيلة من فوق ظهري وأنفاسي تتقطع وأتناول بصعوبة اللفافة التي تحتوي على العقار أزرق اللون الموجود في داخل القنبينة التي لا

أعرف متى حصلت عليها، هي وكل محتويات الحقيقة ولا لماذا أجهد نفسي وأعوق حركتي بحملها، ولكنني أطير الصوت دون تردد فهو يريد صالح دون شك..

أجرب محتويات القنية ذات الرائحة العطرية المميزة مرة واحدة لأشعر على الفور بنشاط مضاعف ونشوة عالية.. ويعيون متسرعة من الدهشة شاهدت الدم وهو يتوقف عن التدفق، والجرح وهو يبرأ وقوتي وهي تعود لي مجدداً. حماس عاتِ اجتاحتني فأعدت الخنجر الملوث بدمائى إلى غمده وواريته في الحقيقة ثم عدت أحملها على ظهري مجدداً، فشعرت بها في خفة طائر وكأن القنية الصغيرة من كانت تشقها.

تقدمت إلى داخل الكهف أكثر، وكل خلية في جسدي تنتشي من دفء المكان، و كالمجاديب وقفت بداخل الكهف، وأخذت أردد الكلمات من

جديد :

- إيموك.. بلزامووك.. تريهام.. سوجاش.

- إيموك.. بلزامووك.. تريهام.. سوجاش.

- إيموك.. بلزامووك.. تريهام.. سوجاش.

ثم وبصوت متensus أحداث العدم :

- يا حارس الكهف.

- يا حارس الكهف.. أنصت لي.. لقد لبيت النداء.. فأتم عهdeck..

- يا حارس الكهف أنصت لي لقد قدمت نفسي كأضحية.. فمتي تتلاشى  
الحجب.. لقد لبيت النداء.. فأتم عهdeck..

- يا حارس الكهف أنصت لي أنا الفرع الممتد للجذور.. أنا الدماء المتصلة  
عبر الآباد.. يا حارس الكهف عاد الخطر من جديد.. عاد.. فأوفي بعهdeck.  
صوت صرير هائل يصم الآذان، وكأن هناك باباً عملاقاً مغلقاً منذ قرون يفتح  
الآن.

الضياء الأحمر الدموي يخفت تدريجياً ويبدل لونه.. وأنا في هذه اللحظات  
كالمغيب أو الممسوس.. لا أشعر بكينونتي ولا أملك أي إرادة.. فقط أنا  
أطيع الصوت المتردد في عقلي..

الجلب يهتز من جديد.. فألتتصق بالجدار المجاور لي في خوف..

قلب الأرض ينشق ثم يخرج التابوت من باطنها.. أي سحر هذا؟!

الصوت يتردد في عقلي مرشدًا :

- إن الأمر يتم عن طريق رافعة ميكانيكية لا صوت لها مخفاة بمهارة بقلب  
الأرض، العلم هنا هو السيد لا مجال للسحر فيما يحدث.

وفي هذه اللحظة أدركت أن الصوت هو صوت الشخص الغريب، ثم تذكرت جملة أخبرني بها في حوار سابق، بالعلم والسحر استطعنا السيطرة على هذه المخلوقات الشيطانية.

إذن فهذه المرحلة هي مرحلة العلم و ..

قطع أفكاري مشهد التابوت وهو يتألق ثم يتزاح الغطاء عنه ببطء، تقدمت من التابوت واتسعت عيناي من الدهشة.. التابوت خالٍ تماماً ولكنه نظيف ولم يتأثر معدنه المتألق بمرور الزمن ..

التابوت خالٍ ولا يوجد الرق بداخله.. فهل فشلت مهمتي ؟!

الصوت المتردد بتلايب عقلاني يطالبني بالرقود بداخل التابوت.. فهل أطيع؟

هل سمع الغرباء قصة إيزيس وأوزوريس ؟!

هل ستكون نهايتي بداخل الصندوق، إن عدونا يفوق (ست) شرّا، فهل يقوم بما قام به (ست) ؟

أتقدم من التابوت في خوف.. أطيع وجسمي كله يرتجف.. لا أعرف كيف سيفيد وجودي في قلب التابوت في العثور على الرق ؟!

أتمدد بداخل التابوت في رعب و معدنه البارد يمنعني رعشة جديدة.. أتحرك بعصبية بقلب التابوت محاولاً أن أجعل الحقيبة في وضع مريح ..

وبمجرد أن سكنت، تحرك غطاء التابوت ببطء وهدوء ليغلق ويعود لسيرته الأولى، لأقع أنا بداخل ظلام دامس لا يفوقه إلا ظلام القبر.

أحكم إغلاق الغطاء فصرت سجينًا بالداخل، ثم اهتز الصندوق للحظة واحدة.. وتحرك التابوت صوب المجهول.

لحظات بقلب الظلام الدامس مرت على روحي كالقرون، ثم صمت أذني بالأصوات المروعة المستجدية المتألمة.. مما جعلني أسأله :

هل عدت للجحيم مجددًا؟!

وعندما سال دمعي من التأثر والخوف وكاد قلبي أن يتوقف، عاد الصوت الداخلي يطمئنني، لا تخف إنها أصوات لا خطر منها.. إنها أصوات الجن المعدبين..

عزيز.. هذا هو اسم أصوات الجن..

ولكني لم أتخيل أن يكون الصوت بهذه البشاعة..

الصوت يتبع بلهجة تقريرية :

- بعض الجن فضل العذاب على الموت.. بعضهم لم يستسلم للكهف رغم مرور القرون.

توحدت مع الأصوات برغم عدم فهمي لها..

شعرت بمعاناة أصحابها، وتألمت كما يتألمون.. وبكيت كما يبكون..  
وصرخت كما يصرخون.. ثم بعد ذلك هدأت.

صوت صرير معدني خافت.. ثم صمت.

التابوت أصبح أقل اهتزازاً الآن.. بل هو ساكن تماماً.

دقائق من صمت قاتل.. ثم بدأ الغطاء يتحرك ببطء شديد..

فتحت عيني متوقعاً الخلاص.. فصلدم عيناي ظلام دامس ثقيل فأغلقتهمما  
على الفور.. هواء بارد لفح جسدي فشعرت بندم شديد لأنني تركت  
الملابس الثقيلة بالخارج..

جسدي يئن والحقيقة عادت ثقيلة كسيرتها الأولى. ولكنه ليس وقت التبرم  
أو الغضب.

أنهض بصعوبة معتمداً على حواف التابوت المعدنية، وعزيز الجن في  
الخلفية كموسيقى تصويرية مروعة، وإن كنت أسمعه بالكاد وكأنه على بعد  
آلاف الأميال. لابد وأنني ابتعدت عنه مسافة كبيرة، فيبدو وأن الكهف  
ال حقيقي ما زال هناك بأعمق الجبل، وهذا ما جعله أسطورة باقية حتى وقتنا  
هذا.

أتلمس طريقي في الظلام.. جدران صخرية ملساء وأرضية صلبة.. المكان ضيق ولا يمنح خيارات.. فقط أشعر بدرجات سلم هابطة، فأتمسح في الجدران هبوطًا..

واحد..

اثنان..

ثلاثة..

.....

اثنتا عشرة درجة ثم لا شيء.

الجدران ملساء من حولي بدون نتوءات.. وكأن هناك من قام بচقلها، بل هناك بالفعل من قام بচقلها.

الهواء ساكن وشحيح إلى حد ما.. مما لا يوحى بخلاص.

أتحسس الجدران مجددًا.. أبحث عن دليل.. عن شيء يقودني للنقطة التالية وسط هذه العتمة التامة.. أنتظر الصوت الذي صاحبني حتى الآن ليرشدني.. ولكن الأمر واضح وجلٍ.. من هذه النقطة أنا وحيد. وحيد تماماً.

أطنان من الحيرة تغمر عقلي.. الخوف يعاودني مجددًا.. أشعر بضعف عاتٍ.. الظلام محيف بحق.. أعصر عقلي محاولاً استنتاج الخطوة التالية.

التابوت ثم الدرج قاداني إلى هذا المكان.. الخيارات محدودة.. إذن لا حل آخر.

الكلمات.. !!

- إيموك.. بلزاموك.. تريهام.. سوجاش.

وبالفعل نجح الأمر ونجحت الكلمات.. وببدأ الظلام يتراجع..

صغير حاد صفع أذني ثم بدد عتمة الظلام ضوء أزرق هادئ، غمر المكان في حياء.. ليظهر أمام عيني ممر قصير يقود إلى قاعة صخرية هائلة الحجم لم أر لها مثيلاً في حياتي..

جدرانها العملاقة مكسوة بغلاف زجاجي متالق لا خدش فيه منحها مظهراً خلاباً. وفي منتصف القاعة ريش صندوق متوسط الحجم متالق بلون فيروزي، وعندما خطوت إلى الداخل، بدأ أمام عيني أغرب عرض في التاريخ.

## - المخلوق الشيطانى -

فجأة شعر المخلوق الشيطاني بالتحرر لفترة قصيرة للغاية.. والجدير بالذكر أنها كانت مجرد لحظات قليلة ولكنها كانت كافية له ليحيط بالكثير مما يجهله في هذا العالم الجديد.

هو لا يعرف كم مر عليه في هذا العالم المخيف من وقت.. فقد تجمد الزمن بالنسبة إليه منذ تناوب هذان المخلوقان المتتوحشان على إخضاعه وتعذيبه، إنهم ضعيفان ليسا بالقوة التي توقعها، وهو يملك خبرة السنين وصلابتها لذا لن يستطيعا إجباره على طاعتهم ببساطة كما نجحا مع المخلوق الأول..

هو يعرف الآن أن هناك مخلوقاً أول سقط في يد تلك الكائنات، هو ليس الأول من نوعه في هذا العالم، ففي لحظة التحرر هذه حدث التواصل بينه وبين المخلوق الآخر الذي بدأت به قصتنا.. والذي سعت نائلة/سماح للتخلص منه عن طريقي لتنال حريتها وتعود لعالمها..  
إنه يعرف هذه البصمة الروحية جيداً..

كما أخبرتكم عالمه لا يحتوي على أسماء ولا يعترف بها فقط لكل كائن منهم بصمة روحية تميزه عن غيره، وعن طريقها يتم التواصل.

إن هذه البصمة الروحية بالذات دارت حولها القصص الكثيرة أثناء التواصل العقلي العظيم.. لا يوجد أحد في عالمه لا يعرفها أو يذكرها.. فاختفاؤها أحيا الأسطورة القديمة..

أسطورة الكائنات الشريبة كثيفة المادة..

جميعهم يعرفون الموت، ويشعرون به عندما يجذب أحدهم إلى مملكته.. إن الرابطة التي تربطهم يجعلهم يعرفون مصير كل كائن منهم.. ولحظات الاحضار لديهم هي أشد اللحظات هيبة ورهبة.

يعايشون جميعاً تلك اللحظة.. ولكن اختفاء هذه البصمة الروحية كان مختلفاً تماماً..

إنه اختطاف وليس موتاً.

إنها اللعنة من جديد.. والعجيب أنه برغم تواصلهم لا يستطيعون أن يقدموا العون لتلك الروح المختطفة.. إنهم عاجزون أمام العلوم المحظورة. عاجزون تماماً.

لقد توقع المخلوق عندما حدث ذلك الاتصال.. أن يجد السلوى في التواصل ولكنه حُدم عندما وصلت له مشاعر الكائن الآخر..

فالكائن الشيطاني الآخر في خطر عظيم.. هناك من يسعى لهلاكه.. إن هذا المكان مخيف.. مخيف جداً.. تلك المخلوقات المسممة البشر.. لا قلب لها..

ال المعلومات تنتقل بينهما بسلامة وتشير غضب المخلوق الجديد وفي نفس الوقت هله.. لقد عانى المخلوق الأول الأمرئين من هذه الكائنات طوال خمسة عقود.. لقد عوقب بالحديد المحمي والنيران والرصاص المتصهور.. ترك بلا طعام لفترات طويلة.. لقد عذبه هذه المخلوقات البشرية بطريقة وحشية ليطيعها..

والآن هو يواجه خطراً داهماً. ليس خطر المخلوقات البشرية فقط.. هناك تلك الغرابة التي تزيد الخلاص منه لستحرر بعد أن سلط عليها لاستعبادها طوال العقود السابقة..

## إن الخطر مزدوج الآن.

الآن يعرف المخلوق الشيطاني كل ما كان يعرفه المخلوق الأول.. يعلم أنه قادر على الانتقام لو فقط استطاع التحرر..

عليه أولاً أن يساعد المخلوق الآخر، قبل أن تنتهي الطقوس في الليلة الثالثة عشرة ويصبح عبداً لتلك المخلوقات المتوحشة إلى الأبد.

حاول بكل ما تعلمه عبر القرون أن يقوى رابطة التواصل.. أن يمزج روحيهما معاً.. أن يغيث المخلوق الأول ولكن الوقت كان قد فات.

لقد سيطرت نائلة/سماح على عقلي وعن طريق تعويذتها قمت بقتل المخلوق الشيطاني الأول الذي تمثل في شكل تيس.

قمت بقتله والمخلوق الجديد يشاهد ويتابع..

قمت بقتله فمات الشيخ ياسين ومات من بعده الشيخ تهامي على يد نائلة. ونال المخلوق الشيطاني الجديد جزءاً من حر بيته وإن لم ينلها كلها.. وأفسد تعويذة نائلة.

المخلوق الآن حر إلى حد ما ولكنه لا يمتلك بعد تلك القوى المروعة التي جعلت الجن يرتجفون من جنسهم ذات يوم منذ مئات القرون..

الشيخ ياسين مات قبل إنتهاء الطقس الأخير وختم التعويذة.. مات فانتقل العهد إلى من يحمل دماءه.. مات وفي نفس الوقت ما زالت دماءه تسري في عروق حفيده..

الدماء هي السر الأعظم الذي يربط هذا العالم ببعضه..

إنه الآن يحاول أن يتعلم.. ولكنه سجين هذا الجسد كثيف المادة.. لابد أن يتخلص منه ولكنه لا يدرى كيف بعد..

\*\*\*\*

و ذات مساء وعندما حدث الكسوف الكبير للشمس .. سمع الصرخة العاتية  
التي قطعت المسافات والزمن ..

ولحظتها عرف أنه ليس وحيداً ..  
ليس سجيئاً متفرداً في هذا العالم ..

وعرف الطريقة المثلثى للتحرر، وعرف أيضاً أن انتقامه لن يبقي ولا يذر ..

\*\*\*\*\*

عبرت إلى القاعة المتسعة التي تبدو وكأنها محفورة بقلب الجبل كله من  
شدة اتساعها فشعرت بنشاط عجيب وحيوية غير معهودة، وكان خلايا  
جسمى تجددت أو استيقظت من سبات طويل مما منحني راحة فائقة.

ضغطت قدمي الأرض الصخرية فشعرت بليونتها المحببة، وكأنها سطح  
إسفنجي هش وإن كان لا يخلو من صلابة ..

كل شيء في القاعة صمم بتكنولوجيا عظيمة وعلوم فائقة استطاعت أن  
تشق الجبل وتلين الصخر ..

تقدمت عدت خطوات إلى الأمام، وكان دخولي كان كلمة السر فتحول  
الرجاج الذي يكسو القاعة إلى ما يشبه شاشة عرض ثابتة وظهرت الرسوم  
على الجدران تحكي مشاهد مختارة من قصة عجيبة.

خلاصة مجموعة الرسومات الأولى، أن الكون ليس حكراً على البشر والجن فقط، الكون يحوي مخلوقات عاقلة أخرى لا تقل عنهم أهمية وخطورة والعلم فقط هو ما يحكم الكون الذي لم يخلقه الخالق القدير عبثاً.

المجموعة الثانية من الرسم تظهر قصة المخلوق.. إن المخلوق الغريب من جنس متتطور، بل فائق التطور، جنس سما بالإيمان والأخلاق والعلم إلى موصلة لم يصل إليها جنس آخر في سلم التطور والحضارة، جنس دأب على رصد العوالم الأخرى ومنخلوقات الكون المتعددة، التي تحيط بالجنس الأشد خطورة عبر الكون.. البشر.

يرصد ويقيم ويتدخل في لحظات بعينها ليمعن هذه المخلوقات من تدمير نفسها والكون..

الرسوم تخبرنا أن هذا المكان يحتوي على أكثر الأسرار خطورة عبر التاريخ، فبقلب هذا الكهف تسكن تلك المخلوقات الشيطانية المفزعة التي تضمر بداخلها حقداً وكراهيّة لا مثيل لها لكل الأجناس الأخرى، خاصة الجن والبشر.. مخلوقات تختلف عنبني جنسها الذين يقعون في بعدهم المخيف بأنها تعلم قوتها وقدرتها، وتعلم ضعف الأجناس الأخرى.

الرسوم تحكي قصة الكون وقصة الحروب القديمة وقصة السر الكوني الهائل الذي أنا في حل من ذكره لكم.. وتحكي قصة الكهف ومخلوقاته، بل وهناك رسم يصف هذه اللحظة التي ألج فيها للكهف من أجل الحصول

على الرق. وكان هذه الرسوم قُصت من كتاب القدر لترسم فوق الجدار الزجاجي أو رسمها مخلوق كوني مستقبلي منحه الله علوماً لا حصر لها مكتنثه من رؤية الغيب.

الرسوم تقص تاريخاً مجھولة لنا، وتصف لحظات معينة ظهروا فيها من أجل تعديل مسار زمني ما أو إنهاء كارثة محققة ورصد البشر لهم، وكيف وصفهم البشر القدماء في قصصهم القديمة على أنهم الملائكة.

إن مركباتهم التي تغص بها الحكايات القديمة جابت الأرض في كل حقب التاريخ.

وعندما تطورت علومهم وتخلوا عن جسدهم المادي وتحولوا هم أنفسهم لهذه المركبات، أججوا خرافات البشر أكثر وأكثر بظهورهم المختلف لذلك آثروا الابتعاد والاختفاء، بعد أن تركوا هذه الرسومات لتبخبر من يعثر عليها بالقصة وتحذرهم من مغبة إطلاق سراح هذه الكائنات..

كانوا ليظلو في بعدهم متوارين لو لا أن أجبرهم الشيخ ياسين ورفيقه على الظهور.. بحمقتهما الكبرى وسعيهما نحو الخلود.

الآن بعد أن امتلأت رأسي بهذا الكم من المعلومات.. وجب علي أن أنهى مهمتي لأحصل على تعويذة السيطرة..

الرق يقع على بعد خطوات مني في قلب الصندوق الفيروزي.

الرق محاط بعلم فائق ويحتاج لحل الأحجية التي تغلقه.

الرق يرقد هناك ويدخلة طوق النجاة.. فهل أجسر على المزيد من العلم والمخاطرة، بعد أن فقدت كل دعم؟!

\*\*\*\*\*

بعد أن تحرر المخلوق الشيطاني جزئياً بموت الشيختين، وبعد أن تم التواصل بينه وبين المخلوق الآخر، كان عليه أن يتم الاتصال بمخلوقات كهف الأمنيات.. ولكن الأمر لم يكن بهذه البساطة.. فلابد أن يحررهم من ذلك الفخ الجهنمي أولاً قبل أن يتحدوا ليقضوا على خصومهم.. وهذا لن يتم إلا بتدمير الرق الذي يحوي التعويذة ثم بعمل التضحية الكبرى، وقبل كل هذا كان على المخلوق الشيطاني أن يقطع مسافات هائلة عبر الصحراء كي يصل إلى حيث يقع كهف الأمنيات في عمق جبال أطلس.

لذا فمهمته العاجلة أن يمنع ذلك البشري الذي قطع نصف الطريق نحو الرق الجلدي من الوصول إليه بأي ثمن، فهو الوسيلة الوحيدة والتي سكها القدماء للسيطرة على جنسه.

لو كان حراً لكان هناك في لمح البصر، ولكن ذلك الجسم كثيف المادة يكبله إلى حد كبير.. وذلك الجسم المضيء البارد المتتصدر قبة السماء والذي يطلق عليه البشر لفظ القمر يحد من حركته..

عليه فقط أن يتحمل كل الصعاب لعدة ساعات.. وبعدها سيأتي النهار،  
ومعه يأتي ضوء الشمس والقوة.

فقط في هذه اللحظة سيخالص من ذلك الجسد كيف المادة الذي  
يأكله.. ثم سينطلق ليحرر رفقاء المحتجزين في ذلك السجن الجهنمي  
الذي يمنعهم من الانتقام.. فهذا الجسد المحدود ذو الحوافر يجعله يشعر  
بكل المؤثرات الخارجية، فالبرد يؤلمه والحر يضايقه، والعوائق الصخرية  
تحد من حركته وتجبره على الدوران حولها..

إنه يحتاج للراحة كل عدة دقائق، وهذا المخلوق يحتاج لطعام.  
الصحراء ممتدة أمام عينيه.. وبداخله شعور مخيف بكونه مراقب.

يتسلل عبر الحدود والأسلاك الشائكة ويتفادى رصاصة من جندي اعتقاده  
مصدر تهديد أو ذئب.

الرمال المتحركة تحذ من حركته ولكنه يستخدم قدراته المحدودة ليعبر  
مساحة هائلة منها.

وعندما توقف ليستريح.. رأى بعينيه الهول القادم..

## - مواجهة -

أتقدم بصعوبة من الصندوق الفيروزي المتألق المتوسد منتصف المكان،  
والذي يتسلط عليه شعاع من الضوء بشكل مسرحي عاشر. مع ظلام متدرج  
ينتهي إلى لامكان.

الصمت صاحب إلى درجة مخيفة.. أشعر بمئات العيون تحرق مؤخرة  
رأسي.. وكأن هناك من يتربص بي خلف الظلال.

الصندوق يبدو من هذه المسافة بريئاً بل ويوحي بكتز ما.. ولكنني لست  
بهذه السذاجة لأنخدع.. فالصندوق كما أخبرني الغريب يمثل فحًا شنيعاً  
لمن لا يملك سره.. وشراً كونياً مظلماً لا فكاك منه لمن يخطئ في التعامل  
معه. لذا لابد من الحذر الشديد للتعامل معه.  
الحذر ثم الحذر.

نسيم خفيف يداعب وجهي لا أعرف له مصدراً، أتنفس بعمق ثم أخطو  
خطوة أخرى للأمام..

المكان كله مقبض.. لا أعرف حقيقة لماذا قبلت على الخوض في الأمر.  
أتقدم أكثر بداخل المكان بخطوات بطيئة خجولة، وكأني لا أريد لهذه  
المسافة التي تفصلني عن الصندوق أن تنتهي..

صوت تككبات منتظمة يأتي من كل مكان يشبه تماماً صوت حركة عقارب الساعة القديمة الموجودة في شقة أبي رحمة الله.

قدماي تغوصان في قلب الأرضية الهشة.. شيء ما داخلي يخبرني ألا أجزع..  
لا ليس الصوت الذي صاحبني في البداية.. هو مجرد شعور ولكنه يتعاظم مع الوقت..

ظلام مباغت كسا كل شيء فلم أعد أرى كفي.. ولكنني أنقدم بشقة.. أشعر بأنني أغوص أكثر في قلب الأرضية الهشة ولكنني لاأشعر بقلق أو خطر.  
يظهر أمام عيني ممر كامل أمامي من مربعات ضوئية متوجحة يكسر عتمة الظلام..  
أقف أمام الممر مفكراً.. أنا أعرف هذا الجزء تماماً من الفخ.. يجب أن أعبر هذه المربعات بخطوات محددة.. لا يجب أن أضغط على أي مربع خاطئ والا انهار أو انفجر أو اشتعل كل شيء.. وأنا لا أفتقر للخيال كي لا أعرف النهاية.  
وبداخل عقلي تدوين أغنية أطفال قديمة..

(واحد اتنين تلاته كارونيه كارونيتا.. استخبي إنت وإن كنت فار وأنا قطة.. حلوة اللعبة ديا إنت فار وأنا قطة.. هيـه هيـه.. إنت فار وأنا قطة.).

خريطة بداخل عقلي تتشكل ممزوجة مع لحن الأغنية..

(واحد اتنين تلاته كارونيه كارونيتا.. استخبي إنت وإن كنت فار وأنا قطة.. حلوة اللعبة ديا إنت فار وأنا قطة.. هيـه هيـه.. إنت فار وأنا قطة.).

أضغط بقدمي هذا المربع .. ثم الذي يليه .. أقفز للمرربع الذي على اليسار ..  
ثم أعود للذي يسبقه ..

المربيع الأيمن فخ حقيقي ..  
أتقهقر عدة مربعات في تتبع مدروس ..

أضغط على آخر مربعين معًا ..  
وفي النهاية أنجذب الممر لتسقط الإضاءة وأنا ما زلت أردد لحن الأغنية.

إضاءة لا مصدرًا محدودًا لها تشع من الجدران الزجاجية التي تلاشت من فوقها الرسوم. لقد عبرت الفخ الأول ببساطة .. لابد وأنهم زرعوا كل شيء بداخل عقلي ..

الصندوق الآن في متناول يدي .. ولكنني لا أجرب على لمسه. وبرغم الإحساس المطمئن المتضاد من داخلي .. إلا أن كل خلية في جسدي ترتجم. إن لهذا الصندوق هيبة وريبة.

لم يكن صندوقاً مصمماً بل هو مليء بالنقوش وبالرسوم غير المفهومة.

أشعر بتوتر هائل وكأنني في حضرة الشيطان نفسه.

هناك خطوات يجب أن أقوم بها لأفتح الصندوق وأحصل على الرق.

الحدر ثم الحذر.

في البدء يجب أن أغمره بالدماء فهي المفتاح الذي سيوقف لعنته.. ولكنها ليست أي دماء.. لذا فإنني أخرج من حقيبتي التي لم تفارقني لحظة واحدة ذلك الطائر الصغير مجدداً.

هدده آخر.. صحبة أخرى بريئة لا ذنب لها، ثم الخنجر المطلسم الذي صنع في عصور غابرة على أيدي كهنة غلاط القلوب ليث عقيدة الموت عبر العصور.

طعنة في قلب الهدده الذي يحاول التملص وأن يقتضي بمنقاره الحاد. الدم يسيل فوق الصندوق الذي يخو شعاعه ويتحول في غمرة عين إلى صندوق معدني من معدن لامع خفيف.

أجلس على الأرض الصخرية والصندوق أمامي، أخرج من الحقيقة تلك الرسمة التي نقشت فوق قطعة قماشية من أحد قمصاني.. أبدأ في عمل تباديل وتواافق لقفل الصندوق حتى تكشف النقوش عن فتحة صغيرة، أخرج من حقيبتي قضيباً معدنياً ما أن أدخله فيها حتى ينفتح الصندوق ليظهر الرق..

ولأفرغ أنا معدتي بالكامل..  
فما رأيته كان شيئاً.. شيئاً لأقصى حد.

\*\*\*\*

نائلة كانت هناك بملامحها الوحشية وغضبها العاتي..

وجهها المصوغ باللونين الأبيض والأسود وعيناها المحتقنة بالدماء وقرناها المشرعان كحراب نحو السماء منحاها منظراً مخيفاً.. فحيحها كان يشق الفضاء حتى لترتجف منه رمال الصحراء نفسها.

إن مشاعرها تغلي من الغضب، وروحها تهفو للانتقام.

كانت تقف في قلب الصحراء كوحش أسطوري تصاعد الأبخرة الملتهبة من فمها.. وبجوارها اصطفت مجموعة من مردة الجن يقطعون عليه الطريق وفي يد كل منهم سلاح قاتل. وخلفها امتدت الصحراء إلى مala نهاية لا يضيء ظلمتها إلا القمر المندهش مما يدور تحت ناظريه.

مشهد مفزع يصلح لأفلام الرعب الدموية.. ولكنه لم يكن ليقلق المخلوق الشيطاني ولو لحظة واحدة.

نائلة لم تستطع صبراً.. فقررت أن تبدأ معركتها مبكراً.. لن تنتظر حصولهم على الرق ولن تنتظر شروق الشمس فيتحرر الكائن الشيطاني ويمتلك قوة لا قبل لهم بها.

إنها تعرف أن الكائن الشيطاني ليس بالضعف الظاهر عليه.. مجرد وجوده في هذا البُعد سيمنحه قدرات هائلة ستخرج وقت الحاجة، حتى لو كان هو يجهلها.. وبرغم هذا فهي ستقاتل كي تعود لعالمهَا وصغيرها.. وتحصل على

حريتها.. ولحسن حظها أن هناك من يعاونها ولا بديل عن انتصارها في هذه المعركة..

المخلوق الشيطاني كان يقف في مواجهتهم بتحفز وعيناه المشتعلتان تمسحان كل شيء، عبر عيني التيس الذي تعاظم وأصبح بحجم جمل كبير وعيناه وترصدان تلك السحابة التي غزت نصف القمر.

غضب مستعر يحتاج كيانه وأذنه الخارقة تمسح كل المكان من حولهم في قطر كيلو متر كامل.

إنه ليس خائفاً برغم أن عدد الأعداء يفوقه بكثير.. إنه ليس المخلوق القديم.. فجو هذا العالم يناسبه تماماً ويشعره بطاقة وحيوية لم يشعر بها حتى وهو في شرج شبابه.. كما أنه ليس وحده تماماً..

إنه على اتصال بيسي جنسه عبر تواصل عقلي فائق.. إنه يغوص في ذاكرتهم.. يتعلم منهم.. ينهل من معارف القرون..

إن لديه قدرات هائلة وسطوة على مخلوقات كثيرة في هذا العالم..

إنه جاهز للمواجهة.

سمعه المتفوق يصل لمسافة بعيدة ويرصد وجودهم.. عقله يبدأ في إنشاء الرابطة العقلية..

إنهم يقاومون قليلاً.. ولكنها هو القمر يتلاشى خلف السحابة بالكامل..  
إنه الآن قادر على قيادتهم.

إنه الآن جاهز لصد العدوان.

نائلة وخلفها خمسة من مردة الجن يتحفزو.. إنهم الأعداء الحقيقيون..  
هو يعرف ذلك..

القمر يتلاشى تماماً.. مردة الجن يتحول كل منهم لشكل مخيف.. أو ربما  
هو يظهر بهيئته الحقيقية..

نائلة تصرخ فترتج الصحراء لصراخاتها..

الكائن الشيطاني يتحفز..

ثم يحدث الالتحام..

\*\*\*\*\*

المشهد كان مروعًا ولم تتحمله معدتي فأطلقت عصارتها لأفرغ روحي على  
الأرضية التي لم تطأها قدم منذ قرون.

كنت أعرف أن الرق كُتب فوق جلد بشري ولكني لم أتوقع هذا المشهد  
الرهيب الذيرأيته..

فلم تكن التعويذة منقوشة على ظهر جلد يابس أو حتى حي.. بل كانت..

يا إلهي إنه مشهد شنيع.

إن الرق يبدو كجزء جلدي مسلوخ حديثاً، على ظهره الملائكة بالخلايا الحية التي لم يصبها التعفن عبر القرون، تمرح ما يشبه ديدان أسطوانية الشكل تشكل الكلمات في مشهد مفزز..

إنها حيلة دفاعية أخرى لم أستعد لها.

اللحظة التالية كانت فارقة بل ومفزعـة.. فالفكرة التي تترد في عقلي كانت شنيعة لأقصى حد.. ولو كان لي إرادة لرفضتها وعدوت هاربـا. الفكرة الملحـة كانت أن أتهم الرق.

شعور قاهر يحشـي على فعل الأمر.

طعم العصارة المعدية في فمي يشير اشمئـاري، والـفكرة التي في رأسي تـكاد تقتلـي..

لن آكل هذا الشيء..

ناهيك عن أنه جلد بشري، فهذه الديدان البيضاء المقرفة.. لا لا.. لا أستطيع..

الفكرة تـتعاظـم بـداخل عقلي..

الفكرة تستولي على كامل إرادتي وتفكيرـي..

روحي تكاد تزهق ..

ولكن يداي تقبضان على الرق ذي الملمس الكريه ..

هل يدفعني الغريب الذي يدعى الحضارة على إتيان هذا الأمر الهمجي  
المخالف لكل فطرة سليمة ؟!

دموعي تهطل و يداي ترتجفان .. و ..

أساني تمزق الرق ...

الجلد البشري الحي المختلط بالديدان يأبى أن ينزل من حلقي ..

إن روحي تكاد تفارق جسدي من القرف والاشمئزاز .

ولكن كيف يكون الرق مصنوعاً من جلد بشري وقد صنع قبل ظهور البشر  
الحاليين على الأرض ؟

هل كان هناك بشر سابقين لجنسنا كما تقول بعض الروايات المتواترة . هل  
كان هناك بشر قبل آدم عليه السلام ؟ !

هل هبط آدم عليه السلام بالفعل على حضارة سابقة ؟ !

بالطبع لم تكن لحظات مناسبة للبحث في أسرار الكون الغامضة فأمامي  
مهمة مقرزة يجب أن أنهيها ، ولن يختلف وقع الأمر على روحي سواءً أكان

الرق مصنوعاً من جلد بشر حاليين أو سابقين أو من جلد الديناصورات ذاتها.

ليكن ما يكون.

يداي تدفعان الرق نحو فمي..

هناك قوى كاسحة تسيطر على أطرافي وعلى جسدي..

أنفاسي تضيق..

الطعم في فمي معرف.. لابد أن طعم الفشان الحية لا يختلف كثيراً.

أستاناني تتحرك يارادة خاصة وتمزق قطعة جديدة في وحشية..

قطعة خلف قطعة تنزل إلى أحشائي.. وروحي تكاد تزهق.

الرق يقل في الحجم مع مرور الوقت..

الأمر يصبح معتاداً.

قطعة خلف قطعة.

لا داعي للتمييز بين ملمس الجلد وملمس الديدان في فمي.

الأمر فقد شناعته.

أنفاسي عادت لتنتظم.

شعور عارم بالسکينة يغموري.

الأمر لم يعد مقرزاً تماماً.. فقد بدأت أتقبله.. بل وأستمتع..

اللحظة التي شعرت فيها بالتبديل، كانت هي اللحظة الأكثر متعة في  
حياتي..

لقد صرت أنا الرق.  
أنا التعويذة..

أنا القوة الوحيدة في الكون القادرة على التحكم في تلك الكائنات..  
أنا ملك هذا العالم..

فكرة تففر إلى عقلي..  
احتسر من الغرور.. لقد كان لعنتك..  
ولكنني لا أبالي.

أطرد كل الأفكار من عقلي.. لتسسيطر عليّ فكرة جديدة..  
من ذلك الأحمق الذي يمكن أن يضحي بقوّة مماثلة..

ثيابي تحذرني فأنزعها تماماً..  
أنظر لصدرِي فأرى النقوش هناك...  
من يريد الرق مجدداً فعليه أن يقتلني..

أنا الملك..

\*\*\*\*

## - قبل شروق الشمس -

لم تكن معركة عادية بأي حال من الأحوال.

إن معارك الجن مروعة ويقال في الأثر عندما أغرق الجن الدنيا بالدماء وأفسدوا فيها أرسل الله لهم جنداً من ملائكته فلا حقوهم عبر اليابسة إلى جزائر البحور وأطراف الجبال، فوحشيتهم لا مثيل لها. ولتشاهد المعركة الحالية يجب أن تأخذ نظرة عين الطائر كي لا يفوتنا من الأحداث أي جزء.

نائلة ومساعدوها من مردة الجن يقفون في مواجهة الكائن الشيطاني، وكل منهم يحمل شوكة ثلاثة مشتعلة ومن عينيه ينطلق الشر ومن أنفه يتتصاعد البخار، والمخلوق الشيطاني الذي يتجسد أمامهم في هيئة التيس العملاق يقف وحوافره تشير الرمال من حوله.

عندما بدأ الهجوم وانطلقت نائلة بصحبة المردة، كان الغضب يعميها تماماً، فاندفعت لتهاجم المخلوق الشيطاني بمخالبها الحادة في عنف شديد، وقابلها المخلوق بركلة عاتية من حوافر التيس التي تضخممت ألقتها عدة أمتار للخلف وجعلتها تشن وتتوسع وتطلق في النهاية صرخة غاضبة.

ما حدث في اللحظات التالية كان شيئاً مروعاً لم تخيله نائلة في أسوأ كوابيسها.

انطلق المخلوق الشيطاني كالبرق نحو المردة الخمسة المهاجمين ليعكس الصورة تماماً، فقتلتهم أستانه الحادة عنق أولئم سالبة إياه حياته الممتدة،

وليطيح بذراع الثاني بضربة هائلة من حافريه الأماميين، ويحطم صدر الثالث بقوته.. قبل أن تخترق جانبه الكثيف الشعير تلك الحربة المطلسمة المشتعلة المشعرة في يد رابعهم، لتوقف هجومه الكاسح ولتجعل غضبه يتفاقم أكثر..

الحربة المطلسمة أصابته بصاعقة مفاجئة من الألم كادت أن تفقده توازنه، مفعولها القوي جعلته ينهب الرمال متقهقرًا للخلف، والألم يعصف به ليعيد تقييم الموقف.

وعندما رأت نائلة تراجعه لمعت عيناهَا في جذل وقررت ألا تمنحه فرصة ليلتقط أنفاسه.

و بكل ما بداخلها من حقد صرخت، وهي تلتقط بالأرض ل تستمد منها قوة جديدة.

لقد قررت أن تستغل آخر ما في جعبتها من حيل سحرية..

التصقت قدماها المشعرة بالرمال وكأنها التحمت بها..

رددت كلمات سحرية ذات وقع عنيف..

ارتجفت الرمال التي أمامها.. وكأنها لا تريد أن تستسلم لتلك القوة الجديدة.. وفي النهاية تحركت.. لتسحول لعاصفة رملية مركزة..

انطلقت العاصفة الرملية قمعية الشكل كالإعصار لتهاجم المخلوق الشيطاني، وتصيبه في جسده المثخن بالجراح، بمئات القذائف الدقيقة المؤلمة.. وتکاد تطیح بعينيه..

في نفس اللحظة التي هاجم فيها مردة الجن الثلاثة الموجودون على قيد الحياة المخلوق الشيطاني.. بكل ما يعتمل في صدورهم من غضب.. ولكن المخلوق الشيطاني لم يكن صيداً سهلاً أو هيئاً.

ففي اللحظة التي حاصره الجميع فيها.. قفز قفرة هائلة تجاوزت العشرة أمتار متتجاوزاً العاصفة الرملية القاتلة التي صنعتها نائلة، وعندما لامست قدماه الرمال مجدداً قفز قفرة أخرى مماثلة مبتعداً عن حراب مردة الجن الآخرين.. ثم استدار متاهياً ليواجههم في نفس اللحظة التي لمح فيها بطرف عينيه حافة القمر وهي تبدأ في الظهور من خلف السحب ليجتاح جسده المثخن بالجراح رعدة عنيفة..

اللعنة على ذلك القرص المضيء.. إن الوقت يتسلل من بين يديه.. لو اكتمل ظهور القمر لفقد معظم قوته وربما حياته أيضاً.. فلا بدديل أمامه عن القتال حتى يصل الدعم.

ترابع لمسافة كبيرة بطريقة مفاجئة في محاولة لكسب بعض الوقت وخلفه نائلة والمردة الثلاثة الغاضبون.. في مطاردة مخيفة ارتجفت لها قلوب مخلوقات الصحراء.

وعلى حين غرة استدار المخلوق الشيطاني وبدأ هجومه الكاسح من جديد. فاستطاع بحركة مفاجئة أن يلتهم رأس مارد جديد منهياً حياته وخطورته، وهم بمهاجمة نائلة في نفس اللحظة التي ظهر فيها جزء جديد من القمر من خلف السحب ليصاب بضعف مفاجئ جعله لا يكمل الهجوم.. فاستغلت نائلة الفرصة وانقضت على قائميه الخلفيين تتشبث فيما أنيابها الحادة، وليطعنه الماردان الباقيان بالحراب التي اشتعلت بنيران هائلة متوجهة.

صرخ الكائن الشيطاني وحاول أن يتقهقر.. ولكن نائلة كانت ملتقة بقائمتيه في قوة.. وكأنها متمسكة بآخر نسائم الحياة..

الماردان الآخران انهمكا في تمزيق جسده بالحراب في غل حقيقي.. القمر يظهر كاملاً من خلف السحب.. ليسله ما تبقى من قواه.. فيشعر بقوته تفتت.. ونهايته تقترب..

إن الألم شنيع..

حاول أن يقتضي عنق أحد المردة، ولكن الحراب المشتعلة منعه.. المخلوقات الأخرى التي في كهف الأمنيات غاضبة هائجة تطالبه بالصمود، والتركيز فهو أملهم الأخير.

قائماه الخلفيان يتحطمان..

يطلق خواراً متألماً..

إن نائلة تقاتل في عنف.. وترد كراهية خمسين عاماً من الألم للمخلوق.

المارد الذي بتر ذراعه يحاول أن يحطم القائمين الآخرين، والمارد الأخير  
يهاجم عينيه.

مخلوقات الكهف تتواصل معه.. تمنحه دعماً عقلياً.

إنه لم ينته.. ولن يستسلم.

يستجمع قوته المنهارة.. يركل نائلة في قوة وعنف يقائمه المحطمان  
ليجتاحه ألم عنيف ولكنه يتحرر..

تندفع نائلة إلى الخلف لمسافة قصيرة ثم تسقط على ظهرها من المفاجأة،  
ثم تهرب نافضة الرمال عن جسدها والغضب يأكل في روحها، فتسقط على  
المخلوق الشيطاني وهي تردد تعويذة جديدة بكلمات ذات وقع رهيب..

حالتها لم تكن تختلف عن حالة المخلوق الشيطاني.. فجسدها مشخن  
بالجرح من آثار ضربات حواري المخلوق الشيطاني.. وجروحها تنزف سائلاً  
خفيف القوام يميل للون الأزرق الداكن.

قبضتا نائلة مشتعلتان بالنيران..

إنها تشعر بضعفه..

وربما كانت هذه هي فرصتها الأخيرة.. الآن ستتمكن من إحراقه والتحرر..  
وعندما همت بإطلاق كرتى البيران من يديها.. سمعت العواء.. فارتجمت  
يداها لتصيب الكرتان التاريتان الرمال بين قدمي المخلوق..

لقد تأخرت كثيراً.. واستطاع المخلوق الشيطاني استخدام إحدى قدراته  
المتفوقة.

فعن طريق قدرة ذلك المخلوق الشيطاني على السيطرة على حيوانات  
عالمنا.. استدعى من على بعد كيلومتر كامل قطعياً مفترساً من الذئاب..  
أكثر المخلوقات إثارة لرعب الجن على وجه هذا الكوكب.

فالذئاب يرونهم ولا يمنعهم مانع عنهم، كما أنهم يتهمونهم في كل  
حالاتهم، سواءً أكان الجن في هيئته الطبيعية أو متجمساً في شكل حيوان  
أو بشر، فللذئب خاصيتان رهيبتان :

الأولى: أنه إذا وقعت عينه على جني فإن الذئب لا يحول عنه بصره بل  
يثبت نظره عليه بشكل تام، حتى ولو فصل بينهما واد أو شجرة أو عازل،  
فالذئب يدور من حوله فلا يجعل هذا الجني الذي رصده يغيب عن بصره  
لحظة واحدة.

والسر في ذلك أن الأرواح الجنية يقيدها النظر.. فلا تستطيع الانصراف ما  
دام النظر متعلقاً بها.. ويعرف ذلك من اشتغل بالسحر والتحضير وتجسد

له الجن، والجن الخبيث كي يهرب من هذا الشرك يهبي للساحر صورة وهمية بأنه يتحرك من مكانه إلى جهة من الغرفة.. فإذا تبع الصورة بمنظره اختفى وانصرف.. والساحر القدير بمجرد اكتشافه للخدعة يثبت نظره على المكان الذي خرج منه الجنى وسرعان ما تتلاشى الصورة الوهمية ويظهر من جديد في نفس المحل.. فالنظر يقيدهم..

ثانياً : بالنسبة للجن والأرواح المماثلة هناك خاصية في موطن قدمها على الأرض.. هذه الخاصية تمثل وسيلة محكمة لإيقافهم، فوضع القدم مكان موضع قدمه على أثر خطوته.. يجعل الجنى يتسمى في مكانه ولا يتحرك.. والذئب يدرك ذلك جيداً ويستغله ضد الجنى.. فيسمى في مكانه بإحدى هاتين الطريقتين.. ثم ينقض عليه ليلتهمه.

والذئاب التي استدعاهما المخلوق الشيطاني لم تكن تختلف عن باقي الذئاب في المعرفة.. بل كانت تتفوق أن هناك من يسيطر عليها ويشاهها كل حقده وكراهيته ووحشيتها.. فلم تنتظرك الذئاب لحظة واحدة.. ولم تقم بطقوسها المعتادة لقياس قدرة عدوها قبل الهجوم.. فعلى الفور هجم قطيع الذئاب بكل وحشية على نائلة والمارددين الآخرين اللذين حاولا الهرب كعاصفة هوجاء لم تبق ولم تذر.

وفي لحظات قليلة شق الظلام صوت عزيز الجن المتألم والذئاب تمزق أعضاءه وتلتهمه.

القطيع انطلق كإعصار وحشي عاتٍ ليؤدِّي آمال نائلة ومساعديها، بل والتهم بقايا الجثث الأخرى المتشاثرة على الرمال.. والمتخلفة عن معركتهم مع المخلوق الشيطاني..

وبصعوبة فائقة وقف المخلوق الشيطاني على قوائمه المحطمـة وهو يذرف من عينيه سائلاً داكناً يشبه الدموع إلى حد كبير، واستخدم كل ما في جسده من قوة ليكمل رحلته.. وخلفه قطـيع كامل من الذئاب المتأهبة وعيونـهم تشتعل بالغضب والوحشـية.

\*\*\*\*\*

الآن أنا خارج الكـهف..

أقف وسط البرد والظلمـ، ولا أشعر إلا بتلك القـوة الأسطوريـة التي تسري في عروقـي وتموجـ بكـياني..

التـاريخ كله لم يرصد حالة مماثلة لحالـتي.. إنـي التعـويذـة الوحـيدة الـحـية عبر القـرون..

أنا من أملك القـوة التي حـلم بها كلـ البشر عبر التـاريخ..

أعـرف الآن جـيداً.. أنـ الصـوت الذي حدـثـي بأعـماقـ الكـهـف لم يكن صـوتـ المـخلـوقـ الغـرـيبـ، ولم تـكنـ لـنـائـلـةـ يـدـ فيهـ..

لقد كان اتصالاً فائقاً مع تلك المخلوقات الشيطانية الموجودة بأعمق الكهف.. اتصالاً عقلياً بذلت فيه تلك المخلوقات الشيطانية جهداً لا مثيل له حتى أتموه..

لقد قرعوا عقلـي..

عرفوا نقطة ضعفي..

إنـي بـشـري وـقد جـبـلت عـلـى الغـرـور..

بـشـري يـحـلم بـأـن يـمـتـلـك كـل شـيـء.. وـأـنـا لـم أـنـكـر هـذـا..

أـنـا أـرـيد كـل شـيـء..

لـقـد وـعـدـونـي أـنـ أـكـوـن الـمـلـك.. السـيـد عـلـى كـل الـبـشـر.. بـل سـأـكـوـن سـيـدـهـم..

وـعـدـونـي بـأـن يـمـنـحـونـي سـرـ الـخـلـود وـكـل كـنـوز الـأـرـض..

وـفـي لـحـظـة وـاحـدة اـنـتـقـلـت إـلـى الـمـعـسـكـ الـآـخـر..

الـمـعـسـكـ الـأـقـوى..

الـآن أـنـا أـمـتـلـك قـوـة رـهـيـة وـأـعـرـف كـيـف أـحـرـرـهـم.. وـكـيـف أـسـيـطـر عـلـيـهـم ليـكونـوا أـوـل الخـدـمـ فيـ الـعـالـمـ الـجـدـيدـ الـذـي سـأـصـيـرـ مـلـكـهـ.

- أحـمـقـ.

دوى الصوت في عقلي كسوط لاهب.

استدرت لأوجه صاحب الصوت لأفنيه ولكنني لم أجده إلا الفراغ..

صرخت بصوت غاضب لاهث :

- من أنت أيها الحقير لتدعوني بالأحمق.

الصوت يدوبي في عقلي من جديد

- أنا الغريب.. أنا من وثق فيك وخذلته.

أصرخ بعنف :

- أغرب عنِي.. إن دورك سيأتي قريباً..

ترد الصوت بعنف بداخل عقلي :

- أفق أيها المجنون.. أفق لا يجعل غرور القوة يعمي عينيك.. إنك تضحي  
بعالمك بالكامل من أجل رغبة دونية.. استيقظ.. استيقظ.

لم ألتقط له.. كنت أنتظر قدوم مساعدِي الأول وأنتظر شروق الشمس  
الذي اقترب كثيراً..

لقد انتهت نائلة.. أعرف هذا الآن..

لم يتبق إلا هذا الغريب وتصبح الأرض ملكي..  
فقط على الانتظار.

\*\*\*\*\*

كان عليهم الآن خرق القانون الأعظم.. إن البشر جنس لا يعتمد عليه حتى  
لإنفاذ نفسه.. لقد فشلت محاولتهم الأولى وعليهم الآن العبور..

هم يعرفون جيداً أن وكالة ناسا ستستطيع بأجهزةتها المتقدمة رصد عورتهم  
فالطاقة الناجمة عنه ستصيب أجهزتهم بالجنون.. ولكن لا وقت الآن  
للحدر أو لإنفاء آثارهم. كل شيء يمكن معالجته وتداركه بعد إنتهاء هذه  
الأزمة.

الآن يجتمعون في قلب الساحة العظمى بعاليهم مكونين حلقة هائلة تضم  
الآلاف منهم بأجسادهم النورانية المتألقة.. وبمتصف الحلقة وقف عشرة  
منهم بأجسادهم الضوئية التي اكتست بضوء بنفسجي مريض.

الآن عليهم جميعاً الاتحاد وتركيز طاقتهم لنقل هؤلاء العشرة إلى النقطة  
المحايضة التي منها سيسلكون طريقها بالانطلاق صوب بلاد المغرب..

الجمع تتلامس أطرافه المتألقة..

ضوء هائل ينجم عن الاتصال العقلي الفائق.

ترنيمة واهنة تبدأ من مكان ما.. ثم تشتد..

الدائرة الهائلة التي تمتد لkilومترین كاملين تتحول لقوس ضوئي هائل يدور  
في قوة حتى يتذكر فوق رؤوس المخلوقات العشرة المحاطة بالضوء  
البنفسجي..

الترنيمة تصبح لحنًا سماوياً عذباً.

فجوة متألقة تُفتح أمامهم.. عمود من نور ينطلق عبرها ليسحب المخلوقات  
العشرة في تتابع دقيق..

الانتقال يتم بهدوء شديد..

الانتقال كان يتم قبل عشرات السنين بالأجهزة المتطرفة ومركبات الأبعاد.  
الآن هم في ذلك المكان الذي تسبح فيه المخلوقات الجيلاتينية والتي  
تعمل على حفظ توازن الانتقال..

إن هذه المخلوقات آلات أخرى من نوع خاص.. صنعواها من أجل أن  
تساعدهم في تحديد الأماكن المختارة بدقة.. وليرصدوا أي متغيرات في  
مدارات الانتقال.

الآن هم ينتقلون بسهولة عبر فضاء المكان.. يشكلون حلقة واحدة يصيرون  
حيط متوجّح من الضياء.. ينطلقون في قوة.. يصلون للنقطة المختارة..  
لقد عبروا أخيراً إلى دنيا البشر.. أشد مخلوقات الكون حماقة وغروراً.

الآن عليهم أن يتصدوا للمخلوق الحر أولأً.. فلم يتبقَ على الشروق إلا  
دقايق معدودة.. ثم يهتمون بمخلوقات الكهف.

إنهم يقطعون الصحراء كشهب بيضاء متألقة ويصنعون خلفهم عاصفة رملية  
هائلة..

يقابلون في منتصف المسافة كتيبة كاملة من مردة الجن والتي تستعد لخوض المعركة ضد المخلوقات الشيطانية والمت حول البشري .  
الجميع يتهدأ لدرء الخطر عن عالمه ولكن الوقت عامل مهم جداً ..  
يجب أن يتم كل شيء قبل الشروع ..

## - معركة -

عندما رصدت أجهزة ناسا ذلك التدفق الهائل للطاقة لم يستطعوا تفسير الأمر.. عجزت عقول علمائهم وعقولهم الإلكترونية عن سر حقيقة ما تم رصده..

أما في روسيا وفي قسم خاص تابع للمخابرات رصدت مجموعة من ثلاث فنيات توائم اختراقات على مستوى عقلي فائق.. فتيات مدربات يعرفن جيداً حقيقة ما يحدث.. ولكنهن لسبب ما لم يخبرن ضابط الاتصال بما توصلن إليه.. ولا الخطر الذي يواجهه كوكب الأرض.

فقط في التبت رصد الرهبان تلك التغيرات الهائلة على المستويين المادي والعقلي وأدركوا طبيعة الخطر وقرروا أن الوقت قد حان ليتحركوا.

الفكرة التي كانت تدور في عقول كثيرة على مستوى العالم، أن كوكب الأرض يواجه محنـة هائلة لم يتعرض لها منذ طوفان نوح عليه السلام.. إن البشر خطر كافٍ على الكوكب.. فما بالكم عندما يأتي الخطر عبر الأبعاد مهدداً مملكتي الجن والإنس وممالك الأبعاد الأخرى.. إنها اللحظة التي يجب أن يتحرك فيها الجميع لدرء الخطر.. ولكن هل يكفي الوقت؟!

لم يتبقَ على شروق الشمس إلا دقائق معدودة والمخلوق الشيطاني يقطع الطريق الساحلي الآن في رحلته صوب جبال المغرب، وحيث تقع قمة جبل توبيقال وكهف الأمانيات المظلمة.

في نفس التوقيت الذي انطلقت فيه المخلوقات الغربية لتحاصر قمة الجبل صانعة ما يشبه درعاً ضوئياً هائلاً متألقاً.. تم رصده عن طريق الأقمار الصناعية مما حث قوات الشرطة المغربية على التحرك بعد أن جاءها أمر صارم من أعلى المستويات.

سحرة المغرب الحقيقيين الذين لا يبعدون أصابع اليد الواحدة اجتمعوا معاً في سابقة هي الأولى من نوعها.. خاصة بعد أن أحاطوا علمًا بما يدور في كواليس عالمهم المظلم.. وعلى الفور قرروا أن الوقت قد حان لتدخلهم حفاظاً على مكتسباتهم من هذا العالم.

أما أنا فقد كنت أمارس نشاطاً آخر ساحراً..

التعويذة التي امتزجت بلحمي ودمي منحتي قدرات خاصة مذهلة، كان أروعها هي القدرة على قهر الجاذبية.. صحيح أنني لا أستطيع الطيران لأكثر من عدة أمتار لكن الشعور كان رائعًا.. فلأقطع الوقت المتبقى في ممارسة هذه الرياضة المذهلة.. إنني أطير حقاً بلا أجنهة..

حاولت أن أغادر قمة الجبل ولكني شعرت بحاجز خفي يمنعني من مغادرة المكان.. ولأنني كنت في قمة نشوتني فإني تجاهلت الأمر تماماً وعدت أسبح في فضاء المكان كطائر خرافي، ويداخل رأسي كان هناك تواصل فائق يتم..

المخلوق الشيطاني مصاب بشدة، يتآلم ويعاني ويُكاد يسقط منهاهأ فأحثه  
على موافقة رحلته..

إنه يطالبني أن أتحرك، أن أستخدم قدراتي الهائلة في كسر الحاجز الذي  
سيمنعه من الوصول لقمة الجبل عند وصوله.

أنا أرغب في مساعدته ولكني لا أعرف كيف. إن الحاجز منيع جداً..  
وبداخلي تقاتل آلاف المشاعر..

صراع مخيف يدور بداخل عقلي وكأن هناك قوتين تحاولان الاستحواذ  
عليه.

المخلوقات الشيطانية تطالبني بالعودة إلى الكهف لأحررها كي يمنحوني سر  
الخلود.. ولكني لا أرغب حقاً..

خوف مرعب يتسلل إلى داخل كياني.. ظلام هائل يطوق روحي.. لا لن  
أطيعهم..

أنا من يحتاج للمساعدة.

سأنتظر فلم يتبق على شروق الشمس إلا لحظات.

\*\*\*\*

أخيراً وصل المخلوق الشيطاني إلى المغرب.. لم يعد متبقياً إلا مسافة قليلة ليقطعها..

خيط النهار الأبيض الأول يمزق عتمة الليل.. مرسلاً شعاع الشمس الخجول ليخترق جسد التيس المصاب، والذي يمنع المخلوق الشيطاني من الانطلاق واستخدام كامل قوته..

شعاع الشمس يخترق جلد التيس بطريقة عجيبة ومدهشة وعندما يلامس خلايا المخلوق.. يحدث تفاعل هائل.. مؤلم.. فكل طاقة الشعاع تسرب إلى خلايا المخلوق الشيطاني المحاصرة في غلاف الدم واللحم لتمنحها قوة لا مثيل لها..

المخلوق الشيطاني يشعر بقوة هائلة لم يختبرها من قبل..  
و قبل أن يتمكن من استيعابها..

يضرب شعاع الشمس التالي خلاياه في قوة..

يصرخ بقوة.. خواره يخترق أجواز الفضاء ليمنح لمخلوقات الكهف الأمل الذي طال انتظارهم له..

نشوة هائلة تغمره..

قرص الشمس يسطع بكمال قوته..  
إنه الآن يتحرر..

يغادر جسد التيس الذي تبيس جلده وفقد الحياة وتحول لكومه هشة من التراب بعشرتها الرياح.

الشمس تواصل عطاءها للمخلوق.. فتشفي جراحه وتضاعف قواه عشرات المرات..

إنه الآن يمتلك القوة، قادر على كل شيء.. لذا فإنه انطلق كشهاب حارق ليقطع مئات الكيلومترات في لحظات قليلة.. وعندما وصل إلى سفح الجبل توقف للحظات.. فقد تضاعفت قدرات حواسه. فأنفه تشم رائحة الخطر القريب.

دار حول نفسه في سرعة ليرصد مكامن الخطر، وبسمعه الخارق سمع الأصوات الهاامية.. وعرف اللغة على الفور.. وحدد عدوه.

المئات من قبائل الجن المختلفة التي تغص بها التلال الصخرية احتشدوا لقتاله..

كان يتوقع خطراً أكبر.

تواصل مع قطيع الذئاب الذي صاحبه في رحلته.. وبقوة لم يكن يدرك أنه يملكونها.. استحضر القطيع بالكامل إلى حيث يقف.

نظر للعيون الوحشية اللامعة التي لا يضيع بريقها حتى بعد موته وأطلق خواراً مزليلاً تردد صداؤه في الأجواء.

إنه منتشي بالقوة.. لا يوجد شيء يمكن أن يخيفه.. والشمس في كبد السماء ساطعة تمنحه المزيد والمزيد من القوة والقدرات.

تشمم الهواء فرصد عدواً آخر ولكنه أقل قوة.. فتتجاهل الأمر وسلط تفكيره على قبائل الجن.. إنه بكمال عنفوانه سيخوض هذه الحرب المتكافئة قبل أن يتفرغ لتحرير رفاقه..

\*\*\*\*\*

المنطقة حول قمة توبيقال استحالت خانقة.. مزدحمة.. تغص بالقلوب النابضة.. والعقول الواحفة.. والأصوات المخيفة.. فالآلاف من المخلوقات الغاضبة يغص بهم كل شبر من الأرض.. الجميع يدافع عن كوكب الأرض ليحمي أرضه الخاصة وبعده الخاص..

فيهاية أرض البشر تعني فناء باقي الأبعاد..

الجنس الدموي الذي يمتاز بالحمامة والغرور، هو الذي يتحكم من عالمه في مصائر عوالمهم.. فلديه السلاح القاهر الذي نتج عن شطر الذرة، والعوالم السبعه لن تصمد أمام سلاح كهذا سيحدث اختلالاً هائلاً في ذبذباتها وستفنىها بمخلوقاتها..

الكل اجتمع على قلب رجل واحد لدرء الخطر.

كتائب من قبائل الجن تحتشد وتتحشد للمرة الأولى عبر مئات القرون.

الشخص الغريب ومخلوقات عالمه بدلوا خطتهم وقرروا أن يحموا الكهف  
نفسه، لن يخترق أحد الجبل إلا بعد فنائهم..

أما أنا فكنت كطفل غريب يمارس دوراً رهيباً لا يستوعب أبعاده بعقلية طفولية  
بحته..

إنني قوي.. وعلى الجميع أن يخضع لي..  
إنني خائف ولن أخضع لأي طرف..

الأمور كانت متواترة وكنت أنا مغروّغاً في ذاتي، لابد وأن لعنة نائلة/سامح لم  
تنتهِ..

إنني أمارس حماقتي يا صرار سيزيفي مخيف..

لم تعد الثلوج تحيط بقمة الجبل لقد انصرفت وتبخرت المياه المختلفة  
عنها لسبب مجهول.. الحيوانات ومخلوقات الجبل غادرت المنطقة بغير  
رجعة.. حاستها الفطرية أنهايتها بخطورة الموقف.

وفي لحظة ما شعرت بأن الصراع الهائل الدائر بداخلي بين تلك القوتين قد  
انتهى.. وشعرت بكم هائل من المشاعر السلبية تجتاح كياني، فقدت  
اهتمامي بكل شيء حتى الطيران وشعرت بعقلاني يعود ملكاً لي.

لقد كنت واقعاً تحت سيطرة استحواذ شيطاني هائل أفقدني رشدي ومنطقتي وحكمتي.. لابد أن المخلوق الغريب قد حرني بوسيلة ما من سيطرتهم.. ولابد أنه هو من وضع الحاجز غير المرئي..

الآن أنا أرى بعيني مقدار الهول المحيط بي والكارثة التي أصابتني..  
معلومات هائلة تتدفق بداخل عقلي..

إنني على اتصال بكل الكائنات المتواجدة في محيط الجبل..  
الجميع يطلب مني أن أبىهم الأمل..

ولكنيأشعر بالضياع.. أنا من أحتج للمساعدة..  
وعندما تجسد الشخص الغريب أمامي، عرفت أن المعركة قد بدأت وأن  
النهاية قريبة..

وعندما امتنج عقلانا ارتجف جسدي عشرات المرات..  
إن الأمر خطير حقاً.

\*\*\*\*\*

تمدد المخلوق الشيطاني حتى غطى مساحه هائلة من الأرض وكإعصار  
عادِ بدأ في اجتياح قبائل الجن المجتمعية..

لم يبال بحرابهم أو أعاصرיהם أو لعناتهم التي صبواها على رأسه..

اقتضم جمعهم وعاش فيهم قتلاً وتمزيقاً..

ومع كل جن يسقط كان يشعر بالمزيد من النشوة والرهو.

إنه يفوق الجميع قوة..

وخلال دقائق كان قد قام بدمبحة هائلة..

ما يفوق الألف من مردة الجن قد تمزقوا وفقدوا حياتهم..

لقد تحول إلى شيطان حقيقي..

إنه يحارب في جميع المستويات والذبذبات..

قدرته تفهـر الجن في عالمـهم، أو في تجسـدـاتهمـ التي لا تنتهي..

قبـائلـ الجنـ تـقـاتـلـ وـيـبـدوـ أـعـدـادـهـمـ لـاـ نـهـائـيـهـ.. لـقـدـ قـرـرـواـ إـنـهـاءـ الـخـطـرـ مـهـماـ  
كـانـ الشـمـنـ..

الدمار هائل والصخور تـنـاثـرـ فـيـ كـلـ مـكـانـ..

رجال الشرطة المدعومين من الجيش سحقـهمـ انهـيارـ صـخـريـ هـائلـ فـورـ  
اقـتـرـابـهـمـ مـنـ أـرـضـ المـعـرـكـةـ. وـمـنـ فـرـزـ مـنـهـمـ التـهـمـهـ قـطـيعـ الذـئـابـ فـيـ وـحـشـيةـ  
غـيـرـ مـسـبـوـقةـ..

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فالسحرة الذين اجتمعوا للدفاع عن مملكتهم السحرية، احترقوا بنيران زرقاء مخيفة فحتمت جثثهم.. قبل أن تحول لهم لرماد تناثر في سماء المعركة..

إنها حرب إبادة وحشية تتم على كافة المستويات.. فقط رهبان التبت هم من صمدوا أمام الهجوم العقلي الكاسح للمخلوق.. صمدوا ولكن ليس لوقت طويلا.

قلق رهيب أصاب المخلوقات الغربية من نتائج المعركة.. المخلوق الشيطاني يزداد قوة مع مرور الوقت ويبدو أن هناك تطويراً كبيراً في قدراته يحدث.. إن مفعول الشمس عليه مختلف وبشدة عن تأثيرها القديم. هناك طفرة حدثت للمخلوق.. لابد وأن هناك تطوراً كونياً قد حدث في مكان لم يتم رصده منح للمخلوق صفات جديدة وقرارات غير مسبوقة.. والمخيف أن هذا التأثير لابد وأنه سيشمل مخلوقات الكهف الغاضبة.

تواصل الشخص الغريب مع رفاقه وتدارسوا الأمر في عجلة.. وفي وقت وجيز وضعوا خطتهم.

تقاربوا..

تلامسوا..

تهامسوا..

امترج كيانهم فصاروا ككائن واحد..

ثم أطلقوا استغاثة عقلية هائلة، اجتاحت كوكب الأرض من أقصاه إلى أقصاه، ووصلت لكل من يمتلك قوى خارقة على كوكب الأرض..

إنهم في حاجة إلى المساعدة.. وهنالك بين البشر مجموعة مميزة سمت بروحها فوق قيود الجسد والنفس وامتلكت قوى مختلفة.. إنهم الآن يعملون على التواصل مع الجميع من أجل إيقاف هذا الشر القادم من بعد الظلام المخيف.. ونتائج المعركة لا توحى بخير..

فقبائل الجن تندحر طوال الوقت والمخلوق يزداد قوة في كل لحظة.. والمخلوقات الغربية تقاتل سيطرته العقلية المخيفة..

وعندما أوشكت القلوب على اليأس بدأ التغير يحدث، وعبر أقطار الأرض بدأ اتحاد عقلي هائل.. قاده رهبان التبت..

مئات من البؤر العقلية تتشكل.. عبر الجبال والوديان..

كل مجموعة تقوم بتكوين خلية عقلية منفصلة لتشتيت الحصم..

إنهم يحاولون إنهاكه قبل الانقضاض عليه.. فهم يعلمون أن القضاء على المخلوق لن يتم ببساطة أو بسهولة وأن الشمن سيكون فادحاً.. خاصة وهو يستمد تلك القوة المروعة من الشمس طوال الوقت..

تواصلت العقول.. نبضت.. بثت أفكارها.. ثم توحدوا.

لابد في البداية من حرمان المخلوق من مصدر قوته قبل الإجهاز عليه عن طرقني.. فبعد تحولي صرت أنا السلاح.. أنا التعويذة الحية..  
إنهم سيقلبون السحر على الساحر..

لن تصدق المخلوقات ما ارتكبته في حق نفسها، بتنفيذ فكرة تحويلي الحمقاء.. فبدلاً من أن أكون طوق النجاة.. صرت الخطر الأكبر.  
وعلى الفور بدأت مئات الآلاف من العقول في التفكير محاولة منهم للوصول لطريقة سريعة للتنفيذ..  
وعلى الفور تبلورت الفكرة..

قام الجن بقدراتهم الخارقة بإشعال نار هائلة مخيفة أطلقت أدخنة وعواودم تكفي لتعتيم نصف العالم..

وعن طريق المخلوقات الغريبة تم إذكاؤها وجعلها تشكل مجموعة هائلة من السحبأخذت في تغطية السماء وإعتامها.. لتصير كمظلة هائلة سوداء عملت على حجب الشمس وتأثيرها.  
إنهم يتقدمون بخطوات ملموسة..

شعر المخلوق بما يحدث فكشف هجومه على مردة الجن متوقعاً أن يفسد تعويذتهم ولكن الأمر لم يكن بالبساطة المتوقعة..

فعندما حُجبت الشمس تماماً فقد الجزء الأعظم من قوته.. وقد تركيزه للحظات..

وفي اللحظة التالية شعر بقبضة عقلية هائلة تكبله.. إن رهبان البت لا يمزحون.. ويعرفون حقاً ما يفعلون..

تساقط العشرات منهم صرعي.. ولكنهم قادوا الهجوم في بسالة غير معهودة..

ومن قلب الجبل استخرجت المخلوقات الغربية سلاحاً قديماً دفن في قلب الجبل وقاموا بتذخيره..

إنهم لن يسمحوا للمخلوق ومخلوقات الكهف بالانتصار.. حتى ولو فني معهم نصف البشر.

رهبان البت يقودون هجوماً كاسحاً، والمخلوقات الغربية تكافح كي تصد الهجوم اليائس الذي يقوم به المخلوق.. بعد أن فقد السواد الأعظم من قوته وقطع الذئاب..

معركة كونية مروعة.. لو لم أكن بقلبها لما صدقت حدوثها..

تواصلت مع المخلوق الغريب أستحثه على طلب المساعدة من مخلوقات باقي الأبعاد.. وكان رد الغاضب صادماً..

لم أكن أعرف أن شرور البشر تنتقل أيضاً عبر الأبعاد وأن البشر يوزعون  
كراهيتهم على مخلوقات الكون دون أن يدركون، وأن مخلوقات الأبعاد  
الأخرى تتنمي فناءنا.. وأن مخلوقات باقي الأبعاد.. تبدو هذه المخلوقات  
الوحشية بجوارها كالنسائم أمام غضب العاصفة..  
المعركة كانت على أشدّها..

الصرخات لا تقطع والأشلاء في كل مكان.. والمخلوق الشيطاني بrgم  
احتياج الشمس يقاتل بشراسة وعنف..

اتصال عقلي فائق من مخلوقات الكهف في محاولة للسيطرة علي.. لا..  
لا، لن تستطعوا السيطرة علي مجدداً.. أنا لست بالضعف الذي تتوهموه..  
أتريدونني في الكهف.. حسناً إنني قادم..

استدررت متوجهاً إلى أعماق الكهف، وخلفي تدور رحى معركة تبدو وكأنها  
ستستمر إلى الأبد.. فقد تكالبت قبائل الجن على المخلوق الشيطاني  
وتحلت المخلوقات الغربية عن قمة الجبل وألقوا بأنفسهم في  
أتونها.. المخلوق الشيطاني مصاب إصابات فادحة ولكن لا يجد  
ستوقفه أو ستمنعه من إتمام ما يريد..

آلاف الأضواء تسقط في عتمة الليل، وانفجارات هائلة أخذت تهز الجبل  
في عنف وكأنه يتم رجمة بقنابل شديدة التدمير..

المخلوق يتقدم برغم عنف المعركة واحتجاج الشمس..

عبرت إلى الكهف وبداخل عقلي فكرة واحدة..

الموت..

## الخاتمة -

عندما عبرت إلى الكهف قررت أن أفعّل التعويذة، التعويذة الممترزة بلحمي  
ودمي..

لم أكن أعرف كيف، ولكنني كنت متأكداً من قدرتي على تفعيلها..  
اخترقـت الكهـف هابـطاً في خـفة فـراشـة.. قـدرـتـي عـلـى الطـيرـان سـاعـدـتـي عـلـى  
قطـعـ المسـافـةـ فيـ وـقـتـ قـيـاسـيـ..

عبرـت صـوبـ الغـرـفـةـ ذاتـ الجـدـرانـ الرـاجـجـيةـ وهـنـاكـ عـثـرـتـ عـلـىـ بـغـيـتـيـ..  
الـخـنـجـرـ المـطـلـسـ..

طـعـنـتـ ذـرـاعـيـ بالـخـنـجـرـ فـسـالـ دـمـيـ حتـىـ أغـرـقـ النـصـلـ.

\*\*\*\*

الـدـمـ هوـ الـذـيـ يـرـبـطـ هـذـهـ الـعـوـالـمـ بـعـضـهـاـ .

\*\*\*

ثم تقدمـتـ لأـعـماـقـ الـكـهـفـ أـكـثـرـ.. الأـعـماـقـ الـتـيـ لمـ أـرـهـاـ مـنـ قـبـلـ..

\*\*\*\*

إنـ دـمـاءـ الشـيـخـ يـاسـينـ تـسـرـيـ فـيـ عـرـوـقـكـ.. لـقـدـ اـنـتـقلـ الـعـهـدـ إـلـيـكـ

\*\*\*\*

فسحة هائلة في ظلام الكهف عبرتها فشاهدت الجحيم مجدداً .

\*\*\*\*

من قتل المخلوق الأول قادر على قتل المزيد.

\*\*\*\*

المخلوقات المروعة تقع بداخل الفتحة يكملها سائل مضيء تتماوج بداخله  
مخلوقات جيلاتينية مشابهة لتي رأيتها أثناء العبور

\*\*\*\*

لقد استطاعوا بالعلم والسحر قهر هذه المخلوقات وسجنتها

\*\*\*\*

أتقدم أكثر..

أقف بقلب القاعة الهائلة التي تحتوي على المخلوقات الشيطانية..

مجرد النظر إليهم يجعل المرء يتمنى لو يفقد بصره..

أتقدم من كبارهم المكبل وصراع عقلي عاتٍ يحتاج رأسي..

إنهم يحاولون السيطرة عليّ ودفعي للموت..

تلك المخلوقات الشيطانية قامت بتحويل التعويذة إلى كائن حي.. موطه يعني انتهاءها ولكنني لم أكن أنوي الموت على طريقتهم.. لن أموت إلا حينما يحين أجلني..

كبيرهم ينظر إلى النار تستعر في عينيه ولكنني أعرف كم هو عاجز.. إن السائل المضيء يكبله.

أتقدم منه ونظارات عيني مسلطة عليه وجذعي العاري يتائق بكلمات التعويذة..

إنني منيع ضدهم..

أنا الخطر لا هم..

و بكل قوة رفعت الخنجر ثم أغmedته في قلب كبيرهم..

ثم تفاديت السائل الملتهب بقفزة واسعة..

لقد استوعبت الدرس جيداً هذه المرة.. لن أفقد إصبعاً آخر.

وبهستريا مخيفة شرعت في إتمام مهمتي.

كم ساعة مضت حتى أجهزت عليهم جميعاً.. لا أعرف حقاً.. ولكن قلب الجبل أخذ في الانصهار..

والذوبان..

توقعـت أن ينهـار الجـبل فوق رأـسي ليـدفـنـي بـداخـله.. ولـكـن المـخلـوقـات  
الـجيـالـاتـينـية كـانـت قد قـامـت بـعـملـهـا فـي حـفـظـ التـواـزنـ فـقـامـت بـصـنـعـ غـشـاءـ  
هـائـلـ اـحـتوـيـ السـائـلـ بـداخـله.. وـعـنـدـمـاـ غـادـرـتـ الـكـهـفـ مـجـدـاـ كـانـ الـمـخـلـوقـ  
قد وـصـلـ إـلـىـ هـنـاكـ وـهـوـ يـعـانـيـ مـنـ إـصـابـاتـ لـاـ تـحـصـىـ.. بـعـدـ أـنـ كـبـدـ  
الـمـهـاجـمـينـ خـسـائـرـ فـادـحةـ.

توقفـتـ أـمـامـهـ وـجـسـدـيـ مـتـوـتـرـ وـعـيـنـايـ مـشـتـعلـتـانـ بـالـغـضـبـ..  
وعـنـدـمـاـ هـاجـمـنـيـ كـانـ هـذـهـ هيـ حـرـكـتـهـ الـأـخـيـرـةـ.. لـأنـ خـنـجـرـيـ طـارـ لـيـشقـ  
الـهـوـاءـ وـلـيـنـفـرـسـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ..

ليـنـكـمـشـ جـسـدـهـ فـيـ سـرـعـةـ رـهـيـةـ.. وـلـيـطـلـقـ صـرـخـاتـ لـابـدـ وـأـنـهـ كـانـ  
سـتـصـيـنـيـ بـالـصـمـمـ لـوـكـتـ فـيـ ظـرـوفـ أـخـرىـ..  
ثـمـ أـخـذـ الـجـسـدـ فـيـ الـانـكـماـشـأـكـبـرـ.. قـبـلـ أـنـ يـنـفـجـرـ فـيـ قـوـةـ.

وـقـبـلـ أـنـ يـصـيـنـيـ الرـذـاذـ الـحـارـقـ، وـجـدـتـ الـمـخـلـوقـ الغـرـيبـ يـحـيـطـنـيـ بـهـالـةـ.  
بـنـفـسـجـيـةـ حـمـتـيـ مـنـ الـانـصـهـارـ وـالـمـوـتـ.

سـقطـتـ عـلـىـ رـكـبـيـ منـ الإـرـهـاقـ وـقـلـبـيـ يـنـبـضـ بـقـوـةـ.. وـالـتعـوـيـذـةـ الـتـيـ عـلـىـ  
صـدـريـ تـمـنـحـنـيـ آـلـاـمـاـ هـائـلـةـ..

وـقـبـلـ أـنـ أـفـقـدـ الـوعـيـ.. سـمعـتـ صـرـخـةـ اـنـتـصـارـ هـائـلـةـ جـابـتـ جـنـبـاتـ  
الـكـوـكـبـ.. لـقـدـ اـنـتـصـرـ الـخـيـرـ عـلـىـ الشـرـ وـزـالـ الـخـطـرـ..

وبطوف عيني لمحت المخلوقات الغريبة تعيد السلاح القديم إلى مرقده بعد أن  
انهى التهديد وتوقف عده التنازلي.

لم أستطع أنأشعر بسعادة مماثلة لسعادتهم، ففي عقلبي أحد سؤال مخيف يتrepid  
دون انقطاع :

ترى ما هو مصيري الآن مع تلك اللعنة التي تحولت إليها؟!  
وما هو مصير أصدقائي؟!  
بالطبع لم أعرف الإجابة وقتها لأنني فقدت الوعي.

\*\*\*\*\*

عندما استيقظت من غيبوتي رأيت الشخص الغريب يجلس بجوار الفراش ونفس  
النظرة الباردة على وجهه.. مسحت المكان بعيني متفحصاً متهيئاً.. متوقعاً  
الأسواء..

القصر العيني من جديد..

انتابتي بعض الحيرة والقلق، وأنا أشاهد المكان الذي لم يتبدل به شيء منذ  
غادرته مع المخلوق الغريب..

فحصت جسدي عدة مرات فلم أجد أثراً لكلمات التعويذة التي رأيتها محفورة  
على صدرى..

ودار السؤال في رأسي عاصفاً..

هل حَقًا غادرته من قبل؟!

هل ما حدث حدث بالفعل؟!

دوى صوت الشخص الغريب في عقل ليؤكد ظنوني.. وليتدفق إلى داخله سيل سريع من المعلومات..

على الأقل لم أصب بالجنون بعد، فقدان إصبع واحد أفضل الخجال، ومن فقداني لحياتي بالكامل..

وللمرة الأولى منذ أسابيع ارتسمت على وجهي ابتسامة حقيقة.. وبكل ما يعتمل بصدرني سأله :

- هل انتهى الخطر؟!

تردد صوته العقلي بداخلي رأسي :

- نعم

- وما مصيري؟!

- ستعود لتمارس حياتك الطبيعية مجددًا.. علومنا المتقدمة استطاعت أن تعيد جسدك لسيرته الأولى.. لقد زالت اللعنة.. ولم تعد التعويذة الحية مجددًا.

صمت قليلاً ثم استطرد :

- ولكنك لن تنسى بالطبع أن لك أصدقاءً في أبعاد أخرى.

هززت رأسي بامتنان، ثم دوت فكرة في عقله فحولتها لتساؤل سريع :

- وأصدقائي..

- لم ينج أحد.. ولكن الأرض نجت.. لقد فشل بهم المخلوق مع بداية المعركة بعد أن قضى على نائلة ومردتها.. لقد تبع الصلة التي ربطتهم بنائلة.. وأجهز عليهم.. العزاء الوحيد أنهم لم يشعروا بالألم.

هطلت من عيني دمعة حارة ترثيم، وصور أصدقائي تدور في عقلي وهم بقلب الجحيم.. ثم وأنا أتخيلهم موتي..

وبصوت يقطر حزناً سأله سؤالاًأخيراً:

- هل ما زال هناك تهديد؟!

دوى صوته بعقلِي واثقاً صارماً لا يخلو من إيمان :

- لا يعلم الغيب إلا الخالق.

صمت للحظات مؤمناً على كلامه ودرت بعيني صوب النافذة لأشاهد شروق الشمس.. الشمس التي تمنح الموت والحياة..

وبداخلِي تصاعد شعور طاغٍ بأنَّ الخالق لن ينساناً أبداً، وطالما ظل الخطر قائماً.. فسيكون هناك من يتصدى له.

وعندما عدت ببصري إلى حيث يجلس المخلوق لم أجده هناك.. تلاشى كأنه لم يكن..

ولكني أعرف جيداً..

أنه ب رغم حماقة البشر إلا أن هناك.. من سيمنعونهم من التمادي وإيذاء أنفسهم.

تمت بحمد الله

## مصادر الرواية

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
- الكوميديا الإلهية لداناتي.
- بعض مقالات الصحف.
- الخطايا السبع المميتة على موقع الفيس بوك وبعض المواقع الأخرى.

## صدر للمؤلف

- وبدأ الظلام - رواية
- حديث الموتى - مجموعة قصصية
- في مملكة الغيلان - رواية
- الملعون - رواية
- نصف حياة - رواية
- الشفق الأسود - رواية

## للتواصل مع الكاتب

A\_elmenofy@yahoo.com  
[https://www.facebook.com/a.elmenofy?ref=tn\\_tnmn](https://www.facebook.com/a.elmenofy?ref=tn_tnmn)

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر



Noon\_publishing@yahoo.com

.٣٧٢-٣٥٨٦٠٢-٢٧٧٧٢٠٠٧ .